

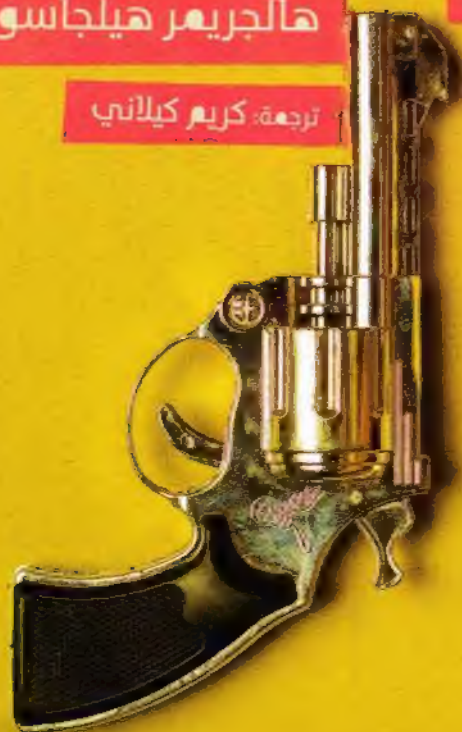
رواية

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

هالجرير هيلجاسون

أدب أيسلندي حديث

ترجمة: كريم كيلاني



مكتبة المخرقة 1349

دَلِيلُ الْقَاتِلِ الْمُحْتَرَفِ لِتَنْظِيفِ الْبُيُوتِ

مكتبة | 1349



mohamed khatab

مدير النشر : عبدالله صقر

رقم الإيداع: 2022 /16055

الترقيم الدولي: 978-977-313-916-2

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2022

This book has been translated with a financial support from:

 ICELANDIC LITERATURE CENTER

Copyright © Hallgrímur Helgason, 2008

Title of the original Icelandic edition: Tíu ráð til að hætta að drepa fólk og byrja að
vaska upp

Published by agreement with Forlagid, www.forlagid.is

رواية

مكتبة | 1349

دليلُ القاتِلِ المُحتَرَفِ لتنظيف البيوت

هالجرير هيلجاسون

ترجمة
كريم كيلاني

مؤسسة
المحرسة
للنشر و الخدمات الصحفية و الإعلامية

الطبعة الأولى 2022

13 9 23

مكتبة

t.me/soramnqraa



الهيئة العامة للأرشيف والمكتبات

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

هيلجاسون، هالجرير

دليل القاتل المُحتَرَف لِتَنظِيفِ البيوت / هالجرير هيلجاسون؛ ترجمة/ كريم كيلاني. ط 1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

325 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 2-916-313-977-978

1 - القصص الايسلندية

أ- كيلاني، كريم (مترجم)

ب- العنوان

839.693

رقم الإيداع 2022/16055

2006/05/15

سَمَّنتي والديني توميسلاف، وكان والدي من بوكشيتش⁽¹⁾. بعد أسبوعي الأول في الولايات المتحدة، أَصَبَحْتُ أَدْعَى توم بوكسيك، وهو ما تحوَّل فيما بعدُ إلى "توكسيك"⁽²⁾. يُفسَّر ذلك ما وصلتُ إليه اليوم.

أحيانًا لا أعرف إن كنتُ أنا مَنْ سَمَّمتُ اسمي أم أن اسمي هو ما سَمَّمني، على كل حالٍ أنا أَتَسَبَّبُ في الخطر، أو هذا على الأقل ما تقوله مونيٲا، حبيبتي حادَّة المزاج، إنها مُدَمِنَة على الخَطَر. عاشت مونيٲا في بيرو حتَّى قُتِل أهلها في تفجير انتحاريٍّ، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة وعثَّرت على وظيفة في وول ستريت. صادف أن يكون

(1) Bokšić: قرية صغيرة في شرق كرواتيا.

(2) Toxic: مُؤَذٍ أو سامٌّ.

أول يوم عمل لها هو 11 سبتمبر، وفي أول رحلة لنا معًا إلى كرواتيا شهدت جريمتي قتل، عليّ أن أقرّ بأن واحدة منهما ارتكبتها بنفسى، أما الأخرى فكانت خطأ. فى الحقيقة اعتقدت أن المشهد رومانسيًا.

كُنّا نجلس فى مطعم ميركو عندما أصيب الشخص الجالس بجوار طاولتنا برصاصة فى رأسه، تَنَاقَر القليل من الدماء فى كأس نبيذ مونيّا، لكننى لم أخبرها... كان نبيذها أحمر على أيّة حال. تقول إنها ليست مهووسةً بالعنف، لكننى ما زلتُ أعتقد بأنها انجذبت لى بسبب طبيعتى المؤذية، تعتمد علاقتنا على قصف القنابل، الجنس بيننا متفجّر على الدوام.

حببتي مونيّا قوامها جذاب، ويمكن ملاحظتها بسهولة، يتفحصها الرجال دائماً، إنها قصيرة كأغلب نساء أمريكا الكسلاوات⁽¹⁾ والبعض قال عنها إنها بدينة، لكن هؤلاء الأشخاص لم يتسنّ لهم فتح أفواههم بعد ما قالوه. عندما تمشى فى الشارع أسمع نهدّيها يتحرّكان فى طرف، إنه صوتي المفضّل فى أمريكا. يمكن للآخرين أيضًا أن يسمعوه لو كانت ترتدى قميصها البرتقالي الخشن.

عندما رأيتها لأول مرة شعرتُ أننى رأيتها من قبل، قبل أن أتزوجها سأسألها إن كانت مثّلت من قبل فى فيلمٍ إباحيّ أو إن كنتُ رأيتها من قبل فى إحدى الصُور المصغّرة على الإنترنت.

ما يُميّز حببتي مونيّا هو أن أهلها ماتوا، فلا حَمَاة لى ولا صَهر، لا احتفالات بعيد الشكر أو أعياد ميلاد للأطفال أو أفراح يتعيّن عليّ حضورها، أي أن تقف أعزلّ فى حديقةٍ سخيّة تحت حرارةٍ قاتِئة، وخلفك خمسون شخصًا.

(1) يقصد أمريكا اللاتينية.

نعم، تنجذب مونيتا روزاليس إلى الرجال المُسلَّحين، كانت تُواعد قبلي طليانتيًا من لونج أيلاند (بالنسبة لنا أصبحت "إيطالي" "طلياني" بعدما أطلق نيكو -خطا- رصاصة على الـ "إي" في لافتة مُعلَّقة على إحدى مطاعمهم، ورغم أن سيرته الذاتية أقل من سيرتي إلا أنه يمكن اعتباره زميلًا.

أنا مَنْ يطلقون عليه بلغتنا "قاتلٌ مأجور"⁽¹⁾ في نيويورك يقولون "قاتلٌ مُتعاقد"، أو "قاتلٌ محترف". الفضل يرجع إليّ في إبقاء دُور الجناز مشغولةً منذ وصلتُ إلى نيويورك قبل ستّ سنواتٍ، حتى إنني عقّدتُ اتفاقًا مع إحداهما، وأخبرت ديكان أن عليه شراء دار جناز سرًا؛ إذ يمكننا أن نجني مالًا أكثر من ضحايانا الموتى... اضرب واهرب إلى البنك!

دعوني أخبركم عن وظيفتي، أعمل طوال الأسبوع في سماء زغرب، مطعمنا الجميل في شرق شارع 21، يناسبني تمامًا مُسمّى "نادل"⁽²⁾؛ إذ إنني أقضي أغلب وقتي منتظرًا الوظيفة التالية؛ وهذا قد يثير الملل بشدّة.

إن الحيوان البلقاني بداخلي، وهو روحي، يشعر دومًا بالجوع لفريسة، يصيبيني الارتباك إن مرّت ثلاثة أشهر دون أن أُطلق النار. سنة 2002 كانت أقلّ السنوات عملاً؛ إذ أصبْتُ هدفين وأخطأتُ الثالث. ما زلتُ أشعر بالندم على ذلك الهدف الضائع؛ ففي هذا العمل يُعدُّ عدم إصابة الهدف خطأ قاتلاً؛ فقطعًا ليس من مصلحتك أن تُصادف أحد جرحاك المجانين يتسوّق لشراء الرصاصة التي ستقتلك.

(1) plaćeni ubojica: بالكرواتية في الأصل.

(2) Waiter: يقصد بها "منتظر".

يميل الناس إلى الانزعاج قليلاً إذا لاحظوا أنك تحاول قتلهم. لكن اسمحوا لي أن أؤكد لكم أن الهدف الذي أخطأته في 2002 كان أول إصابة أسددها في عام 2003. حالياً لا أضيّع رصاصة أبداً.

إليك الأمر: أنا ما يطلقون عليه ثلاثي عضلات البطن، قيل لي إن هذا سجلاً قياسياً في مانهاتن، شخص طلياني وحسب يُدعى بيروسي نال لقب ثنائي عضلات البطن في الثمانينات، عندما كان جون جوتي⁽¹⁾ ملك حي كوينز، لكن لم يتل أحد لقب ثلاثي قبل توكسيك.

في الواقع لا أعتقد أن الطليان كما كانوا في سابق عهدهم، فعندما تُنتج أفلاماً عن نفسك أكثر من قيامك بقتل الناس فهذا يعني أن أمرك انتهى. في غضون عشرين عاماً سيكون لدينا مسلسل كـ "آل سوبرانو": "آل سليشكو"⁽²⁾، لكنني حينها سأكون مثل "زناد مرتعش"، أنتشي بالفياجرا، وأتشبه بالنساء.

اعتدت أن أقول لمونيكا إن كَوْن المرء ثلاثي عضلات البطن يتعلّق بالبيئة، وأنا مناصر للبيئة، فلست أرغب في إضافة رصاصة لا لزوم لها في تلك المدينة المزعجة في الأصل، هكذا أخبرتها في لقاءنا الثالث، بعدما سألتني للمرة الثالثة عن عملي. استغرق الأمر أربعة أسابيع من المكالمات الهاتفية واقتحام وجيز لبيتها حتى أحصل على اللقاء الرابع.

عفوًا... القيام بعضلات البطن الستة يعني أن سيّث طلاقات متواليات تؤدّي إلى جنازة، سيّث رصاصات، سيّث جنازات، أرامل ينتحبن، ورود... كل شيء.

(1) جون جوزيف جوتي جوننيور (1940-2002): رجل عصابات أمريكي ورئيس عائلة مافيا جامبينو في نيويورك.

(2) أكبر عرّاب للمافيا في كرواتيا، مات أثناء تبادل لإطلاق النار في زغرب عام 2002.

بسجل كهذا كان يجدر بديكان أن يقوم بترقيتي منذ وقتٍ طويل، لكن هذا الوغد عنيدٌ كمؤخرة بلا ثقب، لالعق إصبعٍ لعين هكذا أطلقنا عليه لأنه يلحق أصابعه القصيرة السمينة في نهاية كل وجبة، لكن كل ما يقوله هو: "توكسيك نادل ماهر... إنه لا يغفل طلب أبداً".

سيكون من دواعي سرورنا اتباع تعليمات بيليتش عندما يتعلّق الأمر بوضع حدٍّ للعق إصبع.

نحاول أن نحافظ على أ.ق.أ، أو "اختبئ قدر الإمكان" قدر ما أمكننا؛ إذ نقوم بعملنا. هذا يعني أنني عادةً ما أحاول تسوية الأمر في خصوصية غرفة فندق الشخص أو سيارته أو منزله. ويُفضّل بدون أي شهود. إذا لم ينجح ذلك، فغالبًا ما ندعو الضحية إلى مطعمنا. نكتة "العشاء الأخير" متعارفٌ عليها.

بعد العشاء أحضر له فاتورة المائدة بأكملها، وهو مبلغ مرتفع للغاية لدرجة أنهم يفضلون دائمًا أن يدفعوا الثمن بحياتهم. لدينا غرفة خاصة في الخلف نأخذهم إليها، نطلق عليها الغرفة الحمراء، بالرغم من أنها خضراء.

كما قد تكون خمنت، لا يوجد زبائن دائمون في سماور زغرب.

بالمناسبة، اسم المكان غبي تمامًا لأن "السماور" هي آلة شاي روسية ولا علاقة لها بثقافة كرواتيا، لكن ديكان يعتقد أنها ذكية حقًا، يحب أن يقول: "التصريف الغبي هو أفضل تمويه".

على الرغم من أنني ما زلتُ أنتظر تلك الترقية اللعينة، لكنني في الحقيقة لا يسعني أن أشتكي حقًا؛ المال جيد، والطعام ممتاز بالطبع. لديّ شقتي الرائعة على ناصية شارعٍ سبرنج ووستر، مونيتا على استعداد للمضاجعة من أجل موقع كهذا، وأنا أحب ضوضاء

نيويورك⁽¹⁾، على الرغم من أنني أفقد الوطن الأم اللعين كل يوم بحق الجحيم.

لكن في وقت سابق من هذا العام، عثرتُ على كابل ذهبي، ووجدتُ أنه يمكنني مشاهدة HRT⁽²⁾ وهایدوك سبليت⁽³⁾ على شاشتي المُسطَّحة في المنزل. تتصل والدي مرّةً في السنة لتسأل متى سأعود إلى الدراسة. هذه هي العاميّة الكرواتية التي تعني: "لقد نفد المال"، بمجرد إنهاء المُكالمة، أُرسِل لها 2000 دولار عبر الإنترنت. ما يكفي لسنة أخرى.

نعيش بمفردها مع أختي الصغيرة السّمينّة. قُتِلَ أبي وأخي في الحرب. لقد جئتُ من عائلة من الصيّادين. كان جدّي حارس تيتو الشخصي، وكان تيتو زعيمَ وطني السابق يوغوسلافيا. توفيت يوغسلافيا بعد فترةٍ وجيزةٍ من موته، مثل أرملةٍ عجوزٍ حزينة. أحبّ تيتو الدّبّية، ولا سيّما القتل منهم.

لم تُنح لي الفرصة مُطلقًا لإطلاق النار على واحد، لكن عندما كنت صغيرًا، كان والدي يصطحبني في كثيرٍ من الأحيان لصيد الخنازير. قال "الخنزير البري مثل المرأة، عليك أن تتظاهر بأنك لا تريد إطلاق النار عليه؛ لذلك نحن فقط ننتظر هنا". كان "منتظرًا" كبيرًا، مثلي تمامًا. أرى نفسي صيادًا. أصطاد الخنازير من أجل لُقمة العيش.

(1) Noisy york: يقصد بها مدينة نيويورك.

(2) Hrvatska Radio and Television إذاعة وتلفزيون كرواتيا.

(3) HNK Hajduk Split نادي كرة قدم كرواتي تمّ تأسيسه سنة 1911.

2

المقضي عليه

2006 / 5 / 5

لكنني الآن في ورطة. لأول مرة في مسيرتي المهنية التي لا تشوبها شائبة. أركب سيارة الشركة، وأعبر جسر ويليامزبرغ تاركًا مانهاتن خلفي، ومونيتا في أذني، وجسدها في ذهني، وعيني على ظهر سائق رادوفان الخنزير. ستواجه الرصاصة صعوبة مع هذا الرأس. تلقي شمس مانهاتن بعد الظهر بظلال ناطحة سحاب على سطح النهر.

"أوه، حبيبي. سأفتقدك" تهمس مونيتا من خلف مكتبها في الطابق السادس والعشرين من برج ترامب. قبل عامين بدأت في الطابق الأرضي. ومع ذلك فهي لم تتخطَ درجة "المبتدئ". هكذا هي مونيتا الخاصة بي، لا يمكنك أن تكرهها. صوته نصف هندي، لكن اللهجة كلها من بيرو. كانت والدتها من بومباي، ولديها بشرة زيت الزيتون

الهندي، وهو ملمس رقيق يمكن أن يدفعك بطول الطريق إلى القطب الشمالي في عربة جولة يقودها الرئيس بوش.

"أنا أيضًا" أجبت مرة أخرى، لست متأكدًا تمامًا ما إذا كانت تلك اللغة الإنجليزية التي تحدثت بها مثالية بنسبة مائة بالمائة. لكنني أعتقد أنني على حق. سأفتقد نفسي، سأفتقد حياتي الرائعة في المدينة العظيمة.

أنا ذاهب إلى المنفى. سأختفي لمدة ستة أشهر على الأقل... أقرأ تذكرة طائرتي: نيويورك- فرانكفورت- زغرب. موقعة باسم ديكان. سأعود زحفًا تحت طاولة مطبخ أمي وفي فمي مُسدّس. لقد أخفقت، أو شخص ما قضى عليّ.

العملية رقم 66 لم تنجح. لا تسينوا فهمي، صوّبت الرصاصة إلى رأس الرجل آمنةً مُعافاةً، ولكن كان هناك بعض العواقب الخطيرة. تبين أن الرجل البولندي ذا الشارب هو رجل مكتب التحقيقات الفيدرالي. ما كان من المفترض أن تكون جريمة قتل مُشمسة في وضع النهار استحال كابوسًا. أخذته إلى مكتب النفايات في كوينز ووضعتُه بعيدًا في كومة من سراويل ليفي مزينة، ثم غطيت وجهه القبيح بمظلة بيبيسي ماكس القديمة.

في طريق عودتي إلى السيارة، لاحظت أن بعض أصدقائه وصلوا متأخرين جدًا لجنائز بلا تابوت. قفز قلبي الكرواتي القديم من موسيقى الثاليس إلى موسيقى ديث ميتال⁽¹⁾، واستدرت بسرعة. خلال الدقائق العشر التالية، ركضت مثل لاعب الحواجز في أولمبياد السمنة، عبر نفايات حوالي ستة آلاف أسرة نووية في نيويورك، متجهًا إلى النهر، وأخيرًا بحثت عن ملجأ في حاوية قديمة صدئة مليئة بدُمى دبّية

(1) Death Metal: فرع من موسيقى الميتال تستخدم فيه عادة أصوات مشوهة للجيتار وبعثات محفصة.

قديمه، الغريب أنها تفوح منها رائحة الجبن المشوي. طَوَّق الأوغاد
الفيدراليون المنطقة؛ لذلك انتهى بي الأمر بقضاء الليلة معهم.

كانت ليلة بلا نوم في أفق مانهاتن والحاوية الباردة والذئبة ذات
الرائحة الكريهة. بالنسبة للمعدة الفارغة، تشبه رائحة الطعام العطّر
بالنسبة للانتصاب. في ساعات الصباح، كان جميلًا بعض الشيء أن ترى
الغرف في مبنى الأمم المتحدة تضيء، الواحدة تلو الأخرى- وتقلب
مياه النهر الشرقي الجارية انعكاسها.

كان ذلك قبل شروق الشمس. أعتقد أن كل أمة على وجه الأرض
لها مكتبها الخاص في المبنى، وقد بُرمجت الأضواء في كل غرفة لتستمر
في نفس الوقت الذي تشرق فيه الشمس في البلد الذي تنتمي إليه.
شاهدت 156 شروقًا في تلك الليلة، وقبل كسر رقم 157 كنتُ في
النهر. قادني تيارُ الجليد البارد إلى مكبٍّ مختلف. كان أشبه بموقع
إلكتروني، مليئًا بالخطوط وكابلات الإنترنت. في مصبِّ نفق ميدتاون
عثرْتُ على سيارة أجرة. واجه السائق مُشكلةً في حقيقة أن ملاسي
كانت مُبللةً بالكامل، لكنني أخرجتُ مُسدسي وجففتها في لحظة.

توكسيك يسافر تحت اسم إيجور إيتش. لقد وُلدتُ في سمولينسك
الآن، في عام 1971. لقد وُلدتُ في كل مكان. ذات مرة كنتُ أحمل
جواز سفر ألمانيًا مَنحني طفولةً سعيدة جدًا في العاصمة بون آنذاك.
حتى إنني بذلتُ الجهد -في طريقي عبر وادي الراين- لاختراع بعض
ذكريات الطفولة المثالية.

عمل الأب ديتير بَوَابًا في السفارة الروسية، وكانت الأم إلسي طاهيةً
في السفارة الأمريكية. كل ليلة كانت حربًا باردة، وأنا أمثل برلين،
جدار بين عيني. على الرغم من أنني لست مُمثلةً، لكن لا أمانع
الحصول على حياة جديدة من حين لآخر.

في الواقع، لطالما استمتعتُ بهذا الجانب من عملي، حيث يمكنك أن تحصل على استراحة من نفسك. باستثناء عطلة نهاية الأسبوع كصربي في عام 1999. ثم شعرت حقًا بالرغبة في قتل الرجل الذي أصبحت عليه. ولكن على الرغم من أنهم وُلِدوا في مدن مختلفة، إلا أنهم عادةً ما يستخدمون نفس العام، العام الصحيح: 1971. وُلِدْتُ قبل يوم واحد من فوز نادي هايدوك بالبطولة أخيرًا بعد حوالي عشرين عامًا من الانتظار. اعتقدت والدي المتعصب لكرة القدم أنني كنتُ فال خير، ووصفني بـ "البطل".

يشق الطريقُ السريعُ المسافةَ عبر بروكلين. ألقى نظرة على جميع الإعلانات بعينين شبه دامتيتين. أنا فقط لا أريد مغادرة هذه المدينة. مررنا بلوحة زرقاء كبيرة: "أخبار شاهد عيانٍ في السابعة على شبكة أي. بي. سي نيويورك" على مدار ثلاثة أيام متتالية كان وجهي هناك، معروف في دوائر "العصبجية" ببساطة باسم توكسيك. لكنها لم تكن أكثر من ومضة. لا توجد قصة كبيرة، مثل تلك التي رُوِيَتْ عن القَتلة الجماعيتين. أصبح هؤلاء الرجال أسماء مألوفة في يوم واحد، بينما يتم ذكر الرجال والنساء الصادقين والمجهدين في صناعة الاغتيال بشكل عابر. الأُمَّة التي تقيس كل شيء بالمال تهادن الهواة بدلاً من المحترفين. أعتقد أنني لن أفهم هذا البلد تمامًا. أنا أحبُّ نيويورك، لكنني لا أفهم الباقي.

سرعان ما تضاءلت الضواحي لندخل أرض الإقلاع والهبوط. جواز سفر إيجور موجود في جيب صدري، مثل حقيبة جوتشي المصنوعة في الصين. وخلفه يدق قلبي طبول الشك.

يقول رادوفان خارج صالة المغادرة الدولية: "مع السلامة!"⁽¹⁾. منعته من مرافقتي إلى الداخل، إن نظارته الشمسية تكاد تصيح لمكتب

(1) Dovidjenja: بالكرواتيّة في الأصل.

التحقيقات الفيدرالي مثل شاذَّ على صفيحٍ ساخن. الغباء ليس قناعًا للأغبياء. حلَّقْتُ كُلَّ شَعْرِي هذا الصباح، وبَذَلْتُ ما بوسعي لارتداء الملابس الروسية: سُرَّةٌ جِلْدِيَّةٌ سوداء، وأَبْشَعُ سروالٍ جِينزٍ في الخزانة، وأَحْذِيَّةٌ رَكْضٍ من طراز بوما بوتين.

قبل أن أْغادر، اسْتَدَرْتُ في المدخل وودَّعْتُ شاشتي المسطحة بِقُبْلَةٍ إصْبَعٍ. سَأَلْتَنِي مُونِيتَا إِذَا كَانَ يُمْكِنُهَا رَعَايَةُ بَيْتِي أَثْنَاءَ غِيَابِي، لَكِنِّي رَفَضْتُ. لَا ثِقَّةَ قَوِيَّةً بَيْنَنَا حَتَّى الْآنَ. وَتِلْكَ الْقُبْلَةُ الْمُسْتَثْنَاءُ لَنْ تَقْضِي سِتَّةَ أَشْهُرٍ دُونَ أَنْ تَنْفَجِرَ، وَلَسْتُ أَرْغَبُ فِي وَغْدٍ مَا مِنْ بِيرو يُجَفِّفُ عَرَقَهُ الْقَذِرَ بَعْدَ مِمَارَسَةِ الْجِنْسِ عَلَى مَنَاشِفِي الْبَرَادِ.

يسير تسجيل الوصول بسلاسة. شقراء ضحلة ذات غمازات عميقة تُخْبِرُنِي أَلَّا أَقْلِقُ بِشَأْنِ حَقَائِبِي. سَأْرَاهُمْ مَرَّةً أُخْرَى فِي زَغْرَبٍ. يَبْدُو أَنَّ لَدَيْهِمْ رِحَالَاتٍ مُبَاشِرَةً مِنْ مَدِينَةِ نِيُورُوكَ إِلَى زَغْرَبٍ لِلْأَمْتَعَةِ فَقَطْ. تَسْتَلْزِمُ الْهَجْرَةَ ضَبْطَ النَّفْسِ. رَسَمْتُ عَلَى وَجْهِهِ تَعْبِيرَاتٍ إِيجُورَ بَيْنَمَا كَانَ الضَّابِطُ مُعْجَبًا بِأَعْمَالِي الْيَدْوِيَّةِ الصِّينِيَّةِ.

ثُمَّ أَمَرَنِي اثْنَانِ مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ الْفَخُورِينَ أَنْ أَخْرِجَ الْهَاتِفَ وَالْمَحْفَظَةَ وَالْعَمَلَاتِ الْمَعْدَنِيَّةَ، سُرَّةَ وَحْزَامٍ وَحِذَاءٍ. لَمَحُوا شَيْئًا بَيْنَ عَمَلَاتِي الْمَعْدَنِيَّةِ، فَانْتَقَلَ قَلْبِي مِنْ مُوسِيقَى السَّامْبَا إِلَى مُوسِيقَى الْرُوكِ.

تَبَيَّنَ أَنَّ أَبْشَعَ سِرَاوِيلِي يَحْتَوِي عَلَى رِصَاصَةٍ وَحِيدَةٍ، ذَهَبِيَّةٍ جَمِيلَةٍ، 9 مِلْمٍ، مِنْ مَسَدُّسٍ بَرَاوْنَجٍ هَاي بَاوَرٍ شَبَّهَ الْأَكِي، وَالَّذِي قَدَّمَهُ لِي دَافُورٌ لَدَى وَصُولِي نِيُورُوكَ.

"مَا هَذَا؟ هَذِهِ رِصَاصَةٌ! أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟" سَأَلْتَنِي امْرَأَةً لَاتِينِيَّةً صَغِيرَةً مِنْ لُونَجٍ آيْلَانْدٍ بِالزُّيِّ الرَّسْمِيِّ بِلَهْجَةٍ مَن يَعْمَلُ فِي مَرْكَزِ تَسَوُّقٍ.

"آه... نعم. هذا، هذا تذكّار" أجبتُ.

"تذكّار؟"

"إيه، نعم. لقد... تمَّ نَزْعُها من رأسي" حاولتُ أن أبْدو كما لو أن الشيء تسبَّب في ضررٍ دائمٍ لي.

تقتنع وتسمح لي بالذهاب بعد إعطائي تدليّكًا لكامل الجسم. لن أعتاد هذا السفر منزوع السلاح، ليس من طبيعة الرجل عبور البلدان أو المحيطات بدون سلاح. سخيّف أمر 11 سبتمبر، يجعلني أرغب حقًّا في إطلاق النار على بن لادن. لكنني لا أستطيع؛ لأنني غير مسموح لي بحمل مسدس على متن الطائرة.

لقد بدأتُ أتطلّع إلى زغرب عندما ظهر اثنان من الفيدراليين فجأةً وشقًّا طريقهما نحو الواقفين عند البوابة. التذاكر في متناول يدي، أنا آخر مَنْ في الطابور. لا أحد بوسعه إنكار حقيقة أنهم، أستطيع أن أشمّ رائحة الـ "سريّة" على طول الطريق من جيرسي مثل كلب محموم. إنهم يرتدون السترات والنظارات الشمسية المعتادة من إتش أند إم، وكلها مربوطة في تسريحة شعر المباحث الفيدرالية الكلاسيكية القادمة مباشرة من العاصمة. المظهر نوعًا ما "رسمي غير رسمي"، لامع جدًا ومُجَعَّد بعض الشيء، مثل مايكل كيتون في فيلم "تَعَدُّدِيّة"⁽¹⁾.

اختبأتُ على الفور خلف الرُّكَّاب المنتظرين، والتقطتُ حقيبتني، مبتعدًا عن البوابة في الاتجاه المعاكس للعملاء السريين. مع السلامة يا زغرب. قلبي ينبض، لكنني لا أسمح لنفسي بالنظر إلى الورا. لا تنظر إلى الخطر أبدًا! هكذا اعتادت ماما أن تقول.

أمشي لمدة سِتِّ دقائق، وقد تحوَّلت جمجمتي الحليقة إلى نافورة على الطريق. أروقة المطار لا حصر لها. يحدِّق الناس في وجهي وكأنني

(1) Multiplicity: فيلم أمريكي أنتج عام 1996.

أحمل "صدّام" من خصيته في حقيبتني. أخيراً ملحتُ لافتة تشير للحمام، فأتجهتُ سريعاً إلى اليسار. داخل الحمام التقطتُ أنفاسي وجففتُ رأسي. وبينما كانوا يُجفّفون أيديهم، نظر إليّ ثلاثة رجال أعمال كما لو كنتُ تاجرَ أسلحةٍ روسيّاً أنتظر زبوناً. أخيراً، عُدتُ إلى البحر المفتوح، لكنّ مياهه لم تكن صافية.

دخلتُ الحمامَ بسرعة عندما ملحتُ أحدَ أشباه مايكل كيتون. أعلم أنه لم يرني رغم ذلك. كان يمشي.

أمضي إلى أحد المراحيض وأتظاهر بأنني أفعل ما أفكر فيه. ماذا يمكنني أن أفعل الآن بحق الجحيم؟ لا يمكنني العودة إلى بوابتي. مخاطرة كبيرة. سينتظرنني آل كيتون هناك، يتسمون كأقاربٍ سُخفاء. لكن ماذا بعد ذلك؟ يأتيني الجواب على شكل حزام، طرف حزام يُقحم نفسه أسفل الجدار بين المرحاض التي أشغله والذي يليه. أنتظر لحظات قليلة وأدعو الله. أخيراً انتهى صاحب الحزام وترك مرحاضه. وإذا أفتح الباب المنخفض، تلتقي أعيننا في المرأة فوق صفّ الأحواض. يبدو أن الله استجاب لي، إنه يشبه إيجور تماماً، صاحب الحزام حليق الرأس حتى العظم. هما مسافران أصلعان وبدينان، يبدوان متشابهين بشكلٍ مُدهش، على الرغم من أن صاحب الحزام يرتدي نظاراتٍ غير مرئية تقريباً، وهو أكبر قليلاً من إيجور. لكنه لن يكبر كثيراً الآن. أخرجه إيجور بلكمة شبه صامتة في مؤخرة رأسه، مباشرة في بقعة جي المهبليّة. تسقط نظارته في الحوض بينما يصطدم رأسه بالمرأة. لا يوجد دم، الرفيق ثقيل جداً، حتى أكثر ثقلاً مني، لكن ما زلت أتمكّن من نقله إلى نفس المرحاض الذي تغوّط فيه للمرة الأخيرة، وأغلق الباب خلفي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أفحص نبضه. لا ضربات قلب.

يتدفق الأدرينالين بشكل أبطأ، أشعر بالرعب لأنني أدركت أن عمليتي رقم 67 بطلها رَجُلٌ دين. إنه يرتدي حول رقبته ياقة كهنوتية بيضاء، بالإضافة إلى قميص أسود، وسترة سوداء، ومعطف أسود. بشرة بيضاء. أبحث عن تذكرته وجواز سفره ومحفظة، والآن! توكسيك إيجور أصبح لديه اسم جديد: القس ديفيد فريندلي⁽¹⁾. وُلِدْتُ في فيينا بولاية فيرجينيا، في 8 نوفمبر 1965.

يمكنني القيام بذلك. لم أكن أميركياً من قبل. إلى أين هو ذاهب؟ توضّح التذكرة "ريكيافيك". تبدو في أوروبا. بصعوبة أنزع المعطف والسترة من جسد رجل الدين الممتلئ، ثم أبدأ بفك أزرار قميصه، والعرق يتساقط من رأسي مرةً أخرى، بينما أتنفّس مثل الخنزير. أتوقّف قليلاً عندما أسمع شخصاً ما يدخل الحمام وأحاول مواراة أنفاسي الشديدة خلف صوت بوله. يتبع ذلك تدفّق سريع للمياه وتجفيف اليدين.

مجرّد أن أصبح المكان أمناً، أخرج من مراحيض مطار جون كينيدي مسيحياً مولوداً من جديد، مع هالةٍ حول رقبتي، ومهمّة جديدة في الحياة: البوابة 2.

(1) David Friendly: ومعناه "ديفيد ودود"، وكثيراً ما يستغل الكاتب اسم "ودود" لأغراض فكاهية؛ لذا لزم التثويه.

3

طيران آيسلندا

2006/05/15

إنه لأمرٌ مُدهِش. أنا أتحرك عبر سماء شمال المحيط الأطلسي بسرعة الصوت، ومع ذلك فقد لَحِقَتْ بي روحُه. أشعر بالقلق وأنا مدفون في إحدى مقاعد النافذة الصغيرة جدًا على متن طائرة مليئة بالشقراوات والرُّجال الطَّيِّين. لا أعرف ما يحدث، لكنَّ ساقِي تقتلانني تمامًا. لا بُدَّ وأن للسيد "فريندلي" صِلاتٍ مع السماء؛ جيشٌ من الملائكة يقرصونني بأظافرهم المديبة ويخنقون حلقي بالياقة الكهنوتية.

رجال الدين هم الأسوأ. مرة أخرى أثناء الحرب، أُمِرْتُ ذات مرَّة بحراسة كنيسة في قرية صغيرة بالقرب من بلدة كنين⁽¹⁾. كان الضُّربُ يستخدمونها لتخزين قنابلهم، لكننا الآن نسيطر على المنطقة. في صباح

(1) Knin. تقع في كرواتيا.

يوم أحد ضباي، ظهر كاهن القرية اللعين فجأة، وقال إنه يريد إقامة قُدَّاس. قلتُ مستحيل، لم يُسمح لأحد بالدخول إلى الكنيسة. كان رجلاً عجوزاً وله لحية بيضاء وشعر أبيض حول أذنيه. بدا على نحوٍ ما راهباً أكثر منه كاهناً. وكان وجهه مفعماً بهذا الوهن المسالم. كان النظر إلى عينيه بمثابة نظرة خاطفة على الآخرة: بركتان صامتتان في إيفروودز. بدا كما لو أنه مات بالفعل، أو أنه لم يُعدَّ يعبأ بشيء.

ودون أن ينبس بكلمة، سار بجانبني باتجاه باب الكنيسة. ركضتُ خلفه وأخبرته مرةً أخرى بكَروائِيَّةٍ حادَّةٍ ألا يُسمح لأحد بدخول الكنيسة. أصدرتُ أوامري. "لا أحد على الإطلاق بحق الجحيم!" صرختُ في أذنه المُشعِرة.

أغلق عينيه للحظة وجيزة ثم توجَّه نحو الباب. حاولتُ دفعه ببندقيتي بعيداً، لكنني لم أستطع فعل ذلك حقاً، لم أتمكن من ضرب هذا العجوز الذي كان بمثابة الرُّوح الإنسانية بأسْرِها، أو هراء مُل من هذا القبيل.

في صمت يوم أحد ما، أخرج مفتاحه الكبير وأخذ يفتح الباب الخشبي. لقد أمضيتُ بالفعل أربع سنوات في الحرب وأطلقتُ النار على أشخاص أكثر ممَّن في شجرة عائلتي، لكنني كنتُ لا أزال أرتجف في كل مكان مثل السجائر الرديئة، والتي كنتُ سأدخنها في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم. ماذا كان يحدث بحق الجحيم؟ لقد هزمني كاهنٌ أعزَّل في الثمانين من العمر! كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ عندما شاهدته يختفي داخل الكنيسة، شعرت بالخوف في النهاية وأطلقتُ النار عليه في ظهره. سقط على الأرض الحجريَّة، على غرار مشهد الصُّلب، مثل الرجل المُعلَّق على الحائط المقابل.

أغلقْتُ الباب وجلست وظهرني بمواجهته. كنتُ سأبكي لو لم تُحوَّل الحربُ كُلُّ دموعي إلى حجارة؛ لذلك جلست هناك، وجهي متيبس،

ألعن كل شيء: أرضي وأرضه، وأرضنا، والحرب بأكملها. جلستُ هناك لمدة حوالي عشرين سيجارة. يوم أحد في الجحيم. لقد قُتِلَ رَجُلٌ ديني، وفوجئت بشدة بتأثير ذلك عليّ. لقد قُتِلَ رجلًا أكبر سنًا من قبل، حتى لو كان من بينهم سيدة، دون أن أعاني من هذا النوع من المخلفات الأخلاقية. ولكن بطريقةٍ ما كان هذا أكثر دراماتيكيةً بثلاثة أطنان -ربما بوزن كنيسته الصغيرة- شعرتُ بقرونٍ تَشُقُّ طريقها بين خصلات شعري، والذيل الذي ينمو بسرعة بين أردافي جعل جلوسي مؤلماً.

عندها بدأت أفقد عقلي. بدأ شعورٌ غريب ينمو بداخلي. شعرتُ وكأن الانفجار الكبير لطلقة بندقيتي لا يزال يُدوي داخل كنيسة القرية الصغيرة، وأن الصوت الرهيب كان يملؤها ببطءٍ، وصولاً إلى الجرس. حتى إنني سمعتُ الشيء البرونزي الدموي يتردد صداه بالغضب، ويملاً رأسي بنفس الطنين المعدني الثقيل. ثم سرعان ما بدأت بإطلاق النار على جرس الكنيسة اللعين كصبيٍّ مجنون يطلق النار على الدجاج. صرختُ في الضباب مثل امرأة أثناء الولادة.

بعد حوالي 15 رصاصة دقّ الجرس، تَرَدَّد إطلاق نار من نوع مختلف. ألقىْتُ بنفسي على العشب الرطب، متجنباً عاصفة من الرصاص تهبُّ مباشرة من الجحيم. في جزء من الثانية، تحطّمت جميع نوافذ الكنيسة إلى أشلاء.

بعد لحظات، انفجر المكان المقدّس برُمته في انفجارٍ أصفر كبير. لَكَمْ الحصى ظهري كمدلّكةٍ بأصابع حديدية، وتَسبَّب حجر زاوية في انبعاج خوذتي. تُركتُ في شبه إغماء. مَن قَتَلَ رجلاً من الكنيسة تقتله الكنيسة.

لم أدخل كنيسةً منذ ذلك الحين. لأسابيع وشهور، تعرّضتُ روحي الشابة المريضة للتعذيب من صورة يسوع البالغ من العمر ثمانين

عامًا، والذي سقط مغشيًا عليه على الأرض الحجرية. في كل ليلة كنت أدق مسمارًا حديدًا كبيرًا في ظهره وأخرجته من قلبه الذي انفجر ليصبغ عالمي بالكامل باللون الأحمر.

إنهم يعرضون فيلم "طرق جانبية"⁽¹⁾ على تلفزيون الطائرة، وأيضًا أشياء قديمة مثل ساينفيلد، وإعلانات قديمة مكررة لتصفيفات شعر غريبة الأطوار. كان ساينفيلد أمريكيًا تقليديًا في هذا المسلسل. شابًا مضحكًا للغاية، لكن لم يكن لديه حسٌّ بالأناقة. مُبتذل كبذلة تقليدية من تكساس. ملابس رديئة ونكات لذيذة. هذا ساينفيلد بالنسبة لي. كنت أفضل أن يكون العكس.

يقرأ الرجل الجالس بجواري إحدى نسخ مجلة "مونسترز" التي تبدو وكأنها واحدة من أفلام العصابات تلك (كم كتابًا يمكن أن يُكتب عن أولئك النفاق الصقليين؟). من حين لآخر يُهمهم بنعم أو لا للرجل الأكبر سنًا الجالس في مقعد الممر، والذي لا يكفُّ عن ابتلاع الحبوب، لا بُدَّ وأنها مُنشطات؛ إذ يبدو أنه لا يسمح للبائس بقراءة كتابه دون أن يُطِره بالأسئلة بلهجة غريبة.

أتضح أن الرجل الذي يتكلم أيسلنديًا، والرجل الذي يقرأ لاعب كرة سلة، وُلِد وتزرع في بويز بأيداهو، ولكنه الآن ينتقل إلى شنايفل ستيكولمر أو شيء من هذا القبيل - فريق صغير في الاتحاد الأيسلندي. آه... نعم. نسيْتُ أن أذكر أن هذه رحلة طيران أيسلندية لغير المدخنين من نيويورك إلى ريكيافيك في أيسلندا. كانت هذه المفاجأة التي انتظرتني عند البوابة رقم 2، قد اتخذت منفاي منعطفًا شماليًا.

بلمسة من سبّاتي تتخلّى شاشة الفيديو عن تسريحة شعر ساينفيلد للحصول على خريطة معلومات: طائرة حمراء، بحجم بريطانيا تزحف ببطء فوق المحيط الأطلسي، وتتجاوز شيئًا أبيض

(1) Sideways فيلم أمريكي أنتج عام 2006.

يقول الرجل الثرثار إنها جرينلاند. أيسلندا من ناحية أخرى تبدو خضراء جميلة. يستغرق الشخص الثرثار الدقائق العشر التالية لشرح نظريته حول هذا الإشكال: عندما اكتشف الفايكنج النرويجيون أيسلندا قبل عام ألف ميلادية، وجدوا فيها رهبانًا أيرلنديين، وهم مَنْ أطلقوا على الأرض اسمَ جزيرة، أو أرض المسيح، فقد كان يسوع "عيسو/ إيسو" في لغتهم. ومع ذلك، حوّل الفايكنج اسمَ المنفذ إلى "أيس"، أنا سعيدٌ لأنهم فعلوا ذلك؛ وإلا كنتُ سأسافر إلى كرايستلاند. "موافق، رائع. ماذا عن جرينلاند إذن؟" يسأل لاعب كرة السلة.

"أراد المستوطنون الأوائل أيسلندا بأكملها لأنفسهم؛ لذلك أطلقوا على الأخرى اسم جرينلاند، بحيث تذهب الموجة التالية من المهاجرين إلى هناك وليس إليهم. كثير من الناس يقولون إنها كانت أوّل خُدعة علاقات عامّة في التاريخ. حقًا يجب أن يكون العكس. يجب تسمية جرينلاند باسم أيسلندا وأيسلندا بجرينلاند".

رائع. أسافر باسم مُستعارٍ إلى بلدٍ باسم مُستعارٍ. الأمر ليس سيئًا للغاية، لقد سمعتُ عن أيسلندا من قبل.

ذهب أحد أصدقاء ديكان إلى هناك مرة واحدة من أجل صفقة مُربحة للغاية. قال الليالي مُشرقة والفتيات طويلات. أم العكس؟ إنها جزيرة صغيرة (آه حسنًا، إنها أكبر من كرواتيا مرّتين) في وسط شمال المحيط الأطلسي.

تُظهر مجلة رحلة الطيران أراضٍ هلاليةً ووجوهًا ساطعة. الصخور الطحلبية والسُّترات الصوفية الضبابية. يقولون إن أيسلندا بلادٌ حديثة وساخنة، ولا تزال نَشِطةً للغاية، وتهتزُّ من الانفجارات والزلازل يوميًا تقريبًا، مع غليان الماء والحمم البركانية التي تتفكّك عبر السطح. أتساءل ما الذي جاء بالقسّ ديفيد فريندلي لهذا المكان البعيد؟ هذا أنا، هذا هو. عليّ أن أبدأ في التفكير مثل القسّ. بارك الله روعي.

أحاول مرةً أخرى أن أعثر على الوضع الصحيح لساقَيَّ اللتين
تؤلمانني.

لدى كل المضيفات أجسادٌ لطيفة، ويتحدثن الإنجليزية بثقة فائقة.
فتيات مُشرقات، ليالٍ طويلة. نعم، هكذا كان الأمر. يبدو أن المظهر
الأيسلندي عبارة عن مزيج بين جوليا ستيلز وفيرجينيا مادسن⁽¹⁾.
وجوه عريضة، وجنتان غائرتان، عيون ميتة وشفاه باردة. قدّمت لي
إحداهن صينيّةً طعامٍ ومنّحتني ابتسامةً بريئة كما لو أنها تُلاطفُ
جروًا. حتمًا بسبب طوق الكلب اللعين الذي أرتديه.

لم أعد رجلاً. أنا كاهن. هذا ما تفعله تلك الياقات، تُبعد الخطيئة.
أو تبقيها كلها في الداخل. يبدأ عقلي في التحرُّر من مونيتا وأنا أحاول
تخيّل نفسي في الفراش مع إحدى تلك العوريات الشماليات. لا أفلح.
مونيتا لها اليد العليا. أفتقد بشرتها الناعمة بالفعل.

إنهم يجعلونك تدفع مقابل الطعام. أجد بعض الفواتير المقدّسة
في محفظة فريندلي وأرسل له خالص شكري. اكتشفتُ أن مذاق طعام
شركات الطيران ليس أفضل حتى عندما تدفع ثمنه. ربما تتوقّف براعمُ
التذوّق لديك عن العمل على ارتفاع خمسة آلاف قدم. فجأة يرفع
المتذّاكي صوته كما يرفع كأسه من النبيذ الأحمر ويتسمم إذ يقول
لي وللاعب كرة السلة "سكال!"⁽²⁾. في البداية، أعتقد أنه كان يشرب
نخبَ تسريحة شعري الجديدة، لكنه أوضح أن هذه هي النسخة
الأيسلندية من "نخبك!" اعتاد الفايكنج على الاحتفال بانتصاراتهم عن
طريق ملء أدمغة ضحاياهم بالنبيذ.

أحبُّ هذا البلد بالفعل.

(1) مُمثلتان أمريكيتان.

(2) Skál. تعني "نخبك"، لكن الكاتب يتعمّد تحريفها من الكلمة الأيسلندية الأصلية إلى
"Skull"؛ لتعني حُمجمة.

بعد العشاء أحاول النوم. أحتاج حقًا إلى قيلولة ما بعد القتل. لكن يبدو أنني الوحيد الذي يريد أن يغلق عينيه. يصيح القايكنج من أجل جمجمة كونياك أخرى. ثم بدأ الكابتن يضبط صوته عبر الإرسال. وضبط صوته الأجش إلى أقصى حد في مكبرات الصوت العلوية. كما يفعل كل زملائه في جميع أنحاء العالم، يتحدث باللغة الجوية، لغة السماء البائدة.

هذه المونولوجات في قمرة القيادة تبدو لي دائمًا مثل صلاة لاتينية، تطلب الإذن من الله لعبور حديقته. مدة هذا المرور أربعة عشر دقيقة.

أغمض عيني. أن تكون فريندلي⁽¹⁾ هو طوق حديدي حول رقبتني.

يمكنني سماع المضيفة تأخذ طلب شراب آخر خلفي من اثنين من القايكنج السعداء. وفي الممر، قامت مجموعة من النساء السمينات بشرب كميات كبيرة أعادتهن إلى أيام المدرسة الثانوية. يبدو أن الأيسلنديين مرتبطون بالروس، الذين لا يستطيعون مغادرة وطنهم الأم دون أن يثملوا حتى النهاية، ولا يعودوا إليه أبدًا بكامل وعيهم. يدفعني هذا للتفكير في إيفيكا العجوز، الذي كان يعيش في شارعنا في سبلت. كان يخاف من زوجته للغاية لدرجة أنه لم يُشجعه شيء على النزول إلا الشرب كلما أراد مغادرة المنزل، ولم يجرؤ أبدًا على العودة ما لم يفقد وعيه سُكرًا.

"سكال!" "سكال!" أسمعهم يقولون ورائي، في كل مكان حولي. أتخلّى عن النوم وأفتح عيني الكهنوتية. الآن حان وقت البيع. لقد حوّلوا الطائرة إلى مركز تجاري طائر، حيث تنشغل جميع المضيفات بتشغيل بطاقات الانتماء وتوزيع النظارات الشمسية وربطات العنق الحريرية.

(1) Friendly أيضًا تعني ودود.

لم أرَ ذلك من قبل، ولا حتى على متن طيران إيروفلوت⁽¹⁾. يبدو أنه مزيجٌ فعّال ولكنه مميت: الشُّرب والتسوق. أفكّر أن سلسلة متاجر ماسي وبلومينجديلز حتمًا لديهما ثلاثمائة ألف حانة مفتوحة في أقسام الرجال والنساء. أو ربما لا توجد متاجر في أيسلندا؟

بالرغم من صلاة الطيار، استمرّت الملائكة في قرص ساقَيّ ولَكم ضميري الذي حسبْتُ أنني فقدته. عادةً لا تحمل مهنتي أي آثار جانبية، مع ذلك أشعر بالتعب بعد أي عملية. قيلولة ما بعد القتل أقرب إلى قيلولة ما بعد الجنس. بالرغم من قِلّة الجهد البدني (إنها تفضل دائمًا أن تكون فوقِي)، فالإنجاز الداخلي يتطلب القليل من الراحة.

أتخلّص أخيرًا من التَّسَوُّق الثمل لزملائي المسافرين، وأخلد إلى النوم مع مونيتا فوقِي- كُرتاها المدهشتان تتقافزان، وشعرُها الأسود الطويل يدغدغ صدري المنتفخ كطرف لحية الإله البيضاء الطويلة إذ تلامس روعي المريضة.

(1) Aeroflot: الخطوط الجوية الروسية.

4

"القش فريندلي"

2006/05/16

يوقظني الهبوط. إنه أمرٌ قاسٍ مع اهتزاز الطائرة في كل مكان، من المقدمة إلى الذيل.

بعد فترة طويلة من مُلامستها الأرض يرنُّ صوتٌ مُبهر ومثير عبر السَّماعات، باللغة القمرية أولاً، ثم باللغة الإنجليزية، يرحَّب بنا في درجة حرارة محلِّيَّة تبلغ ثلاث درجات مئوية.

أعتقد أن أيسلندا هي الاسم الصحيح بعد كل شيء. الصور لم تكذب. تبدو مثل القمر. لا شيء سوى الحقول الصخرية الرمادية التي تعلوها الطحالب والجبال الزرقاء الصغيرة عبر المدى. ظنَّي أنها حُمَم بركانية. حقول الحُمَم البركانية، هذه جزيرة بركان.

منحتني المضيفه ابتسامةً أفلاطونية أخرى إذ أغادر الطائرة. الممشى مصنوع من الزجاج. تبدو المناظر الطبيعية وكأنها

تصميمٌ ضخمٌ لمجموعة أفلام حرب النجوم. أحاول دخول هذه الأرض الغربية كزائرٍ عاديٍّ، أحاول جاهِدًا أن أمشي مثل الرجل الذي قَتَلْتُهُ الليلة الماضية، وهو يتأرجح في حقيته السوداء ككاهن سعيد، مرتديًا حذاءه الأسود بالكامل، وقميصه وسترته ومعطفه، بالإضافة إلى الياقة البيضاء. ولم أخلع الجينز؛ فأنا قسٌ معاصر.

أتبع لاعب كرة السلة داخل المحطة. إنه صغير جدًا بالنسبة لمهنته، أقصر حتى من ستٍّ أقدام. ربما يشحنون جميع اللاعبين الصغار إلى بطولات الدوري الصغيرة. قال الرجل المتذاكي إن الأمة الأيسلندية تبلغ ثلاثمائة ألف شخص وحسب. هل هذا قانونيٌّ حتى؟ بدا أن حيَّ ليتل إيطالي دولةً لها عَلمُها الخاص وكل شيء. إنهم فريق أولمبي صغير، حتمًا سيحصلون على الميدالية الذهبية في إطلاق النار أمام المطاعم.

يقودني لاعب كرة السلة إلى إدارة الجوازات، حيث اصطف طابوران أمام قفص زجاجي يضم ضابطَيْن.

أحدهما لشعوب الاتحاد الأوروبي والآخر لبقية العالم. أحاول أن أتذكّر ما إذا كانت روسيا عضوًا في الاتحاد الأوروبي عندما أدركت أنني أمريكي الآن. أنا فريندلي!

يتحرك الصَّف بسرعة كبيرة. أقول لنفسِي إن هذا سيكون سهلًا. أجد جواز سفر رَجُل الدين في جيب الصدر الداخلي لمعطفه الأسود، وأمضي نحو الكشك الزجاجي، وأسلّمه إلى الضابط، وهو رجل ذو بشرة داكنة ولحية رمادية. يفتح الجواز ثم يقول شيئًا بلُغَتِهِ، فأعطيه نظرة فارغة.

وبينما يُكرّر حديثه أدرك أنه يتحدث الروسية. اللعين يتحدث الروسية اللعينة.

"معدرة؟" أقول.

"ألا تتحدث الروسية؟" يسأل باللغة الإنجليزية.

"لا، لقد وُلدتُ في الولايات المتحدة".

يحمل جواز سفرى. "يقول هنا إنَّك وُلدتَ في سمولينسك؟".

وفجأةً صارت جميع الأوردة في رقبتى سميكةً مثل الأوتار على جيتار "البيز" الكهربائي. اللعنة. أعطيته جوازَ سفرٍ خاطئ! أعطيته جواز سفرٍ إيجور. أنا إيجور الآن، لستُ فريندلي. اللعنة، اللعنة الكبرى.

"إيه... نعم، حدث في الواقع، لكننا انتقلنا... انتقل والدائ إلى أمريكا عندما كان عمري ستة أشهر، وهكذا، في ذهني...".

"إذن أنت تعيش في أمريكا منذ ذلك الحين؟".

"آه نعم.. نعم.. بالضبط".

أشعر بالارتياح.

"لكنَّك تتحدَّث بلكنة سلافية؟" يسأل اللعين. ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ طريقة هذا الرجل مؤهلة جدًا لوظيفته. أستاذ الفيزياء الروسي العادي الذي يعمل كضابط مراقبة جوازات السفر؟

"آه نعم، إنها قصة غريبة نوعًا ما. والدائ... والدائ... كنتُ أعيش بمفردي مع والدَيَّ طوال طفولتي، في أعماق الغابة، وتعلَّمتُ منهم اللغة. كانوا يتحدَّثون الإنجليزية بلهجة روسية قوية جدًا... لكنة روسية قوية جدًا".

نظر الضابط إليَّ لمدة ثانيتين طويلتين. ثم انحرقت عيناه إلى الياقة. "أنت قس؟".

يصعب فهم لهجته.

"آه... نعم. أنا القس... القس إيليتش".

أصبح الأمر سخيًّا.

"لكن هذا ليس مذكورًا في جواز السفر" اللعنة. إنه صربي لعين،
عنيذ للغاية.

يطلب مني الانتظار ويترك كُشكهُ الزجاجي. أسمع تنهّات
مضطربة في الصف خلفي فلا أنظر إلى الوراء.

بعد دقيقة عاد إلى الكشك برفقة ضابط أكبر سنًا يرتدي قميصًا
أزرق. إنهم ينظرون إليّ كزوجين مثليّين يقومان بتجربة أداء مجموعة
من ثلاثة أشخاص. أخيرًا، قال الأكبر سنًا بلهجة عرفتُها من الرجل
المتذاكي والمضيفات: "أنت كاهن؟".

"نعم".

"ماذا تفعل هنا في أيسلندا؟ هل أنت هنا من أجل العمل أم...؟".

أخيرًا أجد صوت إيجور. روحه الأرثوذكسية الحقيقية.

"وظيفة القس كلها مُتعة، ولكن يمكنك تسميتها عملاً إذا أردت".

صاحب القميص الأزرق يبدو منبهراً. نظر إليّ للمرة الأخيرة، وسلّم
لي جواز السفر. قال لي: "حسنًا. إقامة سعيدة".

خراء! كيف يمكن أن أكون مُهملاً لهذه الدرجة؟ كيف يمكنني...
أم لا. ربما كان هذا أكثر شيء صحيح يمكن القيام به. من المحتمل
أن يكون الفيدراليون قد عثروا على جُثة القس فريندلي الآن. كم
سيستغرقون من الوقت للتعرف عليه؟ وعندما يفعلون ذلك، يُفضّل
ألا يكتشفوا أن شخصًا ما يركب أمواج البحار الشمالية بجواز سفره.
نعم، كان مجرد حظ.

أتابع تدفُّق الرُّكَّاب بشكل أكبر داخل مبنى المطار. هناك سجادة على أرضية الردهة، ويقطع الصَّمْت الناعم صريرُ أحذية السيد فريندلي الجلدية. حذاء إيجور الرياضي موجودٌ داخل الحقيبة بجانب سُرته الجلدية. وصلتُ إلى القاعة الرئيسية وأنا أتساءل ماذا أفعل.

أمضي إلى مكتب وأطلب رحلات طيران إلى فرانكفورت وبرلين ولندن، أي مكان غير هنا. ثمة رحلات طيران -كما تقول الأم الشقراء المثيرة- لكن تمَّ حَجْزُها جميعًا. الموعد التالي المتاح هو ثلاثة أيام من الآن، إلى كوبنهاغن ثم إلى زغرب. أتساءل ماذا ستقول حقائبي عندما لا يطالب بها أحد. وَجَدْتُ بطاقة فيزا إيجور واشتريتُ له تذكرةً إلى وطن توميسلاف. ينظر السيد فريندلي إلى توكسيك إذ يوقِّع على اسم السيد إلتش. فجأةً أصبَحَت حياتي البسيطة مُعقَّدة للغاية. كعكة هويَّات مُتعدِّدة الطبقات.

توصيني الشقراء الناضجة بالذهاب إلى المدينة وتعطيني عنوان فندق. تقول بابتسامة: "إنها أربعون دقيقة فقط بالحافلة". آه، حسنًا. أعتقد أن ثلاثة أيام في أرض الفايكنج لن تؤذي. ومع ذلك، فإن ثلاثة أيام بدون مُسدَّس ستكون صعبةً على توكسيك.

ينقلني سُلَّم متحرك عبر رحلة أخيرة، وأمشي عبر صالة الأمتعة المزدحمة. بوابة الخروج مُقسَّمة إلى قسمين: واحدة لمن لديهم ما يصرِّحون به، وأخرى لمن ليس لديهم. تسألني هويتي الأخيرة عمَّا إذا كان يجب عليَّ ألاَّ أغتتم هذه الفرصة لأعلن أنني مُذنب بارتكاب سبع وستين جريمة قتل، لكنَّ أطوِّح بكل الملائكة بعيدًا مثل سحابة بعوض.

تنتظرني مفاجأة خارج بوابة الخروج. في منطقة الاستقبال الصغيرة، يقف رَجُلٌ ذو شَعْرٍ ناعم وامرأة ذات شعر كثيف، يحملان لافتة تقول: الأب فريندي. لا أشعر بالاتساق مع نفسي (أعتقد بسبب تعدد الذوات) أرتكب خطأ فادحًا إذا توقفتُ أمام اللافتة اللعينة، وأنا أرثدي الياقة اللعينة! سيفهمون على الفور.

"السيد فريندي؟" تبسم المرأة وتتحدث بلهجة مألوفة أكثر فأكثر.

أنا على وشك أن أنكر، لكن رأيت فجأة شرطيين يقفان على مسافة أبعد في الصالة، بالقرب من المخرج؛ لذا قبل أن أطلق شفتي، تستحيل "لا" إلى نعم. وانتهى أمري، سأجبر خلال الساعات القليلة القادمة على أن أكون فريندي اللعين.

ها هو القاتل يصبح ضحيته.

"أنا مسرور جدًا لرؤيتك يا سيد فريندي. هل كانت رحلتك جيدة؟"

يسألني الرجل ولكنه أيسلندية قوية جدًا. ألاحظ أسنانه السيئة عندما يبتسم.

"نعم، نعم، كانت جيدة" فجأة أكره لهجتي. ليست من فيرجينيا بما يكفي على ما أعتقد.

"بالكاد تعرّفتُ عليك!" تقول المرأة "تبدو أصغرَ حتى من صورك على موقعك الإلكتروني". دائمًا ابتسامة كبيرة.

لديّ مَوْقعٌ إلكتروني؟

"حقًا؟ أنت... رأيتني هناك؟" أغغم.

اللعنة. أنا قاتِلٌ مُحترِفٌ ولستُ جاسوسًا.

"نعم بالطبع!" تستمرُّ المرأة. "لكننا لم نشاهد برنامجك التلفزيوني".

إلهي. لديّ برنامج تلفزيوني؟ أودُّ أن أرى ذلك.

أقول: "لن ترغب في رؤية ذلك".

"أوه؟ بالطبع! نودُّ أن نرى ذلك!" يصيح كلاهما بصوت عالٍ مثل الأطفال الذين يتناولون الحلوى. إنهم مجموعة سعيدة. أعتقد أنها إرادة الله. يقدمون أنفسهم، أسماؤهم لا تُصدّق. إنه جودموندور⁽¹⁾ (حتمًا اسمه المسرحي) واسمها أقرب إلى سيكريدر⁽²⁾. أتساءل ما هي ألقابهم الأمريكية: جو وسي؟ فحّتي "تومو" كان طويلًا جدًّا على الأمريكيان. كلُّما زاد عدد الأشخاص، كلُّما قُصُرَت أسماؤهم، وكلُّما قلَّ عدد الأشخاص، كلما طالت الأسماء.

فجأة نظَّرت إليّ سيكريدر وسألتني: "أليس لديك أيُّ أمتعة أيها الأب فريندي؟".
أتوقَّف للحظة.

"كلَّا. الكلمة هي متاعي الوحيد".

يضحكون مثل الهامستر الكرتوني السعيد. أشعر كأنني مُمثِّل قام للتو بخطوة مُهمَّة في تطوير شخصية جديدة. هلولويا!

إنهم يعبرون بالأب فريندي لما بعد الشُّرطيَّين (أعطيتهم نظرة مُباركة) ويخرجون إلى ساحة انتظار السيارات حيث الجو بارد مثل الثلجة. وأنا الذي كنت أطلُّع إلى نبع البحر الأدرياتيكي، وأن أروِّج عن نفسي على نهر ريفا، وأرتشف البيفو⁽³⁾ وأراقب المؤخَّرات

(1) Goodmoondoor: يتعمَّد الكاتب العبثَ بالأسماء الأيسلندية الأصلية: إشارة إلى صعوبة نطقها، فيكتب أقرب نُطق إنجليزي لها، والترجمة الحرفية لهذا الاسم كما نطقه الكاتب هي باب القمر الطيب.

(2) sick reader: أو القارئة المريضة.

(3) Pivo: البيرة بالكرواتية.

المشدودة بسرويل الجينز بإحكام، مع صوت كعب عالٍ يخطو على بلاط الحجر الجيري الأبيض. آه، فتيات سبلت⁽¹⁾.

لكن لا. بدلاً من ذلك، أقف في موقف سياراتٍ قُطبيٍّ أجمع كلَّ قشعريرة تتنابني، وأراقب انعكاس نفسي الجديدة الصَّلعاء في نافذة سيارة لاند كروزر فضيَّة (يمكنني في الواقع، أن أنجح في كوني كاهنًا)، يشير اثنان من الغرباء إلى أنه يجب عليّ أن أركب السيارة.

أخبروني أن السيارة قد بازَّكها بالفعل وجود بيني هُنَّ العظيم⁽²⁾. يبدو أن جودموندور وسيكريدر على قائمة الإنجليَّين المحترفين. يدرون قناة تلفزيونية مسيحيَّة مَحَلِّيَّة صغيرة تُسمَّى آمين. بعد دقائق، كنَّا ننزلق في حديقة القمر بينما يتولَّى جودموندور القيادة.

"لدينا العديد من البرامج التلفزيونية المسيحية من أمريكا. بيني هُنَّ بالطبع، وكذلك جويس مايرز وچيمي سواجارت وديفيد تشو. ولدينا أيضًا عرضنا باللغتين: الأيسلندية والإنجليزية أيضًا. نحن على شاشة التلفزيون كل ليلة، أنا وزوجتي. أحيانًا نكون معًا وأحيانًا كلٌّ بمفرده. سترى."

هذا هو جودموندور، يتحدَّث بإنجليزية البدائية، وتجلس زوجته حَسَنَةً المظهر بجانبه وتبتسم لي في المقعد الخلفي. يكمل زوجها: "إذن، عمَّ ستحدَّث الليلة؟ أي نصَّ ستحدَّث منه؟".

"حسنًا... الليلة؟" أسأل.

"نعم. ستكون ضيفًا خاصًا في برنامجي الليلة."

"على التلفاز؟".

(1) Split ثاني أكبر مدن كرواتيا.

(2) Benny Hinn: واعظ ديني تلفزيوني وُلد في يافا.

"نعم!" يضحك بكل أسنانه الملتوية، تقريبًا مثل المجنون.

"آه... فهمتُ. ظننتُ أنّي...".

لقد أنقذني هاتفي المحمول. كُتب على الشاشة "نيكو" وبدون تفكير أُحيّيه بالكروايتية: "بوك". نيكو هو المساعد الشخصي لديكان، الرجل الثاني. يسألني أين أنا، فأخبرته بالحقيقة المذهلة، حتى حقيقة أنني أجلس في سيارة فرقة نجوم مسيحية في طريقي إلى أول قُدّاس تلفزيوني.

أخبرني أن الهبوط هنا ليس سيئًا للغاية في النهاية (هل يعرف حتى أن أيسلندا بلد؟) لأن الأمور تزداد جدية بعد الإخفاق الكبير. يقول: "لقد أفسدت الأمر بشكل سيئ يا توكسيك". ذهب بالفعل الفيدراليون الغاضبون⁽¹⁾ - كما يُسميهم - إلى المطعم، واقتحموا بيتي أيضًا. حتى إنهم زاروا والدتي هذا الصباح، في متجرها الصغير لبيع الأجهزة في قلب مدينة سبلت، وكسروا ذراعها. يقول نيكو إن ديكان غاضبٌ حدّ الإخفاء. "إذا كنت في أيسلندا اللعينة، فابق هناك!" يصرخ. "لا تذهب إلى زغرب أو سبلت ولا تأتِ إلى هنا! فقط ابقِ في مكانك وابقِ.أ".

كما ذكرنا، هذا اختصار لـ "اختبئي قدر الإمكان". أتساءل ما إذا كان برنامج جودموندور التلفزيوني يندرج ضمن هذه الفئة. عندما أغلقتُ هاتفي المحمول، التفتت سيكريدر نحوي مرّة أخرى تسألني عن اللغة التي استخدمتها للتوّ. أقول "إنها كروايتية" "أوه؟ إذن أنت تتحدّث الكروايتية؟".

"نعم، لدينا بعض الكروات في كنيستنا".

(1) Fed ups من Fedrals.

"من أين أنتَ في الأصل؟" يسألني هذا السائق جود مون^(١).

"في البداية كُنَّا جميعًا أبناء الله" كم أنا بارع. "ولكن إذا كنتَ تسأل عن لهجتي، فليست هذه الأصلية، يمكنك أن تقول إنني كنتُ مبشِّرًا لسنوات عديدة في جمهورية يوغوسلافيا السابقة".

"أوه حقًا؟" يتساءل كلاهما.

"نعم. نشر كلمة الله الطيبة في دولة شيوعية. كان ذلك خِراءً صعبًا يا رَجُل. أعني خِراء مُقدَّسًا قاسيًا. وكوني أمريكيًا هناك، يا رجل، كان ذلك انتحارًا صريحًا. كان عليَّ أن أتَّخذ اسمًا آخر وأن أتخلَّص من لهجتي الأمريكية تمامًا. أطلقوا عليَّ توميسلاف، توميسلاف بوكشيتش. في الوقت الحاضر يعتقد الجميع أنني من هناك. لكن لا، أنا أمريكيٌّ مائة بالمائة. لديّ حتى أقراص مُدمَّجة لكلاي أيكين^(٢) في المنزل. في الواقع، عاشت عائلة فريندلي في فرجينيا منذ القرن الثاني عشر".

اعتقدتُ أن هذا مُبالغٌ فيه. "معذرة، منذ القرن الثامن عشر".

يستقبلون كل شيء بابتسامة. أشعر بنبضة -جنبًا إلى جنب مع دقَّات قلبي مباشرة- خرَّجت من فيلم إثارة ما، وذلك قبل أن تسأل المرأة: "كم عُمرُك أيُّها الأب فريندلي؟".

"أنا... وُلِدْتُ في العام خمسة وستين، هذا يجعلني... آه... أربعين".

"لقد كنتَ صغيرًا جدًّا عندما كنت في...".

"في يوغوسلافيا؟ نعم بالتأكيد. أنا متأثر بها بشدَّة. لقد مرَّرتُ ببعض الأوقات الصعبة حقًّا هناك".

(١) اختصارًا لاسمه: Goodmoondoor

(٢) معني وممثل أمريكي ولد عام 1978

إنه صباح مُشرق وبداية شهر مايو. أعني في الصباح الباكر من أوائل شهر مايو، والشمس على وشك أن تُشرق من خلف الجبال التي أمامك. سماءهم لا تحتوي على غيوم على الإطلاق، وعلى الجانب الأيسر، يحافظ المحيط على الأمواج تحت سطحه الرمادي والأخضر.

ما زال المشهد يبدو باردًا كما هو. قد يبدو القطب الشمالي مثل مسيرة الغرب الأوسط. هناك بعض المنازل الشاغرة منتشرة على طول الساحل. يخبرني مضيفاي أنها "منازل صيفية"، لديهم صيفٌ هنا إذن.

استغرقت الرحلة خمس ساعات، وكان فارق التوقيت متماثلًا تقريبًا: مرّت ليلة كاملة من مرحاض في مطار جون. ف. كينيدي. كان قتل فريندلي هو أول جريمة قتل باليد لي منذ ذلك الصبيّ ذي الشارب في كينين. لقد استخدمتُ يدي، وهي خدعة تعلّمناها من الرفيق بريزميتش، الأقدم في كيبنتا، المحارب المخضرم في الحرب العالمية الثانية، ذي الخياشيم الكبيرة والخدين الغائرين. اعتاد أن يقول: "الأمر أشبه بإطفاء شمعة، يعتمد كل هذا على الموقع والسرعة. الإنسان هو الشمعة، والحياة لهبها. أطفئ اللهب وسوف يموت".

بريزميتش قديم وبارع. قطعوا ثديي زوجته وأجبروه على أكلهما.

يوجد مُلصق على ظهر مقعد السائق. إنه باللغة الإنجليزية: "وَيْلٌ للقائلين للشرّ خيرًا، وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا، والنور ظلامًا، الجاعلين المُرّ حلوًا، والحلو مُرًا (إشعيا 5:20)".

أوه يا رجل! أخيرًا تشرق شمس الساعة السادسة من حافة الجبل الحادّة. مثل دجاجة مُشرقة من بيضة زرقاء... تضيء الطريق.

"نحن نسير في طريق النور!" يقول جودموندور ويتّجه نحوي بابتسامة كبيرة وسعيدة. "طريق النور!".

5

جان هولدر⁽¹⁾

2006/05/16

يدعونني للبقاء في منزلهم. "لم نسمح لنزلتنا بالبقاء في الفندق أبداً. بيتنا هو بيتك" يؤكد لي جودموندور فأشكره. إنها قِبلًا صغيرة في الضواحي على طابقين مُشمسين، في حيٍّ يُسمَّى جارد ذا بير⁽²⁾ أو شيء من هذا القبيل، يقع بين وسط المدينة والمطار؛ لذلك ما زلت لم أر ريكيافيك الشهيرة التي فرأت عنها على متن الطائرة: "المدينة الأكثر سخونة في أوروبا، العاصمة الرائعة".

يبدو أن هذا هو المكان الذي يتَّجه إليه تارانتينو إذا أراد استغلال شهرته. من حُسن الحظ أنه لم يكن بجواري في الحمام؛ فحينها كنت

(1) Gunholder؛ تعني حرفياً: "حامل المسدس".

(2) Guard the-beer؛ يُعرِّف الكاتبُ الأسماء عن عَمْد بما يتوافق مع لحن الكلمات.

سأدخل المدينة في سيارة ليموزين بيضاء، مع سلسلة ذهبية حول رقبتني وجواز سفر درجة شديدة الأهمية الخاص به في جيبتي، وألوح من النافذة للفتيات الصغيرات اللاتي اصطفن على جانب الطريق حاملاتٍ مُلصقات قديمة لفيلم "خيال رخيص"⁽¹⁾. بدلاً من ذلك، عُرض عليّ مقعدٌ في مطبخٍ صامتٍ في الضواحي، بلا نساء في الأفق.

تُعدُّ سيكريدر طاولة إفطار رائعة مع القهوة والخبز المحمص وبيضتين مسلوقتين تجعلني على الفور أفكر في خصيتي ديكان اللتين يُهددهما غضبه. ماذا يقصدان بحق الجحيم بأنه كان خطئي؟ إخفاقي اللعين؟ لقد قتلْتُ الرَّجُلَ المناسب. ثم اتضح أنه كان من مكتب التحقيقات الفيدرالي. هذا ليس خطئي، بل يَحِقُّ لي أن أغضب أنا منهم.

قال جودموندور بعد جلوسنا: "إذا سمحت أيها الأب فريندلي، إننا نطلب من كل ضيفٍ أن يتلو صلاة".
"نعم بالطبع".

مرةً أخرى كم أنا نادم لأنني لم أقتل تارانتينو بدلاً من هذا القس. لكنه من ناحية أخرى لم يكن سهلاً أن أعبت بكاتب فيلم "خيال رخيص". نعم، أظن أنني محظوظ، فعلى الأقل الرَّجُلُ يُشبهني قليلاً، على الأقل يعتقدون أنني هو. ظنني أن هذا تخفُّ أكثر من رائع.

موافق، ها نحن ذا، صلاة المائدة، أحنني رأسي وأغمض عيني.

"إلهي العزيز، أيها العزيز الحبيب. شكراً على هذا، هذا البيض. شكراً لك على... شكراً لك على وجود أشخاص ودودين... ودودين هنا. أشكرك على إرسالك إلى هذه الجزيرة الجميلة ومقابلة هؤلاء

(1) Pulp Fiction فيلم أمريكي أنتج عام 1994.

الجميلين... أولئك الطيبين الأخيار. أشكركم على إعطائي ملاذًا آمنًا في بحر المشاكل، وكذلك الإفطار. آمين".

ليس سيئًا جدًا. يَهْمِهْمُون بـ "آمينهم"، ثم يتسمون مرةً أخرى. "هل لديك العديد من الأشخاص في مؤسستك، أيها الأب فريندلي؟". أفقد سيطرتي على الوضع هنا. بالصدفة يجيب توكسيك على السؤال: "حوالي أربعين".

"أربعون ألف؟".

"أربعون ألف؟ أوه، نعم حوالي أربعين ألفًا. أربعين ألف عضو مُسَجَّل. لكن ينضمُّ إلينا الملايين من الأشخاص كلَّ أسبوع".

أذكر نفسي بأن أطلب أحدث تقرير عن التقييمات عندما ألتقي مُنتِج البرنامج الخاص بي في المرة القادمة.

بعد الإفطار أوصولوني إلى غرفتي في الطابق العلوي.

كأنني عُدْتُ إلى المدرسة الكاثوليكية. يوجد صليب مُعلَّق فوق السرير وصورتان فوتوغرافيتان ليسوع المسيح على الحائط المقابل. كِتَان أبيض، ستائر بيضاء، سجادة بيضاء. أخبروني أنني حتمًا مُرهَق من الرحلة الطويلة. قلت: "بلا شك"، ثم اغتنمتُ الفرصة لإخبار جودموندور أنني لا يمكنني الظهور على التلفزيون الليلة.

"أنا آسف، لكن يجب أن أكون مرتاحًا تمامًا عندما أظهر في التلفاز. إذا أراد الله أن يتكلَّم من خلالي، فلا بُدَّ أن أكون فارغًا تمامًا من الداخل".

أتوقَّف قليلًا، نادمًا على استخدامي الكلمات الخاطئة. ينظر إليّ مثل حيوانٍ لاما تعرَّض للخيانة: عيون كبيرة، أسنان طويلة، عُقْ مُشعِر. تهمس زوجته شيئًا عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة قبل أن أكمل:

"أعني، أنا فقط أقول إنه لا يجب أن يعيقني شيء، بحيث يمكن أن تنتقل كلمته من خلالي. لا تعب ولا شيء... يجب أن أكون دائماً في حالة جيدة جداً للتلفزيون".

قال أخيراً: "لكن، قلت في برنامجي إنك ستأتي الليلة وتتحدث إلى الناس".

"أوه؟ هل فعلت؟".

"نعم، لا أستطيع الغش في وعدي لهم، إنهم مُخلصون جداً".

يا للمسكين. يبدو مُنقَطِرَ القلب. لكن لا بُدَّ لي من التفكير في أ.ق.أ الخاص بي.

"كم عدد الأشخاص الذين يشاهدون العرض؟".

أعتقد، بالنسبة لرجل تلفزيون في بداياته، هذا السؤال إجابته نفي. يُقَطَّب وجهه كسياسيٍّ يواجه سؤالاً صعباً، ويجيب بضحكة تلتمس العذر.

"لدينا الكثير من الناس يشاهدون".

فَهِمْتُ، لديه فقط عشرة مشاهدين. "موافق، سوف نرى، فقط اتَّصل بي، بعد الظُّهر".

أنا لا أعرف ماذا أفعل بحق الجحيم. أعطيه رقمي في مدينة نيويورك. يعطي القسُّ لزميله رقمَ قاتلٍ مُحترَف. يقول الرجل الطيب: "حسنًا، هذا جيد". عادت ابتسامته ولكن انحرفت قليلاً من الصدمة التي سبَّبَتْها له اللَّتَوُ. "يمكنك البقاء هنا اليوم والحصول على قسط من الراحة، البيت بيتك. علينا أن نذهب إلى العمل الآن، في محطة التلفزيون".

أشاهدهم من نافذتي وهم يركبون السيارة الفاخرة رُبَاعِيَّة الدَّفْع. يبدو أن المؤمنين يمتلكون دائماً أفضل السيارات. يعلم الله كيف يجازي شعبه، قَطْعاً يعرف أنك بحاجة إلى سيارة دَفْع رُبَاعِيٍّ للوصول إلى الجنة. ترتدي زوجةً الواعظ تَتُورَةً ولها ساقان جميلتان. لو كانت المرأة الوحيدة في كنيستنا وَكُنَّا عالقين في الجبال لمدة شهر، كنتُ سأبدأ أحلم بها في اليوم الثاني عشر.

بقيت وحدي في المنزل. على الرغم من الربيع الجليدي في الخارج، فإن الغرفة دافئة مثل منتصف ليل يوليو في مِمْفِيس⁽¹⁾. هذا هو المكان الذي أُجْرِيت فيه عملية خرقاء تحت جسر قبيح. عندما يتعلّق الأمر بالقتل، فأنا لست عنصرياً، لكن إطلاق النار على السُّود لم يكن أبداً هو المَفْضَل لديّ. وهذا ليس جديداً عليّ.

أَنخَلِجُ إلى نفسي الحقيقية، سعيداً بالابتعاد عن ياقة الله، وقميص فريندلي، وچينز إيجور، وأزحف إلى الفِراش. كم هو وثير ودافئ، وكم هو مكان هادئ بشكل لا يُصَدِّق، يكاد يكون أكثر من اللازم. إنه أعلى صمِتٍ سَمِعْتُهُ. أدرك أنني أعيش في ملهى ليليٍّ منذ عَقْدٍ أو نحو ذلك، والآن خرجتُ أخيراً. أنا أمزح. لا يوجد صوتٌ على الإطلاق لسماعه. إنه صامِتٌ مثل الجمجمة الصربية التي تضعها والدتي على الرُفِّ فوق سريرها.

ثم فجأة غَمَرَت أشعة الشمس العُرْفَةَ. غرفة بيضاء، شمس مُشرِقة. لو استيقظت هنا، في هذا الصمت المشمس، مستلقياً على سرير من الريش الناعم، مع ملاءات نظيفة ومُموَّجة، وصورة مُوقَّعة للرَّبِّ على الحائط المقابل؛ سأعتقد أنني مَيِّتٌ ودخلتُ الجنة. لكن بالطبع لن أذهب إلى هناك أبداً. أنا عالقٌ في زحامٍ مروريٍّ على الطريق السريع المؤدي إلى الجحيم.

(1) Memphis. مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية.

اللغة. الصمت شديدٌ لدرجة أنني لا أستطيع النوم. بالنسبة
لرَجُلٍ عاش في ضوضاء طوال حياته، حيث كانت تُهدِّدهُ للنوم
قنابل شيتنيك⁽¹⁾ ومصارفُ حَيٍّ سوهو؛ من الصعب أن يتحمَّل ذلك.
أستسلم وأذهب إلى الطابق السفلي، أتجوَّل في المنزل ببطن خنزير
يبرز فوق اللباس الداخلي الأسود من كالفن كلاين. صباح جَبَلِيٍّ جميل
يملاً كل نافذة، النور قارس وبارد وقويٌّ للغاية، الجليد والشمس.
ينتابني هذا الشعور السياحي: المفاجأة الغيبة التي تواجهها عندما
تدرك أنها الشمس ذاتها تشرق هنا أيضًا على مدار المليون سنة
الماضية.

هنا أيضًا، في هذه المدينة الواقعة أقصى الشمال، كان الناس
يستيقظون وينامون لقرون.

أتذكَّر عندما عُدْتُ لأول مرة إلى سبليت بعد أربع سنوات في مدينة
نيويورك، وصُدِمتُ عندما رأيتُ أن والدتي قد تقدَّمت في العمر. كنتُ
غاضبًا منها تقريبًا، وكأنها قد خانتني، وبدأتُ أتحدَّث معها عن
تقنيات الترتيب والاستمنا. أعتقد أنني لم أُخلَق للسفر، أنا رَجُلٌ
المكان الواحد. ما كان يجب أن أغادر سبليت. ولكن عندما تقاتل
بشدة من أجل شيء ما؛ تعجز عن الاستمتاع به. أعتقد أنني كنتُ
سأظلُّ في كرواتيا إذا لم يُطلَق عليها اسم كرواتيا.

المنزل مليءٌ بالأشياء الفاخرة، وهذا النوع من الأثاث الموجود في
متاجر الأثاث الفخمة.

أريكة سوداء كبيرة مليئة بالوسائد تملأ ركن التلفزيون، وطاولة
الطعام تلمع مثل قطعة من البورسلين، وكل نافذة مزدحمة بالمرزهرات

(1) Chetniks: حركة قومية صربية قادت حرب عصابات في يوغوسلافيا حين احتلتها قوات
المحور إبَّان الحرب العالمية الثانية.

والتماثيل. ينظر إلى القديس برنارد الصغير في عيني، برميل نبذ مُعلق حول رقبتة، ليتّم كسره في حالة الطوارئ إذا تخلّى الله عنك.

تتميّز الجدران برسومات حقيقية (بعض المناظر الطبيعية الوعرة في إطارات ذهبية) وجميع أنواع الأشياء المصنوعة للتعلق على الحائط- مثل يسوع صغير، وبعض الورد المجفّف، وهذا الشيء الياباني الملوّن الذي لا أعرف اسمه ولكنه يُستخدَم لخلق الرياح حين لا يوجد نسيم. ومع ذلك، تبدو غرفة المعيشة وكأن لا أحد يعيش هنا. تصلح أن تكون تركيبيًا في المتحف الأيسلندي للحياة العصرية. بالإضافة إلى ذلك أرى أنها فاخرة بعض الشيء بالنسبة لأتباع المسيح الأتقياء. أشك في أن أيًا من الرُّسل كان يمتلك شاشةً تَلْفَازٍ مُسطَّحة كبيرة كهذه. ولكن على الأقل كل هذا طاهرٌ طهارةً صَمِيرَ المخلص.

أقوم بتشغيل حوض الاستحمام لأتخلص من اضطراب الرحلات الجوّية الطويلة، وأوقد التلفاز فقط لأستمع مُتعة فعل المشاهدة. تُظهر الشاشة عشرة آلاف شخص يُغنّون في انسجامٍ مسيحيٍّ في إحدى الساحات الرياضية المُغطّاة المتضخّمة في الجنوب. "إلهنا إله رائع!" رائع جدًّا، يجب أن أعترف. المولودون حديثًا نشيطون للغاية، يصرخون مثل الأطفال حديثي الولادة. أنتقل إلى مسلسل الجري، والجميلة⁽¹⁾ حاولت أن أقرأ الترجمة، لكنها تبدو مجرّية بالنسبة لي.

في المطبخ، اكتشفتُ بعض الرسائل المُوجّهة إلى جووموندور إنجلبرتسون وسيجوريور إنجيبيروك سيجورجارتاردوتير. تستغرق قراءة كلّ اسمٍ حوالي دقيقتين. وبالعودة إلى غرفة المعيشة، أجدُ بعض الصور العائلية في إطارات على خزانة كبيرة.

(1) The Bold and the Beautiful: مسلسل أمريكي أنتج عام 1987.

يبدو أن لديهم طفلين. فتاة وصبي. تشبه الفتاة الصغيرة ذات الشعر الثلجي أمها قليلاً. لا يزال المنزل يبدو خاليًا تمامًا من الأطفال. ربما قاموا بتخزينهم بعيدًا في بعض المدارس البطيرية الإعدادية. أو تبرعوا بهم للعمل التبشيري في موزمبيق. هناك صورة جميلة تُظهر جميع أفراد الأسرة في أمريكا: أربع ابتسامات مُقدَّسة في قُدَّاس روديو في الهواء الطلق.

بطريقة ما يُذكّرني هذا بعملية رقم 43. الرُّجل البدين خارج الكنيسة في أتلانتا. قطعَت رصاصتي مسافةً مذهلةً بين مبنين في المدينة قبل أن تدخل رأسه، واحدة من أكبر عملياتي. كان يرتدي قُبَّعة رُعاة بقر بيضاء مصنوعة من اللباد- نوع الخامة التي تمتصُّ السوائل. حين قُدْتُ سيارتي نحوه متجاوزًا المشهد بدا الأمر كله رائعًا جدًا وهادئًا وبريئًا: لقد سقط رَجُلٌ سَمِينٌ على الرصيف، لا شيء أكثر من ذلك. رَجُلٌ سَمِينٌ بقُبَّعةٍ حمراء جميلة.

الماء في الحوض ساخنٌ للغاية. مياه بركان. لا بُدَّ لي من تبريده قبل أن أضع جسدي فيه. أستلقي هناك لمدة ساعة بينما يسافر ذهني إلى المناطق كثيفة الأشجار في جمهورية مونتيا العزيزة الحلوة. مُستَخْلَص البَظَر بنكهة الغابة المُظلمة؛ يقطر شهوة عنيفة تجري على أوراق سمكة. ببطء شديد.

عند الميناء، صادفتُ والدتي واقفةً خارج متجرها الصغير، ترتدي ثُورتها الشيوعية المُرَّوعة وبلوزة مارلين مونرو، بجبيرة بيضاء على ذراعها الأيمن، وبقبضة في يسراها، تضرب الهواء وتصرخ في وجهي: "هذه المرأة الأشبه بدجاج التَّنْذوري هي مُجرَّد مُتعة وليست شريكة! حين تختار زوجةً، عليك أن تجمع بين القلب والعقل. لكنَّكَ لا تتحدَّث إلى أيٍّ منهم وتدع قضيبك يُقرَّر! لقد أَحْبَبْتُ وإِذَكَ لمدة اثنين وأربعين عامًا. أَحْبَبَنِي هو مُدَّة أربعين. أول عامين كان لا يزال

بضاجع چوردانا، العاهرة الصربية. ولكن بعد ذلك سئم منها وأبقى قضيبه في المنزل بعد ذلك. أنت محظوظ لأنك وُلدتَ بعد أن انتهت حياته الجنسية! وإلا لَكُنْتَ وُلدتَ صربيًا وقتلَكَ أخوك في الحرب. دعني أقول لك: الشهوة لا تدوم! وحده الحب يفعل! أنت تحطم قلبي، وتُحطم ذراعي، وتُحطم كل وعودك. أخبرني يا تومو، متى ستعود إلى دراستك؟".

درست هندسة المناظر الطبيعية لمدة عام ونصف في مدينة هانوفر الرائعة بألمانيا. هناك قابلتُ نيكو نيفولجا (المشاعب نيكو) الذي عرّفني على علم الخداع. بدأ كل شيء بصفقات كوكابين صغيرة. ثم انتقلنا إلى تهريب المخدرات والأسلحة النارية، وأخيرًا تعرّفنا على فنّ التلاعب بنتائج المباريات. مساء كل جمعة، نتناول العشاء مع حَكَم كرة قدم مختلف من أحد أعضاء الدوري الألماني في الدرجات الدنيا. لم يكونوا أمتعَ شركاء للعشاء (كنتُ دائمًا أقوم بِكَيِّ قميصي في الليلة التي تسبق المباراة) لكن مشاهدة تمثيلهم في اليوم التالي لم تكن أقلّ من إدمان. التبرُّع بركلات الجزاء والامتناع عن الأهداف الممتازة. اللاعبون غاضبون، والحشد غاضب. وكان كل هذا صنيعَ عَمَلِنَا. كانت المناظر الطبيعية المعماريّة في الخارج، والمناظر الطبيعية الاجتماعية في الداخل. وككرواِت أضفنا لمسةً إضافيةً إليها. سواء فاز الألمان اللعينين في المباريات الدولية ضدنا أو فُزنا بجميع المباريات في الدوري الألماني. وبعد ذلك قُمنا بجمع الأموال من يانصيب كرة القدم. كُنّا نفعل ذلك من أجل الوطن الأم. لقد دمّر حَمَقِي المخلّل الملفوف⁽¹⁾ نصفَ جيل جَدِّي.

أجلس بين الوسائد على الأريكة، مع منشفة بيضاء مسيحية حول خصري، أتصفّح القنوات التلفزيونية المحلية، عندما فُتح الباب

(1) Sauerkraut. تعني العُشب الحامض، ومشهور كفاتح شهية من المطبخ الألماني

الأمامي فجأة، واندفعت فتاة شقراء في العشرينات من عمرها إلى الداخل. تتجه إلى المطبخ دون أن تلاحظ قاتل أحلامها، وتبدأ في فتح كل درج. تبدو في عجلة من أمرها، فتكيل بالشتائم داخل كل درج قبل أن تغلقه بضجة كبيرة. "خراء!".

أخيراً، هناك صمت. لا بُدَّ أنها سمعت التلفاز، وبعد ثوانٍ تقف عند المدخل وتسألني شيئاً يبدو مثل:

"مَن... شاذ؟".

"معذرة".

فتحوّلت إلى انجليزية مثالية:

"مَن أنت؟ ما الذي تفعله هنا؟".

"أنا تو... أنا الأب فريندلي. لقد وصلت للتوّ هذا الصباح، من نيويورك. لقد أخبروني جودموندور وسيكريدر...".

"آها" تنهّد بلا مبالاة وتختفي مرةً أخرى في المطبخ. هناك نجارٌ أصلع على الشاشة يقرأ من كتابٍ حتمًا هو الكتاب المقدس. يبدو أنه قد صنعه بنفسه. لا بُدَّ وأن هذه قناتهم. صحيح، الحرف "أ" يضيء في الزاوية العلوية. يجب أن يُسمّوها "أومين" ⁽¹⁾ بدلاً من "آمين".

هذا تلفزيون بكاميرا واحدة: غط الحياة فيه ساكنٌ، والنبات المليت في الخلفية، وبدلة النجار البولندي، والطريقة التي يُعَدُّ فيها نظره عن الكتاب فقط كل ثلاث صفحات (كما لو كان يتحقق من ضوء التسجيل الأحمر الخاص بآلة التصوير). كل هذا يجعل التلفزيون الحكومي الكوري الشمالي يبدو وكأنه قناة ترفيه إم تي في.

(1) Omen: بمعنى: نذير شوم.

يا للمساكين. لا يمكن لمكانة ديكان كرئيس عصابة كبير أن تتأذى بظهوري على هذه القناة الرديئة. ووفقًا لتعبيرات وجه النجار، فهو يعلم أنه لا يتحدث إلى أكثر من عشرة مشاهدين.

أنهض من الأريكة، وأتأكد من أن المنشقة ضيقة حول خصري، وأتجه إلى المطبخ. أرخي بطني الخجول - فهي دائمًا ما تُشَقَط على مرأى من الفتيات الخطيرات - قبل أن تظهر في المدخل كإصدار حديث ومُضَخَّم قليلًا من أدونيس. لا تزال الفتاة تبحث في المطبخ بسرعة مثل لص.

"أبحثين عن شيء؟" أسألها بنبرة أقرب إلى التريمة، وصوت يشبه صالة الألعاب الرياضية.

"بلى، مفاتيحي" تَتَمِّم في الخزانة. جسدها نحيف، وThديان صغيران، ومؤخرتها مشدودة وصلبة كوسادة هوائية متنفخة بالكامل. إذا كانت المرأة الوحيدة في كتيبتنا وكُنَّا عالقين في الجبال لمدة شهر؛ كنتُ سأبدأ بالحلم بها في اليوم الأول.

"مفاتيحك؟ هل تعيشين هنا؟".

هذا الكاهن يتحوّل إلى معتوه، أو مورمون، أو أيًا كان. تدير رأسها وتنظر إليّ لفترة من الوقت. تنسحب البطن على الفور للاختباء، وترحف بطول الطريق إلى القفص الصدري. الشيء الصغير المسكين يبدو أن الفتاة تأسف لبطني ولا يَسَعُها إلا البحث عنها، فتنزلق عيناها إلى منتصفني، وربما تتساءل عما إذا كان برنامجها يُدْعَم الإصدار المُحدَّث من أدونيس. في النهاية أوشكت أنفاسي أن تنتهي.

لكن منحني هذا وقتًا لفحصها. شَعْرُها أكثر من أشقر، لها لونُ الزُبدة الطازجة في الثلجة، قبل أن تصبح طريّةً وصفراء. تبدو بشرتها ناعمةً بشكلٍ لا يُصدّق، بيضاء مثل جينة فيلادلفيا الكريمة، لم يَمَسَّها أحدٌ في علبتها. الأنف صغير، مع طرف مُتَّجِه لأعلى يشبه

الجزء العلوي من مخروط الآيس كريم، الجزء الأخير الذي يخرج من الماكينة والذي تضعه في فمك أولاً. عيناها زرقاء كمشروب رياضي، وشفاتها السميكتان تلمعان مثل شربات الفراولة.

ووه. خرجت معدتي من الاختباء وبدأت في النحيب مثل طفل يريد تناول الحلوى. أوه يا رَجُل. إنها ليست مجرد فتاة اليوم الأول؛ إنها فتاة الفجر.

"لا، أنا لا أعيش هنا" أخيراً قالت بتنهيدة شديدة مليئة بالانزعاج. "أنا ابتنتهم، أضعت مفاتيحي. لا أستطيع الدخول إلى شقتي. اللعنة! يجب أن أكون في العمل في العاشرة ولا يمكنني الذهاب هكذا!"

إنها ابنة الواعظين على الرغم من أنها تتحدث مثل ملكة حفلة موسيقية وثنية، أو ملكة إباحية. لغتها الانجليزية مأخوذة مباشرة من قناة إم تي في، وتهزُّ رأسها مع كلماتها في تقليدٍ للغة السود. إنها تنتمي إلى جيلٍ موشوم من أساتذة إزالة الشعر بالشَّمع، نشؤوا على أغنية ثونج⁽¹⁾، أولئك العازمين على تحويل المَعْدَة إلى "أثناء جديدة".

يتوَّج هذا الفستان بالذات بِسُرَّة مثقوبة تتباهى بين بلوزة رقيقة ضيقة وچينز أنيق للغاية. تتشكَّل أطراف حذاءها الأسود مثل الكعب العالي، وهي تقطع الهواء بأظافرها البيضاء الطويلة أثناء حديثها.

"هل يُفترض أن تكون المفاتيح هنا؟" أسأل بطريقة أبوية. "بلى. قالت أُمِّي إن لديها مفتاحًا إضافيًا، ولكن لا يمكنني العثور عليه... سحَقًا!"

لقد سبق لها أن قالت "اللعنة"، وهنا تأتي كلمة "س". لقد أنجب الزوجان المقدَّسان عاهرةً.

مكتبة

t.me/soraminqraa

"لماذا لا تهاتفينها" أسألها.

(1) Thong، أغنية هيب هوب صدرت في 1999.

"إنهم يسجلون برنامجها الآن. هاتفي في وضع صامت".

يبدو أنها تتألم من شهرة والدتها التلفزيونية. أشفق على الفتاة المسكينة وأقول:

"ربما يمكنني مساعدتك للوصول إلى بيتك".

"تقصد، بدون مفتاح؟ هل ستستخدم الصليب؟".

"قد نجرب ذلك. صليب وبركة سريعة" أقولها بنبرة ودودة⁽¹⁾ تمامًا.

لقد سيطر عليّ الكاهن تمامًا، فحتي وأنا عارٍ أبدو كرجل دين. نظرت إليّ بمفاجأة في عينيها الزرقاوين بينما أدخل المطبخ، وبدأت في البحث في الأدراج عن سكين يشبه الخنجر السويسري الصغير الذي أحفظ به في جيبتي منذ أعطاه لي الرفيق بريزيميتش على فراش الموت، طاولة مطبخ مهترئة في منزل تعرض للقصف في قرية ق.ك.م (قرية كلها موتى).

بفضل بن لادن، اضطررت إلى تركها ورائي في مدينة نيويورك. آه... ها! أعثر على بديل مناسب.

خرجنا وجلسنا في سيارتها السكودا فايبا المستعملة، أرثدي ثيابي الجديدة، وهنا أسألها عن اسمها.

"جانهولدر" أجابت وانطلقت في الشارع.

(1) يستخدم الكاتب هنا اسم Friendly بشكل مُزدوج.

6

جزيرة ليليبوت

2006/05/16

تقود جانهولدر أعلى تَلْنٍ بالكاد يكسوهما العشب ومبانٍ قصيرة وقيحة. تقترب من مدينة ريكيافيك. يبدو الاسم مثل دوبروفنيك⁽¹⁾، لكنه أشبهُ بمدخل سبليت، بكل الطُرُق السريعة واللوحات الإعلانية بالإضافة إلى الملاعب الرياضية من حينٍ لآخر. (ألاحظ أن المدرجات بالكاد أكبر من المقاعد). تشبه هذه المدينة مَسْقَطَ رأسي، عندها انقسام في الشخصية: مركز تاريخي وصَّواح هيستيرية.

يبدو أنهم حصلوا على نصيبهم من الشيوعية هنا أيضًا. تصطفُ مشاريع الإسكان الخرسانية على جانب الطريق تحيَّةً للماضي التوليتاري. اعتدنا أن نعيش في أحد تلك الوحوش الرمادية قُرب استاد كرة القدم، قبل أن ننتقل إلى وسط المدينة، إلى مبنى أقدم من

(1) dubrovnik، مدينة في البحر الأدرياتيكي في جنوب كرواتيا.

مدينة نيويورك نفسها. أذكر أننا اضطررنا إلى ترك سيارتنا لأن الشوارع الضيقة في البلدة القديمة لا تُدعّم أي حركة مرور للسيارات، ولكن كان أبي يصطحبني وشقيقي الأكبر داريو كلَّ أحد لزيارة يوجو القديمة الحبيبة، حيث لا تزال هناك ساحة سيارات في حيننا القديم القبيح.

تعيش جانهودر في وسط المدينة، بالقرب من "البركة"، وهي بحيرة بَجَج صغيرة بالقرب من الميناء. ها نحن نعود إلى البرجوازية: منازل ذات أسقف جَمَلُونِيَّة ونوافذ فرنسية تملأ المنحدرات المحاطة بالماء، وتُحدّق فيها مثل الضيوف الفخوريين في حفلة رأس السنة الجديدة يقفون في حلبة رقص فارغة. لكننا لم نَصِل إلى هناك بَعْدُ.

لا تزال الفتاة تقود طريقًا سريعًا يُسمّى "كيلينج ماي رابيت"⁽¹⁾ أو شيء قريب من ذلك. يبدو أن الأيسلنديين لديهم ذوق أمريكي أصلي في تسمية الأشخاص والأماكن. أخبرتني جانهودر أننا قُدنا للتوّ عبر بلدة تُسمّى كابوور⁽²⁾.

"ولكن هذه ريكيافيك؟" يسألها الأب فريندلي وهو يضبط الباقة الخشنة على رقبتة السمكة بإحدى يديه بينما يشير إلى الزجاج الأمامي باليد الأخرى.

"نعم، نحن الآن في ريكيافيك."

"يقولون إنها مدينة تارانتيانو؟"

أوووبس. يبدو هذا مُتساهلاً بعض الشيء بالنسبة لِرَجُل كنيسة. أضيف بسرعة: "أعني، المدينة المُفضّلة لتارانتيانو؟".

(1) Killing My Rabbit: تعريف من اسم أيسلندي.

(2) Cop War.

نظرت إليّ بسرعة -مُتسائلةً عمّا إذا كانت تجلس في سيارة مع واعظٍ علملوجي⁽¹⁾ شهير، وهو رَجُلٌ يقضي عطلاته في لعب الجولف مع توم كروز وچون ترافولتا- قبل أن تقول:

"بلى. لقد كان هنا ليلة رأس السنة الجديدة. صديقتي تعرفه، إنه بخير".

كم أنا سعيد لأنني لم أقتله.

بعد خليج يبدو كجزيرة، ثمة جَبَلٌ طويل يحرس المدينة في الشمال. له شَكْلٌ حوتٍ عملاق تقطَّعت به السُّبُل على الشاطئ. تحيط بالمدينة المزيد من الجبال شمالاً وشرقاً، مستلقيةً بطول الأفق مثل النمر الزرقاء التي تتناثر فيها الثلوج البيضاء. يمكنني أن أراها بوضوح مثل أطراف حدائي، بالرغم من بُعدها بُعدَ هامبتونز عن هارلم⁽²⁾؛ وذلك لأن الهواء نظيف كنافذة برج ترامب. المحيط شديد الزُّرْقَة، ويمكنني أن أرى أمواج تتشكّل وتتَّكسر على مدى البصر. كل شيء هنا نقي وواضح تمامًا، كعقلٍ قاتلٍ عديم الرحمة.

ينبعث صوت جاستن تيمبرليك⁽³⁾ من راديو السيارة، ونعجُ الشوارع بالمرور، لكن تخلو الأرصفة تمامًا. يُذكّرني هذا بسرايفو أثناء حظر التجوّل على نحوٍ ما. ظروف ممتازة لطلقات النار من الأسطح إلى أهداف على الرصيف. أغلب السيارات يابانية أو أوروبية، وكلها تبدو جديدة تمامًا. هؤلاء الناس أثرياء حقًا. كل السيارات الأخرى هي سيارات دَفْعٍ رباعي، والعديد منها تقودها ملكات الجليد الشقراوات كالزُبدة مثل جانهولدر. أين كل أزواجهن؟

"هل خُضْتُم حربًا مؤخرًا؟" أسأل.

(1) سينتولوجيا (scientology) فلسفة دينية تستند إلى النظريات العلمية تأسست في 1954

(2) Hamptons and Harlm مناطق في مدينة نيويورك الأمريكية.

(3) مُعَنٌ أمريكي.

"حرب؟ لا، ليس لدينا جيش حتى".

لا بُدَّ وأنتَ تمزحين.

"لماذا تسأل؟" تسألني.

"أنا فقط أتساءل أين كُلُّ الرجال. لا أرى سوى نساء عازباتٍ يَفُقدن تلك السيارات".

"معظم الناس لديهم سيارتان، واحدة له وأخرى لها".

ألقي نظرة على سيارة رانج رووفر سوداء في الحارة المرورية المجاورة لنا. تقودها امرأة تشبه فيرجينيا مادسن⁽¹⁾.

"فهمتُ. لكن هذه لا تبدو سيارة نسائية أليس كذلك؟".

رَمَقْتَنِي جان هولدر بنظرةٍ شَرِسة. "المرأة في أيسلندا مساوية للرجُل".

أنظر إليها لِلْحِظَةِ، ووفقًا للميل الصَّارم لأنف الأيس كريم، عليّ أن أحاول على الأقل أن أصدِّقها. مساوية للرجُل... حقًّا؟

يبدو أنها غاضبة مني، فاختَصَرْتُ في إجاباتها على أسئلتِي اللَّاحِقة. نعم، خمس درجات باردة قليلًا على هذا الوقت من العام، عشر درجات أمرٌ طبيعي (!). نعم، كانت تحتفل الليلة الماضية. ونعم، جاستن تيمبرليك مشهور جدًّا في أيسلندا. (يبدو أنني قرَّرتُ أن الأب فريندلي رَجُلٌ مُمِلٌ جدًّا).

تدخل جان هولدر البلدة القديمة. الأشجار هنا أطول والشوارع ضيقة. تركن السيارة سكودا في شارع جانبي شديد الانحدار، خارج منزل أخضر صغير بسقف أحمر صدئ. هذا المنزل مُغطًى بالحديد المشكَّل من كافة الجوانب كباقي المنازل في وسط المدينة، وكأنه

(1) ممثلة أمريكية.

يستعدُّ للقتل بستره واقية. في الواقع يمكننا استخدام هذا المنزل:
سترات واقية من الرصاص للمباني.

تعيش جان هولدر في الطابق الثاني. يرشم الأب فريندي إشارة
الصليب أمام بابها قبل أن يفتحه بسكين مطبخ صغير من مجموعة
والدتها. تنظر إليه الفتاة كما لو أنها شاهدت للتو معجزةً.

"تفضلي" أقول بأكثر الطرق تديُّناً، ثم أفتح لها الباب. تخبرني أن
أنتظر وتختفي في الداخل. بيتها على النقيض منها تمامًا، إنه فوضى
كاملة. لاحظت وجود بُرج من علب البييتزا الفارغة على رفِّ المطبخ،
الملابس الداخلية والچينز والقمصان والشيكولاته على الأرض، نصف
أحمر شفاه مُستخدم وشطيرة نصف مأكولة. رائحة الجِعة التي ظلت
مفتوحةً لمدة أسبوع. ومع ذلك، بطريقة غريبة، تبدو هذه الشقة
أقرب بكثير إلى المسيح من مكان والدتها. أقرب إلى مخبأ رسول.

تعمل جان هولدر في مقهى بوسط المدينة. هي نادلّة زميلة إذن.
عرّضت إعادة صاحب المعجزة إلى البيت المقدّس، لكنني لا أطيق
العودة إلى حدائق الصّمت هذه. على أي حال، لقد تأخّرت بالفعل
عن نوبتها في العمل. أرافقها سيراً إلى العمل، الكاهن وابنة الواعظ.
إنها تغدُّ السير كساكنة في نيويورك، والأب فريندي يحتاج إلى كل طاقته
لمجاراتها، وفجأة نجتاز السفارة الأمريكية، مبنى طويل بطول ابتسامة
لورا بوش، وبياض أسنانها. الجبهة مُزيّنة بسِتّ كاميرات مراقبة.
يحرس المدخل بعض البلهاء بنظراتٍ ثاقبةٍ في زيٍّ رسمي. أخفض رأسي
وأبدل مكاني مع جان هولدر إذ أمرُ بالسفارة، وأتخذها كدرع بشري
بأسلوب أ.ق.أ. لقد اندهشت من حركتي المفاجئة، ووجهها اللطيف
اللعين يُظهر نفسي الحقيقية اللعينة، فأنذمر سهواً وأمّيتم: "اللعنة"
فتسمعها.

"كاهن يقول اللعنة؟".

أقول "بالتأكيد، يمكننا أن نقول ذلك. نحن فقط لا نستطيع القيام بذلك".

إنها تبطئ قليلاً.

"صحيح. إذًا... لم تَقُمْ أبدًا ب... أنت بتول؟".

"هذا أمرٌ يَخْصُنِي، بينما عليكِ أنتِ استكشافه".

تَبَيَّن أن مقهاها عبارة عن حانة صغيرة رائعة في قلب المدينة تُسمَّى كافيه باريس. يبدو وكأنه ستاريكس من فئة ثلاث نجوم مع قسم للتدخين، لكنني سعيد لوجودي بالداخل، أفرُّك يدي كما لو كُنَّا في يناير.

إنهم لا يمزحون بشأن ربيع القطب الشمالي. تضع جان هولدر مزرها وتحضر لي لاتييه أيسلندي مع جرعة مزدوجة من الضيق. على الرغم من كل ما قدَّمته من معجزات، إلا أنها لا تزال تكره الأب فريندلي ومعدته المنتفخة. يعطيها ابتسامة غبيَّة مُقدَّسة.

"هل يحتفظ والدك بمسدس في المنزل؟".

"مسدس؟ هذا سؤال غريب".

"نعم. في الولايات المتحدة نحتفظ جميعًا بمسدس في المنزل. فما يُدريك خاصَّة إذا كنتِ قِسِيَّاء".

إنها تُدير عينيها المبهرتين. "لا أحد لديه مسدس في أيسلندا. إنها دولة آمنة".

هذا هراء! لو أجريَتْ بعض المكالمات خلال أسبوع ستصبح مُستَعْمرة كروايتية.

إنها الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء، ونحن ثلاثة في المقهى. أحصي فردين في الشارع. إذا كان هكذا وسط المدينة

فلا عجب من صمت الضواحي. تبهر السيارات ببطء. لا يمكنني تخطي كل هؤلاء السيدات الرائعات اللاتي يشبهن زوجات أو بنات المليونيرات، مع نظارات برادا الشمسية، وشعر باربي، وشفاه ممتلئة كالوسائد الهوائية.

وفقًا لقياساتي، جميعهن يتراوحن بين اليوم الثاني إلى اليوم الرابع. وهذا يُذكرني بأسبوع عملي في سويسرا، عندما أوصلتني دراساتي المعمارية إلى قرية صغيرة في جبال الألب للبحث عن منطقة تزُج جديدة تمامًا. شعرت أن الأسبوع شهرٌ.

لقد كانت أكثر هدوءًا من بيلاروسيا اللعينة. كان الأشخاص الوحيدون في الخارج بعض ربات البيوت اللاتي لا يَمَسَّهُنَّ بَشَرٌ، بتصفيفات شعر جوتشي، يتناولن غداء بمئات الدولارات في مطعم القرية، بينما يقضى أزواجهن أيامهم في المدينة، محبوسين في خزائنهم المصرفية.

يذكرونني بملكة إسبانيا، أولئك النسوة اللاتي يرتدين الفراء والكعب أثناء مرورهن ببطء على متاجر المجوهرات (الأثرياء يسيرون دائمًا ببطء، بسبب ثقل جيوبهم على ما أعتقد). كانوا جميعًا من طراز اليوم السادس والعشرين على مقياسي، لكن بحلول اليوم الخامس، كنت على شفا اغتصاب جماعيٍّ. لقد تخيلتُ العنوان الرئيسي في إنترناشونال هيرالد تريبيون: "طالِب يُضاجع خمس عشرة... ثم نفسه". أنهيتُ قهوتي ودفعْتُ ثمنها ببطاقة إيجور. لا يبدو أن جان هولدر لاحظت ذلك. أسألها عن أشياء يمكن للسائح الودود القيام بها، فتشير من النافذة.

"كلُّ شيء هناك: الكاتدرائية، البرلمان، مثال چون سيكريتسون، بطلنا القومي..."

لا بُدَّ أنها تمزح. الكاندرائية بحجم منزل كلبٍ يقوم الله بتربيته (أتخيّل أن لديه كلب شياواوا ثلاثي الألوان)، ومبنى البرلمان ليس أكبر من منزل جَدِّي في جورسكي كوتار. أنا في جزيرة ليليبوت.

أحاول التوجّل في منطقة وسط المدينة، لكنها لا تزيد عن ثلاث كُتَل مُربّعة. من الأسهل أن تفقدها بدلاً من أن تضيع فيها. كيف لي أن أحافظ على أ.ق.أ الخاص بي في هذه المدينة؟

انحرفتُ متجاوزاً جَنَّةَ تَسْوُقيّ للصيادين، وأغراني مشهد البندقية في الداخل. يبدو البائع رجلاً لطيفاً بنظراتٍ حانيةٍ كأنه فريسة. أطلب مُسدَّساً، بندقية، أيّا كان، مجرد شيء جيد لإطلاق الرصاص. نظر إليّ للحظة قبل أن يخبرني بلهجة بريطانية مُصطنَعة، أنهم يبيعون بنادق للصيد فقط، وليس مُسدَّسات.

"حسنًا. هل يمكنك إخباري أين يمكنني شراء مسدس في هذه المدينة؟".

"أنا آسف، لا يمكنك ذلك. ليس في مَتَجَرٍّ على الأقلّ".

ما خطب هؤلاء الأيسلنديين؟ لا جيش، ولا بنادق، لا شيء. فقط نساء رائعات يَفُقدن سيارات دفع رباعي فاخرة، ويتجوّلن حول المدينة الرائقة الكبيرة في عرباتهنّ الدافئة، على أمل التقاط قاتِلٍ مُحترِفٍ يتظاهر بأنه كاهن.

أوافق على سكين الجيش السويسري على غرار سِكِّني القديم، بما أنني لا أستطيع الحصول على مسدس.

أتساءل ما إذا كان الأب فريندلي كاثوليكيًّا أم أن لديه زوجة؟ صغار في السن؟ في الواقع لا أعرف لماذا بحقّ الجحيم أفكّر في هذا. عادة لا أريد أن أعرف أي شيء عن ضحاياي. الأمر كأيام الحرب، أقتل الغُرباء ولا أشعر بهم. هم مجردُ رأس آخر أدفن فيها رصاصتي. لا أريد حتى

أن أعرف لماذا يستحقون الموت. عادة ما يرفضون دفع جزيتهم، أو يفشلون في تسليمها لديكان، أو يظهرون بنفس ربطة العنق التي حضر بها حفل توزيع جوائز أوسكار المافيا، لكن يجب أن أعترف أن قتل الأب فريندلي كان مختلفًا. لم يكن احترافيًا، بل عاطفي. اضطررتُ لقتله لإنقاذ مؤخرتي. كان مزج بين المؤخرة والعاطفة.

أثناء المشي، لاحظتُ أن سكان ريكيافيك يتحركون بسرعة، كما لو كانوا يعتقدون أن هذه كانت نيويورك وليست أصغر عاصمة في التاريخ. كما لو أنهم تأخروا جميعًا عن مقابلة عملي في شركة ميريل لينش. لا بُدَّ وأنه البرد. الزملاء الوحيدون الذين يجلسون في دفء على المقاعد هم في حالة سُكرٍ لدرجة لا يمكنهم معها الشعور به.

يحاوطني الوجه الوطني الأيسلندي: دائري، وأنف صغير، مثل كرة ثلج بداخلها حصاة. أعتقد أن كلَّ أمة لها سمة مميزة في وجهها. نحن السُّلافيون لدينا أنف، أنف كلب قوي يمكننا من خلاله شم رائحة المتاعب حتى القرن الثاني عشر. الأفارقة لديهم الشَّفاء، والعرب لديهم الحواجب، والأمريكيون لديهم الفك، والألمان لديهم الشَّارب، والإنجليز لديهم الأسنان، والطَّليان لديهم الشَّعر. يبدو أن الأيسلنديين اختاروا الخدَّين. بعض هذه الوجوه عبارة عن خدَّين فقط بينهما ثقبٌ وعينان غائرتان.

لكنهم في الغالب يتحدثون الانجليزية أفضل مِنِّي. تحدَّثتُ مع ثلاثة منهم قبل أن أجد مكتبة المدينة. هنا لديك 470.000 كتاب تحت تصرفك، كلها باللغة الأيسلندية. (قال الرجل من الطائرة إن الكتابة هي إحدى الصناعات الأساسية في أيسلندا)، وهنا يمكنك الوصول إلى الإنترنت. أعطاني رجُلٌ مُلتحٍ - يبدو دودة قراءة - رمزًا. أضرب الأرقام على لوحة المفاتيح، وینفتح العالم الكبير أمامي. القسُّ

ديفيد فريندلي هو قسٌ كنيسة ويستمر المعتقدانية في ريتشموند،
فيرجينيا.

عُذْرًا، كان قسيسًا وبالإضافة إلى ذلك كان لديه برنامج التلفزيون
الخاص، "ساعة مع فريندلي" على شبكة سي بي إن، شبكة البث
المسيحية التي يملكها الرجل المجنون بات روبرتسون، المرشح الرئاسي
السابق والمعارض الأبدي للإجهاض وحقوق المثليين. يظهر القس
فريندلي بشحمه ولحمه في إحدى الصور: رأس أصلع مستدير بابتسامة
كبيرة ونظارات صغيرة. إنه مُحاط بأطفال سُعداء، كلهم من البيض،
بالإضافة إلى الطفل الأسود المعتاد. عبّر أحد مواقع الويب عن موقفه
ضد "مباركة زواج مثليي الجنس". كان لدى الأب فريندلي زهابٌ مثلية.
أعتقد أنه كان يستحق الموت.

أحاول البحث عن اسمه على جوجل باستخدام كلمات رئيسية
مختلفة مثل "قتل" و"مقتل" و"موت" دون أي نتائج جادة. لم يتصدّر
الأخبار بعد. ما زالوا لم يتعرفوا على جثته، على الرغم من أنني تركتُ
كاره المثليين السمين مرتديًا جواربه التينة وبنطاله وسرواله الداخلي،
نائمًا في حمام الرجال. تحتوي النتيجة الوحيدة لبحثي الأخير على
مقابلة مع فريندلي حيث أعرب عن "تفهّمه لأشخاص مثل السيناتور
كوبيرن الذي يفضّل عقوبة الإعدام لمجرمي الإجهاض وغيرهم ممن
يُزهقون الأرواح".

يريدني القس فريندلي ميتًا.

7

الأب غضبان

2006/05/16

أجلس في مقهى البحرين. نعم أعتقد أنه اسمه كافيه البحرين. لا يوجد ما هو عربي في الموضوع رغم ذلك. مجرد محل قديم صغير ولطيف مع كراسي تصرّ وفتيات من طراز اليوم الثالث، والبعض يدخن.

لم أذهب إلى حانة يملؤها الدخان منذ سنوات، وهذا صعب بعض الشيء على عيني. أفهم أن حظر التدخين أمرٌ جادٌ هنا، في مركب شراعيّ مُشمس يُسمّى آل جور. من جهة أخرى قد تشهد كرواتيا حرباً أخرى غير الإقلاع عن التدخين. فقط بعد مرور خمسين عاماً بلا حرب، تبدأ في القلق من أشياء مثل جودة الهواء في الحانات.

احتفل بيومي الأول في المنفى، مع البيرة الخامسة. إنها الساعة الثامنة مساءً تقريباً، ولكن لا يزال الصباح في الخارج.

هم يقولون إن الشمس ترفض الغروب "إنها تظلّ مستيقظة طوال الليل، ونحن كذلك". "هم" أقصد بهم "زيجي" و"ج الجحيمي" وهما زبونان سَكَّيران محلِّيَّان قذران في حالة رَنَّة.

"الحياة الليلية في ريكيافيك ليلتان فقط بشكل أساسي. واحدة مُشرِّقة وتستمرُّ من أبريل إلى سبتمبر. والأخرى مُظلمة وتستمرُّ من أكتوبر إلى مارس" هكذا أخبروني.

"وما هو أكثر متعة؟".

"المُشرِّقة بالطبع. الفتيات الأيسلنديات لا يرغبن في القيام بها في الظلام" كما يقولون بضحكة.

إنهم أصغرُ مِنِّي، وأنحف، وشعورهم أكثر غزارةً مِنِّي، ويُدخِّنون بشرَّاهة، ويجدون أنه "مريبٌ جدًّا يا رجل" أن يشربوا مع كاهن.

يسألهم رجلُ الدين عن وضع المثليَّين هنا، ومسألة الإجهاض، وما إذا كانت أيسلندا تحترم عقوبة الإعدام؟ لا، على ما يبدو، فأيسلندا جنَّةٌ خالية من الأسلحة ومجنونة بالإجهاض، ولا يوجد فيها حُكْمٌ بالإعدام. لقد جاء الأب فريندلي إلى المكان الصحيح.

"مهرجان فخر المثليَّين لدينا أكبر من مهرجان السابع عشر من يونيو، عيد استقلالنا".

يستقبل الأب فريندلي كلَّ شيء بهدوء. أحاول أن أتقمَّص نفسه ضاربةً المثليَّين والمُنذرة بهلاك الموت. يهزُّ رأسه وحسب ويضبط الياقة حول رقبتَه.

في الواقع، أتساءل لماذا بحق الجحيم ما زلتُ أرْتدي هذه الياقة الغبيَّة. أعتقد أنني يمكن أن أنسى الأب فريندلي تمامًا، وأعود إلى نفسي

السامة⁽¹⁾ وأحجز في أحد الفنادق. لا، ليست فكرةً سيّدةً. أعتقد أنه من الأفضل إبقاء الأحمق على قيد الحياة، وإلا سيّصل أصدقائي الواعظون بالشرطة فتتصل الشرطة بأسرته وينهار كل شيء في الجحيم. "ماذا عن جرائم القتل؟ كم عدد جرائم القتل الجماعي التي تقع عندكم كل عام؟" أسألهم.

"قتل جماعي؟" يسألون بعيون مرتبكة.

"بلى. كم عدّد الشّواذ الذين يُقتلون كلّ عام في هذا البلد؟".

"شواذ؟ لا أحد، على ما أظن" يقول ج الجحيمي، مصدومًا بعض الشيء من شناعة كلمات القسّ.

"أوه؟ ولكن كم عدد جرائم القتل إذن؟ كم عدد الأشخاص العاديّين الذين قُتلوا؟" يواصل فريندلي.

يقول زيجي: "أحيانًا واحد، وأحيانًا لا أحد".

يبدو أن حتمي هذا الصباح كان على حقّ. أنا في الجنة. لا جيش ولا أسلحة ولا جرائم قتل. ليس لديهم حتى منطقة ريدلايت⁽²⁾، يقولون لي إنها مدينة بلا عاهرات.

"لا توجد بائعات الهوى في أيسلندا، لكننا سنضطرّ إلى الحصول على بعضهن عندما ننضمّ إلى الاتحاد الأوروبي" قالوا لي بضحكة أخرى.

الجنس لا يزال مجانيًا، لكن البيرة تكلف كثيرًا. تنزف بطاقة إيجور مع كل كوب. منذ عثرتُ على هذا المكان قبل بضعة ساعات شربتُ كمّيّةً من الكحول تعادل سعر جهاز آي بود. لقد أوصت به هذه البائعة الساحرة في متجر الكتب، وهي من طراز اليوم الخامس. بعد

(1) Toxic من اسمه

(2) Red light district: مناطق تنتشر فيها الأعمال التجارية القائمة على الجنس.

اثنين من البيرة اكتشفت أن مقهى البحرين هو أشهر حانة في البلاد، وقد ظهر بشكل كبير في بعض الأفلام العصرية منذ سنوات. أمرٌ يفوق سياستي في أ.ق.أ. كيف يمكنك الاسترخاء في جزيرة ليليوت؟

"إذن ماذا ستفعل إذا لم تتمكن من شراء الجنس ولا ترتكب جرائم قتل؟ هل لديكم مخدرات؟".

ثمة وقفة. يبدو هذا القس مختلفًا، هذا ما يفكرون فيه.

"نعم بالتأكيد" يقول زيغي الشخص الغريب بفخر أكثر غرابة "لدينا الكثير من المخدرات".

ويضيف صديقه: "لدينا أيضًا الكثير من جرائم القتل في الكتب. في السنوات الأخيرة لدينا العديد من كُتَاب روايات الجريمة الجيدين هنا في أيسلندا، مثل أرناالدور أندريداسون على سبيل المثال. وكذلك أفار أورن جوزيفسون، وفكتور أرنار إنجولفسون، ویرسا سيجورداردوتير، وأرني ثورارينسون".

الأسماء الأيسلندية مثل صواريح سكود. تبقى مساراتها في الهواء لفترة طويلة بعد أن تصل إلى هدفها. ومع هذا أكن لهؤلاء التقدير؛ فليس سهلًا أن تكون كاتب جرائم في أرض بلا جرائم قتل. يبدو أنك بحاجة إلى القوى الإبداعية العبقريّة لتتمكن من تزويد قاتلك بمسدس. أغلقت أذني، لكن احتفظت بابتسامة فريندي، بينما يحكي الرجلان عن بلدهما، ويحاولان جاهدين إقناع رجل الدين بأنها ليست مدرسة يوم الأحد.

ثمّلت تمامًا، أشعر بالكحول يفتش عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة ويضخمه. يا يسوع! أتساءل ما الذي سيفعله مضيّفاي المقدّسان. إنهما حتمًا على شاشة التلفزيون بالفعل. لم يتصل جودموندور قط. بدأت أشك، أمل ألا يكون الأوغاد في السفارة قد التقطوا وجهي أمام الكاميرا، لا بُدَّ وأن هناك ملصقًا بصورتي على

جدران عُرف نومهم؛ فقد قُلتُ أحد رجالهم. في الواقع، لديّ في رصيدي بالضبط سبعة وستون صليبًا في المقابر الأمريكية؛ لذلك سيكون لديهم سببٌ وجيه لوضع وجهي على الرصيف.

لم يكن السبعة والستون جميعهم ممّن حظوا بالبطاقة الخضراء، بل كان بعضهم طليان، وبعضهم رُوسًا، وقليلٌ من الصُرب، ورَحُلٌ سويدي أو نرويجي، إذا كنتُ أتذكّر ذلك بشكل صحيح. كانت أغرب لهجة أتذكّرها. لكن معظمهم كانوا رجالًا شاحبي البشرة، وجوههم مُربّعة ومُتشقّقة. ومع هذا العدد الكبير من القتلى الأمريكيين في رصيدي، من المحتمل أن أحصل على عضوية فخريّة في القاعدة.

نعم. أنا على قائمة المطلوبين. نعم. عليّ أن أتذكر أن هذا منفي، نعم. لا بُدّ لي من الحفاظ على أ.ق.أ. ونعم؛ اسمي ديفيد فريندلي.

فجأة سمعت صوتًا مألوفًا. مكتبة سُر من قرأ

"حسنًا ها أنت ذا!" عادت جانهولدر في زِيّ حفلات، ترتدي ملابس مثيرة، تلمحني في الزاوية "ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟ كان والدي يبحث عنك! اتّصل بي مرتين. يُفترض أن تكون على شاشة التلفزيون!". قلتُ في عبسٍ مخمورٍ: "لم يتّصل بي قطّ".

"لم يفعل؟ هل معك هاتفك؟".

أبحث عن معطفي وسترة، ليس معي هاتفٌ جَوّال. تنظر الشقراء البَضّة إليّ كما لو كانت أمّا تنظر لطفل فَقَدَ حقيبتَه المدرسية. يشاهدها زيجي وحي الجحيمي في صمتٍ كطائرِي بفنٍ نحيفَيْن في وَضع التَّجمّد.

تقول: "حسنًا سأتّصل به".

بعد نصف كوب بيرة، دخل جودمون بنفسه إلى الحانة، ويشبه إلى حدٍّ كبير حيوان الرُئة إذ يدخل مركزًا تجاريًا كبيرًا عشية عيد

الميلاد، مع قرونٍ تومض وعينين متوهجتين. ومع ذلك يتسم وهو يرى زميله الواعظ قد سقط في منتصف الطريق إلى أعماق الجحيم، بمدُّ يده، فأمسكها.

"مرحبًا أيُّها الأب فريندلي. أنا سعيدٌ لأنني عثرتُ عليك". دائماً سعيد. "أخبرتني جانهولدر أنَّكَ ساعدتها هذا الصباح".

"نعم. إيماننا الحقيقي يمكن أن يفتح أيَّ باب" أقول بابتسامة مخمور.

"لكنَّكَ نسيْتَ الهاتف، كان في المنزل. كنتُ أتصل به وسمعتَه يَرنُ في الطابق العلوي!".

يضحك مثل طفل سعيد. عليَّ أن أضحك أيضًا. هذا الرَّجُل طيِّب جدًّا، إمَّا أن تضطر إلى إطلاق النار عليه في وجهه أو تتماشى معه. وأنا ليس لديَّ سلاح.

"علينا أن نسرع. سنبدأ بعد عشرين دقيقة".

"موافق، أنا آسف حقًّا".

أتساءل عمَّا إذا كان قد لاحظ أنني في حالة سُكرٍ. هل يريدني حقًّا في برنامجه؟ أشاهده وهو يُودِّع ابنته الشقراء الجميلة التي انضمت إلى صديقتها على طاولة قريية (امرأة سمراء من طراز اليوم الثاني من المحتمل أن يكون اسم تارانتينو على قائمتها مهماتها المنتهية).

توقَّف للحظة وجيزة وهو يشاهدها وهي تَمْتَصُّ السيجارة بيدها اليسرى، وتشرع في شُرْب نبيذها الأبيض بيدها اليمنى. لقد لاحظتُ حركةً صغيرة من شفتي جودموندور، وهي إشارة صغيرة تفضح رغبته في تحطيم رأس ابنته بنُسخة كبيرة الحجم من الكتاب المقدس للملك جيمس. يعضُّ لسانه ويودِّعها مكسورًا باللغة الأيسلندية،

نظرت أخيراً لأعلى ونفخت الدخان في وجهه بعينين باردتين، وقالت بصوت مُخيف: "بركاتك، بابا".

من الواضح أن هذا يعني فقط "وداعاً يا أبي" ولكن خبرتها البغيضة يمكنها أن تُحطّم قلب قاتلٍ مُحترِف.

نخرج.

المساء باردٌ ومُتجمّد كتلاجة مفتوحة. إذا كانت هذه هي المدينة الأكثر سخونة في أوروبا، أعتقد أنه يمكننا أن نهذاً قليلاً بشأن هذا الاحتباس الحراري العالمي. يقود الرجل الطيّب خارج البلدة القديمة على طريق سريعةٍ مُشيّدة حديثاً، يأخذنا عبر بعض مشاريع تعاونيات السكّن المتأنقة. تغمر أشعةُ الشمس تلك النمر ذات البقع البيضاء المحيطة بالمدينة، وطيور النورس ترفرف من عمود إنارة إلى آخر.

تنجرف السُحب الصغيرة الرمادية في سماء زرقاء فاتحة. معظمها يبدو لي مثل الحيوانات المنوية البشرية، والبعض الآخر مثل الحيتان الصغيرة التي تسبح ببطء عبر المدينة. أحاول أن أعطي أجوبة واضحة لأسئلة رجل الدين.

"لقد تقطّعت بي السُّبُلُ تماماً لأنني لم يكن لديّ عنوانك ونسيت الحصول على رقم هاتف ابنتك؛ لذلك انتهى بي الأمر بالجلوس في هذا المقهى، والتحدّث إلى بعض الأيسلنديين. كانت الأمور على ما يُرام في الواقع".

"نعم، لكن المقاهي في ريكيافيك يمكن أن تكون مكاناً خطيراً" هكذا قال مبتسماً وبدأ بالضحك.

يبدو أن ضحكته تشير إلى أنه كان يعاني من مشكلة في الشرب، قبل أن يُجفّفه الله ويمنحه محطة تلفزيونية. ولكن كلما طالّت المدة،

أُضح أنه يحاول إخفاء ألم رؤيته لابنته إذ تجلس في عرين الشيطان المظلم، تدخن وتشرب وترتدي ملابس الاحتفال.

لا بُدَّ وأنني تحت تعويذةٍ قويّة من الأب فريندلي؛ لأن عليّ أن أعترف أنه كان مشهدًا مروّعًا للغاية. لثانية وجيزة، بدت حقًا مثل ابنة الشيطان، بعيون نارٍ وفيّ مليء بالدخان. أحاول أن أضحك معه. "كما هو مذكورٌ في لوقا 21: سيأتي اليوم كالفخ، إذا قضيتموه في الشرب والسُّكر" يقول الواعظ وهو يعطف يسارًا من الطريق السريع إلى شارع يشبه شوارع بروكلين، ضيق بثلاث منازل على كلا الجانبين. هل يتحدث عني؟ وإذا يقف خلف إحدى المباني، يمكنني أن أشعر أن طوق رجال الدين يتحوّل إلى شُرْكٍ حول رقبتني.

"هل تعرف الأخ برانهام؟" يسأل جودموندور ونحن نسير من السيارة إلى مبنى.

"نعم، بالطبع" يقول الأب فريندلي بإصرارٍ مخمور.

يتوقّف زميله الأيسلندي عن المشي فجأة في غضب:

"هل تعرف نظرياته؟".

"نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أقول ذلك".

"هل تتذكّر عندما قال إن لوس أنجلوس ستغرق تحت الماء وأن أسماك القرش ستسبح في الشوارع؟".

"إيه... نعم".

"إنه أمرٌ مُمتع للغاية؛ لأنني كنت أحلم الليلة الماضية. كنتُ أحلم أنني كنت أقود سيارتي، هذه السيارة"، كما يقول ويشير نحو سيارته الفضية طراز لاندكروزر. "كنتُ أقود سيارتي هنا في ريكيافيك وفجأة كان هناك حوتٌ ضخّم يسبح بجانبني، كان يسبح بسرعة، حتى إنه سبقني. كان في الشارع، تمامًا مثل السيارة. وعندما جاء بجانبني

نظر إليّ وقال شيئًا، لكنني لم أستطع سماعه؛ لأنني كنت في السيارة ولم أخفض النافذة".

ينظر جودموندور إلى الأب فريندلي كما لو كان يأمل أن يُفسّر أخوه الأمريكي الحلم على أنه حَدَّثَ جوهري في تاريخ المسيحية. "واو" أقول وأتطلّع إلى السماء للحصول على المشورة. تمرّ الغيوم الشبيهة بأسمك القرش في سماء المنطقة. فجأة أشعر أنني عالٍ في فيلم رسوم متحركة للأطفال تحت الماء، وأقوم بصوت "مارتي السمكة".

أقول "هذا رائع يا رجل. ربما يجب أن تتصل به وتخبره؟ ربما يمكنه أن يخبرك ماذا يعني ذلك".

"أنت تعلم أن الأخ برانهام توفّي عام 1965".

اللجنة.

"بالتأكيد. أنا لا أتحدث عن مكالمة هاتفية. أنا أتحدّث عن نداء الروح" أقول.

"نداء الروح؟".

"نعم. نحن نفعل ذلك طوال الوقت، في جماعتنا هناك في ريتشموند. يأتي الناس كلّ ليلة ثلاثاء ويتحدّثون مع ذويهم الموتى، إنها تحظى بشعبية كبيرة، يحبها الناس حقًا. أحول نفسي إلى لوحة مفاتيح بشريّة وأجري الاتصال من خلال الرب".

يبدأ في الضحك. فأواصل تأكيدي.

يقول: "أنا لا أعرف الكنيسة المعمدانية جيدًا، لكن في كنيسة لا نتحدّث أبدًا مع الموتى. نقول إنه بحرٌ مُشعِر".

بحر مُشعِر.

"نعم أعرف. لكن الأمر يشبه، كما تعلمون، إننا لا نهاتفهم، بل هم مَنْ يَتَّصِلُون بنا".

لا بد وأن درجة الحرارة قريبة من 33 درجة فهرنهايت، وها نحن هنا، في ليلة ربيعِية مُشمِسة⁽¹⁾، نقف في موقف سيارات خلفي في وسط شمال المحيط الأطلسي، أنا وهو، الأب فريندلي والأب غضبان، غريبان مُملّا بالبيرة وبالله، يتحدثان عن هراء كامل. المنفى بحرٌ مُشعر.

"نحن نعيش نهاية الزمان. أقول هذا على تلفزيوني منذ أكثر من أربعة عشر عامًا. نعيش الأيام الأخيرة. لكن الآن لديّ شعور بأنه لم يتبقّ الكثير من الأيام" يقول جودموندور ويُحدِّق فيّ كأنه واعظ مجنون، ولا يبعد نظره عني حتى يتأكد مائة بالمائة من أني تلقّيت الرسالة.

كان الالتفات بعيدًا مثل إبعاد وجهي عن النار.

(1) يمتدُّ النهار في أيسلندا أحيانًا 24 ساعة في الصيف بسبب موقعها من الدائرة القطبية

8

رفاق طيبون⁽¹⁾

2006/05/16

"مساء الخير، أصدقائي الأعزاء، ومرحبًا بكم في برنامجنا. يُسعدنا أن نُبلِّغكم أن الليلة معنا ضيف عزيز، وهذا هو سبب حديثنا باللغة الإنجليزية الليلة. إنه الأب فريندلي، زيارة من أصدقائنا في سي. بي. إن في أمريكا. إنه صديقٌ مُقربٌ من بات روبرتسون، الذي شاهدتموه هنا على قناة موعظة وآمين. لديه برنامج تلفزيوني مشهور جدًا في أمريكا. وهو من أشهر الوُعَّاظ في كثير من الدول. أخٌ مسيحيٌ حقيقي في إيمان الله الحي، القسُ ديفيد فريندلي من ريتشموند، فيرجينيا. الأب فريندلي، أهلاً وسهلاً بك."

"شكرًا لك أيها الأخ جودموندور. إنه لمن دواعي سروري أن أكون معكم هنا."

(1) Goodfellas: يُطلق على عضابات المافيا.

"يجب أن أخبركم أن الأب فريندلي لديه يوغوسلافيا... ماذا تسمّيه؟".
"لكنة".

"نعم. لديه لكنة يوغوسلافية لأنه كان يعلم كلمة يسوع هناك في الوقت الذي كانوا فيه شيوخين. هلوليا!".

كاد يضربني في رأسي وهو يطوّح بيديه في الهواء، لكنني تمكّنت من التّخّي جانبًا. نقف خلف منبر أبيض، وخلفنا ستارة زرقاء، وأمامنا استوديو تلفزيون فوضوي. أحصي في الغرفة خمسة أشخاص. يقف رجل واحد خلف الكاميرا، وتقف سيكريدر في المدخل مُبَسِّمَةً، وينتظرني جمهور من ثلاثة أتقياء لإنقاذ أرواحهم.

"الشيوعيون لا يؤمنون بالله، أليس كذلك أيها الأب فريندلي".

"لا. أنت مُحِقٌّ تمامًا في ذلك، أخي جودموندور. وهذا هو سبب اختفائهم".

"حسنًا يمكنك أن تعثر على بعضهم اليوم". يقول صديقي الواعظ بابتسامة بلهاء. إنها ابتسامة شخص ليس ذكيًا جدًّا في التّباهي بذكائه، إنه مُضْحِكٌ للغاية. أحتاج إلى كل قوتي حتى لا أضحك وأنا أواصل:

"بالفعل. لكنهم مختبئون! إنهم يختبئون في ظلمة وجودهم الملجّد!" أحاول التّحدّث بنبرة خطيب مؤمن إيمانًا أعمى. "لأنهم لا يجرؤون على الخروج إلى النور! نور الله، نور الله، نور الخير! خير النور! نحن هنا في أيسلندا، في جزيرة النور، حيث يدعها الله تَسَطَّعُ لوقتٍ طويل في الليل. يضيء الليل، يجعل الليل مشرقًا. عليّ أن أقول: أنتم محظوظون جدًّا، أنتم محظوظون. أنتم تعيشون في أرض الله. أرض الله الحي. هلوليا!".

ماذا أقول بحق الجحيم؟

"نعم، أيُّها الأب فريندلي، ربما يمكنك إخبارنا عن عملك في يوغوسلافيا. هل كان ذلك قبل الحرب؟".

"كان ذلك قبل الحرب، عندما كان الرفيق تيتو رئيسًا لكل يوغوسلافيا، لجميع البلدان التي نعرفها الآن باسم كرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك وغيرها".

ماذا أقول؟ لا بُدَّ وأن فريندلي كان في الخامسة عشرة عندما مات تيتو.

"... كان هذا وقت القهر والسجن. أي... والدي... أرشدني الربُّ في شوارع الديكتاتورية المظلمة، للبحث عن النفوس المستعدة لفتح قلوبهم لنور الله.

كان علينا أن نُخفي إيماننا، وفي بعض الأحيان كان علينا أن نخون بألسنتنا الإيمان الذي نحتفظ به في قلوبنا، فقط من أجل البقاء. بهذا المعنى، كُنَّا تقريبًا مثل العملاء السريين، مثل جيمس بوند أو... راي ليوتا في فيلم "رفاق طييون"⁽¹⁾.

أنا أخرج عن الشخصية هنا.

"أو مثل أتباع يسوع المسيح الأوائل" يُسَعِفَنِي المضيف.

"نعم! بالضبط. شكرًا لك يا أخي جودموندور. كُنَّا مثل الرُّسل. كان علينا الاختباء، كان علينا أن نكون حذرين، لكننا لم نَشْكُ أبدًا. كان الله يُرشدنا إلى الطريق. لقد كان... كان مصباح الكشاف الذي كُنَّا بحاجة إليه؛ حتى نتمكن من السير في شارع الديكتاتورية المظلم".

"وبعد ذلك كنت فتى أمريكيًا صغيرًا؟".

"نعم، نعم بالضبط. كنت شابًا، ديفيد، ديفيد فريندلي، صبي صغير من فيينا، فيرجينيا. ما الذي كنتُ أفعله هناك، في أوروبا

(1) فيلم Goodfellas من إخراج الأمريكي مارتن سكورسيزي عام 1990.

القديمة؟ لقد أرسلتُ هنا كمُبَشِّر. كنتُ... كنتُ... في المنزل، كنتُ ما يطلقون عليه.. المراهق القذر، الولد الشرير. وَلَدُ سيِّئٍ جدًّا. بدلًا من القيام بواجبي المنزلي، كنتُ في الخارج أسرق وأضاجع الفتيات".

أستطيع أن أشعر بابتسامةٍ مُتجمِّدة على وجه جودموندور. من الأفضل أن أنتبه لألفاظي.

"لكنني كنتُ أفعل ذلك دائمًا من موقع التبشير".

اللجنة. ما زلتُ في حالة سُكْر. حتى إنني أسمح لنفسي بالابتسام قليلًا. تغلق السيدة العجوز في الصَّفِّ الأمامي عينيها لمدة ثانيتين.

"آسف، لكن ها هي القصة. كنتُ ذاتَ مرَّةٍ أسرق كنيسة محلِّيَّة مع اثنين من أصدقائي. كنَّا نُهرَّبُ ببعض الشمعدانات والكؤوس والأشياء، وكنتُ آخِرَ مَنْ خرج؛ لأنني كنت حينها -مثلما أنا الآن- سمينًا بعض الشيء".

أستطيع أن أرى أن سيكريدر تضحك بطريقتها اللطيفة المميَّزة. "لذا، كان أصدقائي بالخارج بالفعل عندما أضاء النور فجأة سَمِعْتُ هذا الصوت الرائع: "يمكنك أن تحمل كل الفضة التي تريدها، يا أخي يهوذا، لكنها لن تُنقِذَ روحك أبدًا!". لم أجرؤ حتى على النظر إلى الوراء. توقَّفتُ للحظة قبل أن أركض إلى الباب وألقيت بنفسي في الظلام. لقد هربتُ بالفعل، لكنني لم أستطع الهروب من هذه الكلمات. راوَدَتني مرارًا وتكرارًا. ربما لأنني لم أكن أعرف مَنْ قالها. كان الصوت عميقًا جدًّا، صوت إنسان عميق جدًّا، وفي ذهني كان صوت الله نفسه. "لكنها لن تنقِذَ روحَكَ أبدًا!". لعدَّة أيام كانت روحي تتعذَّبُ تمامًا بهذه الكلمات. أخيرًا، عُدْتُ إلى الكنيسة مع كل الأشياء التي سَرَفْتُها. وَصَعْتُها على مقعدٍ داخل الكنيسة وكنتُ على وشك الركض للخارج عندما سمعت الصوت مرة أخرى، كان كاهنًا

الكنيسة. لقد تحدّثنا كثيرًا، وبعد نصف عام وجدت نفسي في شوارع سرايفو أنشر كلمة الله، مع كُشَّاف إضاءة".

أنا أبتسم، أصبْتُ الهدف هذه المرة، سيفخر الأب فريندلي بهذا الأداء.
"المجد لله! الأخ الكريم. هَلُّوليا"، يصيح زميلي الأيسلندي. "أنتَ مثل، بولس الرسول، القديس بولس. كانت لديك نفس تجربته. هل كنتَ أعمى أيضًا؟".
"ماذا؟".

"هل كنتَ أعمى أيضًا عندما جاء النور؟".
"في الكنيسة، تقصد؟ نعم بالتأكيد. قَطَعًا. لقد أعمانى الضوء تمامًا؛ لهذا السبب اضطررتُ للتوقُّف".

يُبدى جودموندور هذا التعبير الكهنوتي مرة أخرى. نظر إليّ كما لو أنني قَطَعْتُ المحيط الأطلسي وصولًا إلى جُزُر الكناري ليذهب شعبه في إجازة. يضع يده على رأسي كما لو كان يُعَمِّدني، وفجأة تتحسن لغته الإنجليزية:

"بارك الله روحك أيها الأخ المقدّس، مَجِّدُوا الله! آمين. قوة الله الحي معنا الحمد لله! تبارَكْتَ روحك، أيها الأبُ فريندلي. لأنك ممسوحٌ. روحك مصنونة" ثم رفع يده عن جمجمتي الصَّلعاء وواجه الكاميرا.

"دعنا نسمع: قصّة التلاميذ في الفصل التاسع، في الكتاب المقدّس الإنجليزي... تحكي قصة شاول، عن شاول اللاوي، هذا الرجل العادي من طرسوس، هذا الرَّجُل البسيط الذي يعمل جَلَادًا لـ "الحكومة الرومانية"، وأرسلوه إلى دمشق، ليربط المسيحيين بأردية...".

"بالجبال" صَحَّحْتُ له بسرعة لأبدو فجأةً خبيرًا في الكتاب المقدّس.

"... حتى يربطهم بالحبال ويحملهم إلى القدس. ولكن في طريقه، قبل أن يأتي إلى دمشق، رأى نورًا عظيمًا وصوتًا يكلمه: شاول، شاول، لماذا تضطهدين؟ فقال شاول: "مَنْ أَنْتَ؟" فقال الصوت: "أنا الربُّ". فقال له الربُّ أَنْ يَكْفَ عن العمل ضد المسيحيين، وكان شاول أعمى أَيْامًا كثيرة، حتى أرسل الربُّ إليه حنانيا. فجاء إليه حنانيا وأَمَرَهُ أَنْ يرى. وكان شاول بولس، أصبح الْجَلَادَ رقم اثنين في كنيسة الله على الأرض، كان يسوع رقم واحد وبولس هو الثاني. المجد لله! وقد كتب جزءًا كبيرًا من هذا الكتاب!".

يحمل جودموندور الكتاب المُقَدَّس الأسود في الهواء.

"لقد كتب جزءًا كبيرًا من الكتاب المُقَدَّس، كتاب الكتب، كلمة الله. خُلِّصَتْ روحه، أصبح رجلًا مُقَدَّسًا. رجلًا مُقَدَّسًا. هلوليا!".
 "هلوليا!" أُرْدِدَ وراءه، أُرْدِدَ حقًا. إنه حتمًا تأثير البيرة.

9

تورتشور⁽¹⁾

2006/05/19

أفضل شيء في الحرب كان النوم في العراء، في جبال دينارا. كان الوقواق مُنبِّهنا، رغم أني لم أره قط، لكنه كان دائماً ينهض قبل الفجر؛ لأن الأرض كانت بجوارنا. كان الصرب ما زالوا نائمين، خلف التل والتلة التي تليها. الأوغاد الكسالي.

لم يبدأ القتال قبل الثامنة. أعتقد أنه يمكننا أن نشكرهم على تلك الصباحات الحميلة، صباح مشمس صامت مع أفضل إفطار في العالم: قهوة وخبز البوفتيكا. أكلنا في صمت، نشاهد أشعة الصباح الأولى وهي تتفاعل مع الزبدة التي لا تزال باردة منذ الليل.

(1) تحريف آخر لاسم آيسلندي، وهنا يعني تعذيب.

في وقتٍ مبكر من فجر يوم أحد، بدأ أندرو، الفتى المجنون من بولا⁽¹⁾، يتحدث فجأة عن ندى الصباح. وبعد قليل راح يصيح:

"نحن نقاتل من أجل الندى! لا يمكننا أن ندع الضرب يأخذون الندى! نريد المزيد من الندى! حربٌ غبية! القتال من أجل الندى!".

ثم قفز على قدميه وبدأ يركض حول التلّ مشيراً إلى عدّة مناطق على الأرض.

"الندى الكرواتي! الندى الصربي! لا ملكيّة للندى!".

سحب قائدنا يافور مُسدّسه وأطلق النار عليه في مؤخرة رأسه. سقط أندرو في العشب مثل عجلٍ ميّت.

"الآن يمكنك أن تشربه يا غبي يا ابن أبشع عاهرة في بولا!" ثم بصق يافور ذو الوجه الأشبه بالحُمم البركانية.

أصبحت عبارة "يشرب الندى"⁽²⁾ إشارة للموت. شعرتُ ببعض الأسف لأندرو، فمن بين جميع أعضاء كتيبتنا، ربما كنتُ أكثر مَنْ تتّصلح مع جنونه... أنا مدينٌ له.

كان أندرو من كبار المعجبين بمادونا، حتى إنه أطلق على بندقيته اسمَ نجمة البوب الأمريكية. بين حين وآخر كان يتفجر بصوتٍ موريسي⁽³⁾... "كعذراء"⁽⁴⁾. ودائمًا ما كان يحمل صليبا صغيراً في جيب سترته زيه. النسخة المُصغّرة من يسوع كانت بيضاء، لكن صليبه كان نوعاً ما بُنيّاً، وبالتالي امتزج مع اللون الأخضر الداكن للزّي الرسمي. كان تأثير ذلك أن المسيح الصغير دائماً ما كان يخرج من الجيب كما

(1) Pula: مدينة في كرواتيا.

(2) Piti rosu.

(3) نسبة إلى المغنيّ الإنجليزي باتريك موريسي.

(4) Like a virgin. غنّتها المغنية الأمريكية مادونا عام 1984.

لو أنه يلوح بيديه قائلاً: "يا شباب، اسمعوا!" ربما كان أندرو يسمعه؛ لأنه من وقتٍ لآخر كان يبدأ بالتقلُّسف حول عبثية الحرب، وهو خلافٌ لما يرغب أي جندي في سماعه عادةً. وبين الحين والآخر كان يفعل شيئاً مجنوناً، مثل الركض عارياً عبر خطِّ العدو والعودة، أو ما يفعله الآن، الصياح من أجل الندي.

لم يكن مُتَزَنًا، وكان يافور مُحِقًّا تمامًا في قتله. لكنني وأندرو قضينا ذات مرة ليلة كاملة معًا، نشرب ونُعْنِي في العراء. لقد فقدنا مجموعتنا وفرغ مخزوننا من الرصاص عندما عثرنا على دبابةٍ تابِعةٍ لشيتنيك تمَّ تفجيرها. عثرنا بداخلها على زجاجة راكيا¹ سرعان ما أطلقت العنان لأرواحنا الغنائية.

كان أغبى شيءٍ يمكننا القيام به، غناء الأغاني الكرواتية في قلب ليلة صربية. كان من الممكن أن تُسَكِّتَنَا رَصاصةٌ في أي لحظة. لكن عليك أن تفهم أن القتال في الحرب يشبه لعب الروليت الروسي على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع. كل نَفْسٍ يمكن أن يكون نَفْسَك الأخير. إنها فكرةٌ مُروِّعة، لكنها تتحول ببطء إلى فكرةٍ مثيرة؛ أَدَمَتُهَا نوعًا ما، حتى إنك تبدأ في تَخْطِي الحدود. كُنَّا صغارًا لا نخاف، مُتَعَبِينَ من القتال، ولا نهتمُّ كثيرًا.

لحُسْنِ الحظِّ، كُنَّا نغني أغنية الفائز اليوغوسلافي في مسابقة الأغاني الأوروبية لعام 1989 عندما ظهر فجأة أمامنا جنديٌّ صربيٌّ مَخْمورٌ للغاية، مرتديًا مُعِدَّات الجيش الكاملة. هل يمكن أن يَنْضَمَّ إلينا؟ سأَل هَل لدينا خمر؟ يبدو أنه كان يعتقد أننا أبناء وطنه، حيث كُنَّا نجلس على رأس دبابةٍ صِربيَّة ونُعْنِي أغنية يوغسلافية. فقط بعد الرُّشفة الأولى أدرك أننا كُنَّا العدو.

(1) مشروب كحولي شهير في وسط وجنوب شرق أوروبا.

عندما ملح شعار هرفاتسكا⁽¹⁾ على زِيّ العسكري. كانت هناك لحظة طويلة من التشويق وهو يُحدِّق فيها ونظرنا إلى بندقيته. كانت بنادقنا مُلقاةً على الأرض أسفلنا، خالية من أي ذخيرة. بعد ذلك، أنقذ أندرو الليلة بأن أكمل معنا الأغنية مرة أخرى. انضم إليه الصربي، صرخنا معًا مثل ثلاثة قِطَط في الأزقة، غنّى ثلاثتنا: "مَتَّعْنِي يا حبيبي! لا شيء يهمُّ. مَتَّعْنِي ودَّعه يدوم"⁽²⁾.

أنقذت المسابقة الأوروبية حياتي. أنقذ أندرو حياتي.

في نهاية الزجاجة اعترف أندرو بالحقيقة. كان مثليًا وأراد تقبيلي. كان أندرو صبيًا وسيماً، شَعْرُهُ أسود، بَشَرَتُهُ جذابة، شفاهٌ ممتلئة. أعتقد أنه كان من طراز اليوم 156، وقد استمرت الحرب بالفعل نصفَ عامٍ و... حسنًا، كِدْتُ أرغب في تقبيله (الحرب إمَّا تجعلك فاشيًّا أو شاذًّا)، لكنني لم أستطع ذلك، ليس بسبب ذِكْرِي والذي مُضاجِع الصُّرب اللعين، لكننا جميعًا شعرنا بالإثارة، وأنزلنا سراويلنا، وقام أندرو باستمناثنا أنا والصُّربي. كانت أغرب صورةٍ لديّ من تلك الحرب اللعينة.

الفتى المثليُّ المجنون من بولا يستمني في الليل المُرقَّش العميق، مع قضيبٍ في كلتا يديه: واحد صربي والآخر كرواتي. لو كانت لدينا أُمٌّ مثليةٌ الجنس لَقَلَّت الحروب.

أستيقظ مع ظلالِ حَرِّ تُرْفَرُفٍ حول الغرفة البيضاء الساطعة. يحاول ماضي المظلم أن يُوازِنَ حياتي هنا في الجزيرة الصامتة المُشرقة، حيث تذهب للنوم في وَضَحِ النَّهار وتستيقظ في ضوء الشمس الصارخ في السادسة صباحًا.

(1) - كرواتيا.

(2) - بالكرواتية في الأصل.

النوم صعب. أشعر وكأنني في مستشفى. مستشفى ساطعة
الأضواء، صامتة حَدْ الموت، من النوع الذي يُمنع فيه ارتداء الأحذية
في الداخل. حتى إن جودموندور يتجول في منزله مرتديًا جواربه فقط.
هذا مُقرف.

وهذه الأرض المسالمة لم تشهد حربًا من قبل، ليس في ألف سنة.
لا بُدَّ وأن الأمر يتعلق بتلك الجزيرة، حيث لا مزيد من الندى للقتال
من أجله.

هل كان من الضروري أن يموت كل هؤلاء الناس فقط حتى نتمكن
من ادّعاء كنين كمدينة كرواوية؟ ما زلتُ أسأل نفسي هذا السؤال.

بعد فترة وجيزة من الحرب، عرجت عليها، هذه المدينة التافهة
التي يبلغ عدد سُكَّانها خمسة عشر ألف نسمة. أصابني مشهد
عَلَمِنا، إذ يرفرف فوق تلك الأسطح المُحطَّمة، بالغثيان في بطني. في
الواقع كان عليّ إيقاف السيارة والتقيؤ. لقد تقيأتُ على الأرض التي
طأبنا بها، الأرض التي كُنْتُ على استعداد للتخلي عن حياتي من
أجلها. ومع ذلك كان علينا أن نفعل ذلك، كان يجب علينا ذلك، لا
تسألني لماذا. كان علينا فقط بحق الجحيم.

كل إنسان ينتمي إلى أُمَّة، أو شيء أعظم منه.
الأُمَّة هي مجموع قُوتنا، وكذلك غباؤنا الجماعي. تجبر الحربُ
الأُمَّة على طاعة غباؤنا الجماعي.

أستيقظ وأمضي إلى الحمام. إنه نظيف للغاية. هذا هو المكان
الذي تتغوَّط فيه الملائكة. لديّ صداغٌ ما بعد الشُّرب المُقدَّس. ليس
فقط من البيرة، ولكن أيضًا من كل كلمة قُلْتُها على التلفزيون. كان
جودموندور سعيدًا جدًا بأدائي. لم يخذله زميله الأمريكي.

أتساءل عما إذا كان لديهم حارسٌ تليفزيوني في السفارة الأمريكية، مخبُولٌ ما بوجهٍ تملؤه البثور، مهمُّته هي مشاهدة جميع البرامج المحلية والتحقُّقِ ممَّا إذا كانت تحتوي على بعض رسائل "اضرب بوش" أو "اللعنة على مكتب التحقيقات الفيدرالي"، وبعد ذلك في منتصف الليل، كان سيشاهدني فجأةً على الشاشة، وجه مستدير أصلع، يتطابق مع مُلصقي أكثر المطلوبين في أمريكا على الحائط بجانب جهاز التلفزيون. الأحمق الكرواتي الذي قتل عميلَ مكتب التحقيقات الفيدرالي في كوينز الأسبوع الماضي، مُتَنَكِّراً ككاهنٍ عُثِرَ عليه ميتاً في حمَّامِ جون كينيدي الثلاثاء الماضي. لقد انتظرتُ طوال الليل حتى تظهر فرقة التَّدخُّل السريع، وكنتُ أستيقظ كل نصف ساعة.

في الساعة الرابعة اتَّصلْتُ بحبي، مونيتا. لكن بلا إجابة.

يستيقظ الزوجان المقدَّسان في الساعة 7 صباحاً. تبدأ صلاة الصباح الساعة 7:30. الأب فريندلي يجب أن يحضر. "يا رب خلِّصني من خطاياي".

بعد الإفطار أخذوني لمشاهدة معالم المدينة. هناك يعيش الرئيس، وهناك مركز التسوُّق، وهناك يُخزَّنون مياه البركان. هنا يصنعون مُنتَجَ الألبان المشهور عالمياً المسمَّى إسكير، والمسبح الموجود هناك واحد من أفضل المسابح في العالم. في الواقع يبذلون قصارى جهدهم لإقناعي بأن بلدهم هو "الأفضل في العالم". إنهم لم يَنفَكُوا يتحدَّثون عن أطول عمر، وأسعد الناس، وأنظف هواء، وما إلى ذلك. أريد حقاً أن أخبرهم أن بلدًا خاليًا من بيوت الدُّعارة ومحلات الأسلحة لا يمكن حتى أن يُطلَقَ عليه بلد، ولكن بدلاً من ذلك أومأتُ نُسخةً فريندلي برأسها، ببطء ولكن بإصرار، مثل حقَّارٍ نفِطٍ في تكساس.

يقوم جودموندور بإيصال زوجته إلى محطة التلفزيون لتسجيل برنامجها ونحن نقود السيارة، على الرغم من أنه يشعر بالحاجة إلى التوضيح:

"لا أعتقد أن المرأة يجب أن تعمل خارج المنزل، لكن زوجتي تقوم بعملها من أجل الله وهذا أمر مختلف، على ما أعتقد".

"إنها تعمل في بيت الله" دفعتُ السيد فريندلي ليقول هذا.

يَسْعَد جودموندور بالإجابة ويضحك قليلاً قبل طرح سؤال صعب نوعاً ما:

"ماذا عن زوجتك؟ هل تـعمل خارج المنزل؟".

بنسًا... لديّ زوجة.

"هي؟ لا، تُفَضِّل الأعمال المنزلية. وأنا سعيد جداً بذلك".

"كنتُ حزينًا جدًا عندما سمعتُ عن حادثها".

حقًا؟ زوجتي كانت في حادث سيارة؟ أتمنى أن تكون بخير.

"نعم. شكرًا لك" أقول بعيونٍ حزينة، مثل مُمَثِّل سيئ في إعلانٍ تجاريٍّ غبي.

"لا بُدَّ وأنتك تشـتاق إليها كثيرًا".

بنسًا! ها قد رحلت زوجتي. هذا مثل مشاهدة فيلم إثارة باتجاه عكسي.

"نعم بالتأكيد. من الصعب أن تكون وحيدًا".

"وليس لديك أطفال منها؟".

رائع. هذا قاسٍ.

"إيه... لا، لا أعتقد ذلك" اللعنة كان هذا فظيخًا "أعني... عمليًا لا"
لا تسألني ماذا أعني بهذا، ليس لدي أي فكرة.

يقود سيارته في صمت. لم يطرح أي أسئلة أخرى. إنه أمر مُزعج
للغاية. هل يشك في شيء؟ كسر حاجز الصمت وعاد إلى بداية
الحديث، المرأة والعمل.

"لكن جانهولدر.. هل تعمل في مقهى؟".

"بلى، أنا أمنحها الوقت، لديها الوقت للتفكير، عندما كنتُ في
الثلاثين من عمري كنتُ في الشارع. كنتُ أشرب. لم أرَ النور. عندما
تدخل الخمر، يذهب العقل".

ألقي نظرة فاحصة عليه، في النهاية لم يكن قديسًا.

نزور كنيسة صديقه في بلدة مجاورة تشبه تلك التي تظهر في
أفلام الجريمة. تبدو وكأنها صالة ألعاب رياضية أكثر من كونها كنيسة
عادية، ورائحة العرق تملأ الهواء. اسم صديقه أقصر من اسم أي من
مضيفي، ولكن من الصعب جدًا التُّطق به. يكتب "توردور"، لكن
بعد مساعدتهم لي على تهجئته يبدو أقرب إلى "تورتشور"⁽¹⁾.

وجهه مستدير بنظارة دائرية ولحية توراتية كاملة.

السُّمة العصرية الوحيدة فيه هي شَعْرُه الطويل الذي يمسحه
بالجِلِّ المَبَارَك. في الواقع، يُدْغِرني قليلًا بوالدي ذي الوجه العريض،
بُورْگت روحه. أخبرني جودوموندور أن تورتشور يظهر على قناته
التلفزيونية كلَّ يوم، وهو أمر واضح. إن حديثه عالٍ وواضح كأنه
ما زال أمام الكاميرا، لم يترك الكتاب المقدس طوال الدقائق الثلاثين،
مُمسِكًا إياه في يده مثل المطرقة المقدسة. يرفعه مرة أو مرتين في

(1) Torture بمعنى تعذيب.

الهواء كما لو كان يُسَمَّر أطروحاته على الباب الأمامي لكنيسته. وجهات نظره غير تقليدية ومتطرفة، ولغته أكثر تنوعًا من غيرها. "يسألني الناس أحيانًا ما إذا كانوا بحاجة إلى الخِتان لدخول الجنة. أقول لهم لا، لا حاجة له. لا يتعلق الأمر بالأعضاء التناسلية، بل بالقلب. السؤال هو: هل أنت مستعدٌ لفتح غُلْفَةِ قلبك والدخول في نور الله الحي؟".

تشتعل في عينيه نار رُهاب المثليَّة، وعندما ألقى عليهم نظرة عميقة أرى عبر النيران، زميلًا مثليًا نحيفًا مُسمَّرًا على صليبٍ ويُشَدُّ عبارة "ساعيش". يضيف الأب فريندي الوقود إلى هذه النار إذ يتذكَّر توكسيك ليلته مع أندرو.

أقول: "اعتدنا أن يكون لدينا هذا الرجل المثلي في رَعِيَّتنا في فرجينيا... لكن بعد أن مرَّقت القرط من شَحْمَةِ أذنه مستخدمًا الكُمَاشَة، انتقل من كونه مثليًا لكونه بخير".

ينظر جودموندور إلى صديقه الملتحي مثل صبيٍّ صغير، ويضحك تورتشور مثل الشيطان نفسه، مُجيبًا بلُغَتِهِ الإنجليزِيَّة الجميلة: "هيه هيه. هكذا يتمُّ الأمر! علِّم على خُصاهم!".

يتماذى فريندي: "أو استخدِمْها كمطفأة حريق. ذات مرة كان لدي صبيٍّ مذبجٍ بَدَأَ أنثويًا جدًّا بالنسبة لعمره. تَحَثَّم عليَّ أن أُعَلِّمه درسًا؛ لذلك استخدمته لإطفاء الشُّموع، بفمه. كنتُ أقول له: "خيرٌ لك أن تنفخ نورَ الرُّبِّ من أن تنفخ قضيبَ الظَّلام!".

حدَّق كلاهما في وجهي للحظة قبل أن يبدأ كلاهما بالضحك مثل شقيقين في منتصف العمر يلتقيان بالصدفة في بهو فندق بعد أربعين عامًا. "قضيب الظلام! ها ها!".

"الأب فريندلي كان بارعًا جدًا على شاشة التلفزيون الليلة الماضية، هل رأيته؟" يسأل جودموندور صديقه.
"نعم رأيته" يقول تورنشور، ويضع يده اليمنى على كتفي، ذراع النار.

10

كعبي العالي⁽¹⁾

20/05/2006

تمرُّ الأيام. أتكيّف بالتدريج مع حياة المنفى، وتسير الأمور على ما يرام. لقد اعتدتُ على الصّمت والسطوع وكذلك التعقيم في المنزل. لكنّ البرد هو أصعبُ ما أتعامل معه. إنه أكثر شهور مايو برودةً في حياتي، ومع ذلك، يتحدثون في كل مكان عن كونه أجمل ربيع.

توضّح سيكريدر: "سنرضى إذا حصلنا على عشر درجات هنا في أيسلندا". يا للمساكين. سأكون سعيدًا إذا حصلتُ على عشر دقائق إضافية فقط هنا.

في الصباح، يزور الأب فريندلي العديد من الكنائس والمنظمات التطوعيّة حيث يعاملونه مثل البابا في جولة، يُغدقون عليه بالقهوة

(1) MOJA ŠTIKLA: أغنية بوب اشتهرت في كرواتيا عام 2006.

والبسكويت، ويَحْمَلُونَهُ بِالْكُتَيْبَاتِ والنَشْرَاتِ التي تُظْهِرُ عملهم الجيد. إنهم يبنون روضة أطفال في كينيا، مدرسة ابتدائية في الهند. الكَهَنَةُ كلهم رجال والمتطوِّعون كلهم نساء. أرفع احتجاجاتي إلى جودموندور بمجرد أن نكون في السيارة.

أقول: "أنا قَلِقٌ من رؤية كل هؤلاء النساء يعملن خارج منازلهن".

"كل شيء على ما يُرام طالما أنهنَّ لا يَحْصُلْنَ على أجر"، أجاب وغمز لي بطريقة شديدة الطَّرَافَةِ.

عادة ما تكون فترات بعد الظَّهر خاصَّةً بي. أتجوَّل في المدينة بأسلوب أ.ق.أ.، أتحرِّك ببطء في ليكور فيكار، الشارع الرئيسي، أشاهد النساء وأنظر إلى واجهات المتاجر باحثًا بلا أملٍ عن مسدَّس أحلامي. أمشي بطول الطريق أسفل التِّلِّ إلى الساحة الرئيسية، والتي تبدو وكأنها ساحة انتظار سيارات فارغة أكثر منها ساحة مدينة.

يمكنك شراء مجلة Handgun التي يُفضِّلها أيُّ قاتلٍ في متجر كتب دافئ بالقرب من الساحة. يبدو أن سميث وويسون لديهم نموذج جديد. "سهل على يدك، سهل على هدفك" أقرب إلى "مسدَّس خالٍ من الدُّنْب" الذي لطالما حلمنا به نحن الجلَّادين منذ ستمائة عام.

أقوم بلفِّ وشاحي حول الياقة قبل دفع ثمن كوب كبير في ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية. أعطتني الإيصالَ فتاةً عجيبَةً محلِّيَّة أخرى، من طراز اليوم الثالث. إنها حقيقةٌ مُسَلِّمٌ بها أن كرواتيا لديها أجمل النساء في العالم، لكن أيسلندا قد تكون الوصيْفَةُ المُقَرَّبَةُ. إن أولئك الشقراوات الزُّبْدَة يختلفن كثيرًا عن جميلات الشَّعر الداكن عندنا.

أجلس على مقعد بجوار البركة الكبيرة خلف الكاتدرائية، وأشاهد البطَّ والبَجَج يبحر حولها. إنه مكان جميل حقًّا، مثاليٌّ لتدخين السجائر. لكنني لن أتوقَّف عن إقلاعي عن التدخين لمدة خمس

سنوات، على الرغم من أنني أعتقد أن لديّ أعذارًا جيدة للقيام بذلك. يجب أن أعتني بصحتي. بدلًا من ذلك، قرأتُ عن هذا الابتكار الأشبه بمبيد النمل، والذي أصبح مُمكنًا بفضل الرصاصة الثورية الجديدة من شركة إيجل أي "كبيرة بما يكفي لتقتل ضحيتك على الفور، ولكنها صغيرة جدًا بحيث لا تسكب أي دماء على الإطلاق".

لن يسمحوا لمثل هذه المجلة إلا في أكثر البلدان المسيحية تخوفًا من الله على هذا الكوكب. مَنْ يشتريها هنا في تلك الجزيرة منزوعة السلاح؟ ألقى بها في القمامة قبل دخولي مقهى باريس. الزبدة في الخدمة. أشفط معدني وأختار واحدة من الطاولات التي تخدمها.

يخشى الكاهن من علاقتها بوالدها ويسألها إن كانت تكرهه.

"أعتقد أن والدي يهتمُ بالله أكثر من اهتمامه بأطفاله"، تردُّ جانهولدر بشكلٍ عدائيٍّ على نحو غير عادي، بينما تنظف الطاولة بخرقة مُبلّلة، فيهتز رأسها كأختٍ إفريقية.

"حسنًا، نحن جميعًا أبناء الله، أبناء وبنات الأب المقدّس" أجيب بمنتهى الود.

"الأب المقدس، الخراء المقدس. أين هي الأمُّ المقدّسة إذن؟ إنها عذراء... رائع! مذهل! الكنيسة لا تصلح إلا للرجال البيض الحمقى" تبصق كلامها، ثم تغادر بقطعة قماشها وصينيّتها. عليّ أن أعترف أنني مُعجَبٌ بها بشدّة، لكن الأب فريندلي يعتقد عكس ذلك.

عندما عادت بكوب لاتيّه قال: "والداك أناس مُقدّسون وأعتقد أنهم يستحقّون احترامك".

"إنهم ليسوا مُقدّسين. عدم ارتكاب الذنوب لسنواتٍ لا يجعلك مُقدّسًا. مُدمنُ الكحول الذي لا يشرب يظلُّ مُدمنًا على الكحول مثل مَنْ يشرب".

يا للهول... هذا عميق جدًا بالنسبة لي، وبدلاً من ذلك أركز على شفيتها. أحتفظ بكلبٍ عسكريٍّ كرواتيٍّ مسعورٍ خلف بوابات الكنيسة الثقيلة في ظهري الكهنوتي. عاجلاً أم آجلاً سيخرج من طوق الكلب اللعين ويبدأ في لعق شفاه الفراولة اللامعة.

من المفترض أن أعود إلى البيت المقدس بحلول الساعة السادسة. عادةً ما أسافر بسيارة أجرة، على الرغم من أنني أستطيع السفر من نيويورك إلى بوسطن بنفس المبلغ. يمكن لإيجور أن يتحملها. المال ليس مشكلةً في لعبتنا أبداً، على الرغم من أن بطاقة المدفوعات الذهبية الخاصة بفريندي من المحتمل أن يكون لها حدٌ أقصى، لكن استخدام البلاستيك المتدين الخاص به سيكون بمثابة إرسال دعوة إلى الفيدراليين.

في الساعة 6:30 مساءً نتناول وجبةً متواضعةً أعدتها سيكريدر. طعامها يجعلني دائماً أفكر في جيري ساينفلد. شكل الطاولة لذيذٌ للغاية، لكن الطعام لا مذاق له على الإطلاق. بحلول الساعة 8.00 مساءً نكون في الاستوديو. تقرض سيكرير بعض مساحيق التجميل الخاصة بها للرَّجُلَيْن اللَّذَيْن يبدأ بثَّهما في الساعة 8:30. المضحك أنني سأشارك فيه، لقد بدأ الأمر يعجبني، بل صرْتُ أطلَّعُ إلى ذلك تقريباً. حتى إنني اشتريتُ نسخةً من إنجيل الملك جيمس. الوعظ يجعلك قوياً.

"لأنني كلمته! وكلمته هي أنا! فتكلِّموا!"

كدتُ أندم أن السبت عطلة. يقول جودموندور: "هذا بسبب يورو فيجن". ستقام مسابقة الأغاني الأوروبية السنوية الليلة، حيث تشارك أيسلندا للسنة العشرين، وكرواتيا في السنة الحادية عشرة. يبدو أن هذا هو الحدث التلفزيوني لهذا العام.

"لا داعي للوعظ الليلة. تسعة وتسعون بالمائة من كل الناس يشاهدون يوروفيچن، وتخلو كل الشوارع. سنعرض الليلة تسجيلًا قديمًا وحسب". وهذا أيضًا وقتٌ لمَّ شَمَلُ الأسرة؛ جانهولدر وشقيقها تراستر كلاهما قادمٌ لتناول العشاء.

يبدو تراستر مختلفًا تمامًا عن أخته. إذا كانت هي بجعة، فهو عصفور: رجلٌ ناعس العينين منتفخ الصدر، صغير ومستدير. إلّا أنه قويٌّ أكثر من كونه سمينًا. لديه يدًا رَجُلٍ عامِلٍ وأصابعه تبدو عليها مهارة الحرفيين. وجهه أملس ما عدا بعض الشعر الأبيض الذي يغطي شفته العليا. ومع ذلك، لا بُدَّ وأنه في السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين من عمره. بالكاد يتحدث ولا يرفع عينه عن وجبته أبدًا، لكنني ما زلتُ أجد وجوده مريحًا بشكل غريب، وأدرك أنني سأجد صعوبةً في اتِّباع الأوامر إذا قالوا لي أن أتخلَّص منه.

"تراستر هو اسم طائر أيسلندي لطيف للغاية" تقول سيدة المنزل وهي تمرُّ عليَّ بالصلصة البيضاء، والمُقَدَّسة للغاية.

"إنها ليست أي سلندية" اعترضت ابنتها بجفونٍ ثقيلة.

"ماذا تقصدين؟ تراستر؟" تقول سيكريدر باندهاش كبير. "إنه أحد أكثر الطيور الأيسلندية. لدينا حتى قصيدة عنه".

"نعم، لكن يا أمي هذا لا يعني أنها أيسلندية. الطائر هنا فقط في فصل الصيف، ويقضي معظم العام في فرنسا أو إسبانيا. ألّا يجعله هذا إسبانيًا أكثر منه أيسلنديًا؟".

"إسباني! كيف يمكنك أن تقولي هذا؟ تراستر هو أشهر الطيور لدينا في أيسلندا".

"يقضي معظم وقته في إسبانيا".

"لكن... أطفاله وُلِدوا في أيسلندا، إنهم مواطنون أيسلنديون، ويجب أن يكون كذلك. لقد وُلِدَ أيضًا في أيسلندا!".

"مواطنون أيسلنديون؟" تقول جانهولدر: "تحدثين بعنصرية يا أمي".

من الصعب معرفة ما إذا كان والداها يفهمان الكلمة، لكن والدتها تغلق عينيها وتطبق شفيتها. ينهض جودموندور من الطاولة ويمشي إلى رف الكتب ليسحب مجلدًا، وتحاول سيكريدر أن تهدئ الأمور باللجوء إلى الأب فريندلي: "أنا لا أعرف ما اسم هذا الطائر بالإنجليزية، لكن...".

"إنه أحمر الجناح" هكذا صاح زوجها الطيب وهو ينظر في قاموس نحيف.

تشكره وتشرح لي أن أحمر الجناح هو "طائر سفر". تُدير جانهولدر عينيها، لكن تراستر يجلس هناك، مثل بحر أصم وجذته العائلة على الشاطئ هذا الصباح. وجنتاه العذراوان مُلطَّختان بأحمر خدود ناعم، كما لو كانوا يحاولون مساعدتي في تصوُّر أحمر الجناح.

"أم أنه طائر مسافر" تواصل سيكريدر "ماذا تقول؟ ماذا تُسمِّي الطائر الذي يعيش في اثنين...".

"لا أعرف.. طائر هجرة؟" هو تخميني الجامح.

تلتقطها جانهولدر بسخريّة شريرة: "طائر مهاجر".

نأكل في صمت.

انتهى تراستر من وجبته والتقت أعيننا. رجُل مسكين. عندما قدّمه والداه إليّ، أضافا بشكل غريب أنه عشيق، كما لو كان متخلّفًا.

"أوه؟ ومن المحظوظة؟" سألت.

"نعم، إنها محظوظة جدًا. ونحن أيضًا".

يجب أن أعترف أنني كنتُ أطلع طوال اليوم لمشاهدة مسابقة الأغنية الأوروبية يوروفيجن الغبية. لقد مرّت ست سنوات كاملة منذ شاهدتُ البرنامج الذي أنقذ حياتي. نجتمع على أريكة الزاوية الكبيرة، ويقوم جودموندور بتشغيل شاشته المسطحة. البتّ مباشرٌ من أثينا في اليونان، والجو لا يختلف عن أجواء جمهور الإنجيليين التلفزيوني الضخم: عشرة آلاف شخص يصرخون بفرح في نهاية كل أغنية، ما عدا الأغنية الأيسلندية. فتاة قذرة ترتدي زيّ عاهرةٍ لا تتلقّى سوى صيحات الاستهجان الشديدة. بدتُ الأغنية جيّدةً، لكن غطرستها بالتأكيد لن تُرضي الإغريق. في الواقع تُذكّرني قليلاً بجانهولدر.

ألقي نظرةً على مُصيفي، من بين كل الأفعال العلمانية ربما كان هذا هو أقلها تديّنًا، المغنية التي تبتسم ابتسامة شيطانية، كما لو كانت قد نامت للتوّ مع منتج العرض. ينظر جودموندور إليّ بابتسامة مُعقّدة، كما لو كان مندوبًا للأمم المتحدة وقد تَبَوَّل رئيس وزرائه للتوّ على المنصة.

توضّح جانهولدر: "إنها مُجرّد مزحة، هذه المغنية... إنها تسخر من كل شيء داعر".

تنفجر كلمة الـ "د" بهدوء في الغرفة، مثل ضَرْطَةٍ صامتة ولكنها خطيرة. يُذكّرُها والدها بلُطفٍ بأن مثل هذه الكلمة غير مقبولة في منزله، وحتى توكسيك فوجي، وتذكّر كيف أن "الشيء الداعر" أنقذ حياته.

نستعرض عشر أغاني أو أكثر -معظمها من فئة موسيقى التكنو سلافية، أو تكنوسلافيك كما نقول- حتى ظهرت كرواتيا العزيزة، هرفاتسكا العزيزة الغالية، كاد تومو يتبَوَّل في سرواله الداخلي وهو

يشاهد الإلهة الوطنية تمشي على خشبة المسرح. إنها سيفيرينا، سيفيرينا العزيزة الغالية. سيفيرينا فوكوفيتش.

بالنسبة لأبناء سبلت، كانت أجمل فتاة في العالم. كانت تكبرني بأربع سنوات، ولم أجروا حتى على الحلم بها. رأيتها ذات مرة تمشي في مارمونتوفا مع والدتها، فانتابني فواق فظيع في القلب. على الرغم من أنني لم أرها منذ سنوات - منذ أن انتشر شريطها الجنسي على الإنترنت وأبكي كل كرواق لمدة أسبوع - لكنها لا تزال تبدو وكأنها أجمل امرأة في العالم. إنها ترتدي فستانًا أحمر طويلًا مفتوحًا من الأمام، وتتباهى بساقيها المثاليّتين. تُدغمها فرقة موسيقىة محلّية "لأن العشب لم يَنْبُت بَعْدُ"⁽¹⁾ أشعر بالحنين إلى الوطن، أشعر به في معدتي. آه، هذا فظيع. "حيث يقف كعبي" يا رَجُل، لا أستطيع التَّحُمُّل. مشاهدتها وهي ترقص على الشاشة تخلق إحساسًا عميقًا بداخلي، إنه مثل رؤية والدَيْكَ يداعبان بعضهما، تمهيد إحضارك إلى العالم، والسبب الأساسي لوجودك.

أشعر بحنين شديد إلى الوطن.

وفي مكان ما عميقًا، أشعر بالرغبة في البكاء. لكن دموعي الحجرية لن تعود إلى حالتها السائلة. يجب أن يصنعوا فياجرا للبكاء. أمل ألا يلاحظوا عيني المغبّشة، أو فمي الحزين، أو انتصايي الوطني تحيةً لبلادي، إنها لغتي، فتاة أحلام طفولتي، تضرب الرجل الوحيد في المنفى مثل رجلٍ تدهسه شاحنة في مدينة نيويورك مليئة بالصحف الشعبية (وعلى صفحاتها الأولى توني دانزا الداعر⁽²⁾) أوه... "وطني الحبيب" ينظرون إليّ. لا بُدَّ وأنتي أبدو مثل جَرِّو وحيد يتوق لأمه. أودُّ أن أقول شيئًا.

(1) بالكرواتيّة في الأصل

(2) Tony Danza: ممثل أمريكي.

"إنها الذكريات..." تمكّنتُ من التّأناة "... من يوغوسلافيا" يديرون رؤوسهم مرّةً أخرى إلى الشاشة، متجاهلين الكاهن الحزين الجالس على الأريكة. تتابع سيفيرينا الصراخ: "مويا شتيكلا! مويا شتيكلا!" يعني هذا "كعبي العالي! كعبي العالي!" فجأةً يرنّ جرس الباب، يشبه صوت أجراس الكنائس. اتّجه جودوموندور إلى الباب، وسمعت رَجُلَيْن يتحدّثان إليه.

كانت هذه هي إشارة رحيلي.

أستأذن وأنهض مُتظاهراً بالذهاب إلى الحَمَّام، لكن أواصل المرور عبر غرفة الطعام، وصولاً إلى الجزء الخلفي من المنزل. أفتح الباب إلى الشرفة الأرضية وأتردّد للحظة وجيزة جدًّا. اندفع هواء الربيع الجليدي في وجهي، وأدرك أنني لا أرتدي أي حذاء، فقط جواربي من مدينة نيويورك. في الخلفية تعوي سيفيرينا على حذائها ذي الكعب العالي، فلم يكن هناك حذاءٌ غيره أخطوبه على الشرفة الباردة. أغلقتُ الباب خلفي بسرعة، ثم رگضتُ مثل رَجُلٍ مجنون من حديقة لأخرى.

11

تاديوس

2006/05/20

الرَّكُض على الأسفلت الأيسلندي في الجوارب الأمريكية الرقيقة في الصيف صعبٌ على القدم الكرواثية. ما زِلْتُ لن أبكي بسبب ذلك. أنا قَاتِلٌ مُحَرَّفٌ، ولست كاهنًا.

اتَّخَذْتُ مِنَ البَرْد سوطي وأنا أركض في الشارع مُتَّجِهًا أعمق إلى هذه الضاحية من القصور الصغيرة. لحسن الحظ لا أحد يراني. الجميع يشاهد رقصة "كعوب" سيفيرينا⁽¹⁾. الكعب العالي هو أساس المرأة. عليك فقط أن تعبد الفتاة التي ترتديها. في الواقع، يمكنك قياس المرأة بحذائها، كلُّما كانت أكثرَ أنوثةً؛ كان كعبها أعلى. عادةً ما تكون كعوب سيفيرينا بطول ماسورة مسدَّس عيار 9 ملم.

(1) معنية وكاتبة أغاني وممثلة كرواتية.

قال أحد أصدقائنا إنه قضى معها ليلة على متن قارب والده في الميناء مباشرة. "تَقَلَّبَ الأمواج حتى ضوء الصباح". لم نُصَدِّقه، لكن بالطبع لم نتمكن من إثبات خطئه أيضًا. سواء أكان ذلك صحيحًا أم لا، فقد بنى سُمعته الكاملة على القصة، وانتهى به الأمر في البرلمان اللعين.

كلَّما ظهر وجهه على شاشة التلفزيون الكرواتي؛ أَمَسَكْتُ تلقائيًا بمسدسي.

لا أرى أيَّ سيارات شرطة في الجوار. لا فِرَق تَدْخُلُ سريع أو عُمَلَاءَ سَرِيِّين يرتدون قُبَعَاتٍ صُوفِيَّةً يقفزون فوق الحواجز. أعتقد أن الرَّجُلَيْنِ تَحَدَّثَا إلى جودموندور باللغة الأيسلندية، ويعمل قسم الشرطة المحلية لصالح الفيدراليين. كل الدول الصغيرة تحتضنها الولايات المتحدة؛ فالكل يريد لحظته في هوليوود. أتساءل ما إذا كانت الشرطة الأيسلندية ستفعل الشيء نفسه مع المكافئ الإيراني لمكتب التحقيقات الفيدرالي. استدرتُ يمينًا عند التقاطع التالي، ولاحظتُ شاحنة توصيل صغيرة من دومينوز بيتزا ظلَّ مُحَرَّكها دائرًا. انْحَبَيْتُ خلف السيارة. يقف فتى البيتزا عند مدخل منزل مجاور موليًا إليَّ ظهره إذ يقدم فطائره الساخنة إلى امرأة جذابة بأكتاف عارية، من نوع اليوم السادس. أقفز في السيارة وأنطلق، يهرع إلى الشارع بينما أقود السيارة بعيدًا. أراه يُلَوِّح لي مُودِّعًا في مرآة الرؤية الخلفية. الأيسلنديُّون مُهذَّبون.

بعد تفكير سريع إذ أقود في الشوارع الفارغة، عرفتُ أنني لا يجب أن أبتعد. عربة البيتزا مثل الجرس حول رقبة الثور. ولطالما قال لنا جافور:

"عندما تريد الاختباء، يجب أن تختبئ في قلب العدو. إنه المكان الوحيد الذي لن يبحث فيه".

جميع القصور ملحق بها مرآب مُزدَوَج. بعضها يكاد يكون بحجم المنزل نفسه. وأمام كل واحد هناك سيارة دَفْعٍ رُباعيٍّ ضخمة تقف بجانب واحدة أصغر: له ولها. شاحنة فورد سوبر ديوتي بجانب بورش كايين. هؤلاء الناس يحتفظون بالسيارات مثل البدو الذين يربُّون الجمال. تبدو جميعها جديدة تمامًا، وتتلاألأ أسطحها في ليلة الربيع البيضاء.

ومع ذلك، لم توضع تلك العربات داخل المرآب، كما أخبرني الزوجان المقدَّسان في ذلك اليوم، بل تَمَّ بناء الأسقف المسطَّحة كأضحيةٍ للعجول الذهبية التي تستريح تحتها. أخبرني جودموندور أن جاره يُلَمِّع سيارته الليكسز كل أسبوعين، وربما يمارس معها الحب باقي الأسابيع. تَمَّ تزيين العديد من سيارات الدفع الرباعي بإطارات ضخمة؛ ممَّا وضع أبواب العادم في الارتفاع المثالي لمثل هذه العملية. ثمة منزل لا توجد سيارات أمام مرآبه المزدوج. مَرَرْتُ به وخمسة منازل أخرى، ثم توقَّفتُ، وأوقفتُ عربة البيتزا بالليمون لأقفز خارجًا وأغلقتها.

ألقي بالمفاتيح في الفناء المجاور، قبل أن أركض سريعًا إلى المنزل الفارغ. (ربما ترغب في رؤية هذا بالحركة البطيئة: الكاهن السمين يركض على الرصيف بجورب في قدميه، مثل مُدْمِن اليانصيب بعد فوات أوان شراء تذكرته). لا يوجد ضوء في النوافذ. على الأقل لا يوجد ضوءٌ مَرئيٌّ. من الصعب التأكد؛ لأن الليل ساطعٌ مثل حفلة موسيقيةٍ في الجحيم.

سِرْتُ في الممر القصير وصَعَدْتُ ثلاث درجات إلى الباب الأمامي. أدقُّ الجرس، فينبح كلبٌ من مسافة. أنتظر قليلًا في البرد القارس لالتقاط أنفاسي، ثم أقرع مرة أخرى. يبدو أن جرس الباب متَّصل بكلب على بُعد بنائيتين من هنا. وإلا فإنه صامت حتى الموت. الحيُّ

كله ملتصق بالتلفاز، حتى الأشجار تَسَمَّرَت في مكانها في لهفة تتساءل
ما إذا كانت سيفيرينا ستفوز؟

يمكن سماع صوت سيارة في شارع قريب. لا بُدَّ وأنهم جواسيس
المباحث الفيدرالية في طريقهم. أخرجتُ السُّكَّين وفتحتُ الباب لأجد
الكلب الذي ينبح داخل المنزل. أجد بعض النُّعال في المدخل، وأنجُوَل
بسرعة في منزلي الجديد. مائتا متر مُربَّع تخصُّ أناً ومُحافظين. مدفأة
غير مستخدمة وبعض اللوحات القمرية الأخرى، أشياء ثقيلة في
إطارات ذهبية ثقيلة، وبعض الأرائك الضخمة وجهاز للمشى.

يبدو أن الكلب في القبو. أجد السُّلَّم وتقودني أذني إلى غرفة الغسيل.
بمجرد وصولي إلى الداخل، أجد كلبًا صغيرًا مُشعرًا اعتدنا أن نطلق
عليه "باروكة مُتحرِّكة" في المنزل في سبليت. تدخل آلة النباح الصغيرة
في نوبةٍ أنهيها بأن لَوَيْتُ عُنُقَه بسرعة. الأمر سهل مثل كسر ساق
الدجاج من المفصل.

أجد بعض السراويل الغربية على المنشر، وقميصًا مُبتدِّلًا، وملابس
داخلية رجاليَّة مغسولة حديثًا. يخلع الرجل المقدس الياقة ويتبرَّع بها
لزميله الكلب الميت- ويودَّع الأب فريندلي. ارتديت السروال والقميص
الغريب، ثم اتَّجهتُ بسرعة إلى المرآب الذي يُمنع فيه تواجد السيارات.
أفتش عن علبة طلاء أو شيء يشبهه. أجد بعض طلاء المنزل في
زاوية مُهمَلَة. أفتح العلبة بسكَّين الجيش وألطِّخ ملابسني ووجهي
ببعض الطلاء الأبيض. هذا عبقرِيٌّ للغاية، أنا متحمَّس جدًّا. نبضات
قلبي تنتقل من موسيقى بوليو إلى موسيقى بوسانوكا.

أُحضِرُ العلبة المفتوحة معي داخل المنزل وأجد بعض الصحف
في المطبخ، فأفرشها على الأرض في الرَّدْهة -حوالي ست عشرة صورة
لفتاة نافهة تُغْنِي لأيسلندا- وضعتُ العلبة فوقهم. عثرت في المطبخ

على راديو فُصِّمَتْ بتشغيله. يصرخ فيل كولينز⁽¹⁾ بأنه كان ينتظر هذه اللحظة طوال حياته. اعتدَّتْ أن أبكي معه بصوتٍ عالٍ عندما هجرتني صديقتي في هانوفر مثل كوبٍ ورقيٍّ فارغٍ في سلةٍ مهملات. إنها أغنية انفصال رائعة.

أنهيتُ كل شيء وقد بَلَّلَ العَرَقُ رأسي تمامًا. في النهاية رنَّ جرس الباب. أنتظر دقيقةً وأتركه يَرِنُ مرةً أخرى. الصوت فخمٌ للغاية وكأنه مُصمَّمٌ لتذكير المُلَّاك بثروتهم. أذهب إلى الباب وأفتحه. دقَّات قلبي على أنغام موسيقى الديسكو الآن، يقف اثنان من رجال الشرطة عند المدخل، سترات سوداء، قبعات بيضاء.

"أهلاً" كما يقولون باللغة الأيسلندية الخالصة.

"مرحباً" أقول بلهجة سلافية كثيفة.

"آه... عفواً، هل تتحدَّث اللغة الإنجليزية؟"

"... قليلاً."

"هل كريستيان بالمنزل؟"

هل هذا منزل مسيحي؟ هذا سؤال غريب. ربما ليسوا من رجال الشرطة. ربما يكونا كاهنين فقط في دورية تجوب الحي. "نعم، أعتقد أنه منزل كريستيان. لكنني لا أعيش هنا.." أقول بأفضل نُسخةٍ لديَّ من انجليزية المهاجرين.

"هل يمكننا التحدُّث معه؟"

"معهم؟"

"نعم. نريد التحدُّث إلى كريستيان."

(1) موسيقي انجليزي.

(2) تعتمد الكاتب في الفقرات التالية التحدُّث بلغة ركيكة.

لهجتهم قوية، مثل مصارع تناوَل الكوكابين.

"آه فهمت. لا، كريستيان لا منزل الآن، لا".

"مَنْ أنت؟".

"أنا تاديوس".

"بولندي".

"نعم. أنا أعمل في المنسل. كريستيان ليس في المنسل" أقول وقد
بَلَّل الطَّلَاءُ الأبيض أنفي.

"تمام. نبحث عن رَجُلٍ أَصْلَحَ في ثِيَابِ قَسُيس. هل رأيتَ أيَّ
شَخْصٍ يركض هنا؟".

"لا، آشف، كاهن أَصْلَحَ؟".

"نعم. ليس لديه شَعْرٌ على رأسه ويرتدي زيَّ كاهن، إنه رجل
خطير للغاية، مجرم. نحن نبحث عنه".

"كاهن جنائي؟" أسألهم، متذكِّراً ديكان ومقولته الشهيرة: "الغباء
هو أفضل تمويه".

"نعم، إنه مطلوب في أمريكا".

"أعتقد أن لديهم ما يكفي من الكَهَنَةِ الجنائيين في أمريكا؟" أقول.

يتسم الشرطيان الأيسلنديَّان بابتساماتٍ لطيفة، ويودَّعانني بأدب،
ويتمنَّيان لي التوفيق في الرسم.

السيد ماك

2006/05/20

لم أعش في منزل كبير كهذا من قبل. أحبُّ ذلك تمامًا، عليَّ أن أعترف. فجأة أصبح المنفى مُمتازًا. كان الهروب من البيت المقدس مصدرَ ارتياح كبير. الآن لست بحاجة إلى رسم ابتسامة غبية في الصباح أو السير على الأرضيات اللامعة مثل المسيح على الماء. كان خلع فريندلي أشبه بالتَّخلِّي عن حبيبةٍ صوَّتها عالٍ بلهجة من تكساس، ومُدمنة على الهاتف الخليوي.

أقضي بقية ليلة السبت في المنزل وحدي، مستمتعًا بمسابقة الأغنية الأوروبية لعام 2006 على شاشتي المسطحة الكبيرة الجديدة ذات الصوت المحيطي، والتي تبدو في الواقع أشبه بشاشة بَدِينَة. لطالما كان فرز الأصوات هو المفضَّل لديّ. فاز بالكأس فنلنديّان ارتدوا أزياء الهالوين وراحوا يصرخون. تأتي اليوسنة والهرسك في المرتبة الثالثة.

احتلت سيفيرينا المركز الثالث عشر بحصولها على ستة وخمسين صوتاً فقط، جميعهم من جمهورية يوغوسلافيا السابقة. حتى الضرب يشعرون بالسوء بما يكفي لمنحنا عشر نقاط، أم كانوا يصوتون بقضبانهم؟ من الواضح أن بقية أوروبا لم تشهد الشريط الجنسي لسيفيرينا. إذا أردنا الفوز بهذا الشيء اللعين مرةً أخرى؛ فنحن بحاجة لإنشاء المزيد من دول البلقان.

الثلاجة مليئة بالطعام. أعد عجة في وقت متأخر من الليل للقاتل الجائع المختبئ، وأخذه إلى غرفة البلياردو في الطابق السفلي، محاولاً أن أبقى بعيداً عن الأنظار وأطفئ الأنوار. مُلأني هم كريستيان ب. ماك وهيلينا انجولفستودير، ويبدو أنهما تحملاً هذه الأسماء لنحو ستين عاماً. تُظهر ألبومات الصور زوجين سعيدين بشاربين يتسمان في جميع الأماكن الجميلة من فلوريدا إلى سلوفينيا. يبدو أنهما يسافران من أجل لقمة العيش. يظهر تقويم المطبخ مارس في كينيا وأبريل في بلغاريا. لا بُدَّ وأن هيلينا فُكِّرت في؛ إذ علّمت حتى نهاية هذا الأسبوع: لندن، لندن، لندن. ومن المقرر أن يعودا يوم الاثنين.

بعد يوم طويل حافل بالأحداث، أنا سعيد لأنني سأنام في فراشهما.

إنها ساحة كبيرة للملاكمة من جانبه وجانبها. لا يمكنني العثور على الفُفَّازات، لكن يمكنني أن أرى أنها تقرأ بعض كتب الطبخ الإيطالية وهو يقرأ: كوزا نوسترا... تاريخ المافيا الصقلية. الطليان اللعناء في كل وقت. ماذا عن بعض الدعاية للرجال الصادقين المتأبرين في المافيا الكروايتية؟ ماذا عن بعض الكتب وبعض الأفلام وبعض الشهرة؟ اللعنة. حتى النكرة الذي يحمل اسماً قبيحاً في تلك الجزيرة معزولة السلاح يقرأ عن مُتغوّطي المكرونة.

أنام في جانب الزوجة، وأحتفظ بدقائق استيقاظي الأخيرة لأرصد وضعي الغريب. ماذا بعد؟ يمكنني قتلهم عند عودتهم والبقاء هنا

حتى تفرغ الثلاجة، أو استخدام التذكرة التي اشتراها لي إيجور في المطار. لا أرى أي احتمالات أخرى.

أقضي يوم الأحد في المنزل، مستمتعًا بإفطار طويل وفاخر، أحاول جاهدًا قراءة المقال المُصاحب لصورتي على الصفحة الخلفية من الصحيفة التي جاءت من الباب الأمامي في وقت متأخر من الليلة الماضية. العنوان كالتالي: Mafíumorðingi á Íslandi؟ يبدو وكأنه مافيا في أيسلندا. علامة الاستفهام مطمئنة. هناك ذِكرٌ لمحطة الأب فريندي ومحطة جودموندور كريستيان التلفزيونية، إلى جانب بعض الكلمات من الواعظ نفسه. يمكنني تخيل وجه حيوان اللاما ذي العينين الكبيرتين على عنق طويل مُشعرٍ أمام المراسل: "نحن في صدمة كبيرة، لم نَشْكُ في أي شيء. كان ودودًا⁽¹⁾ للغاية. نحن نعتبر أنفسنا محظوظين لأننا على قيد الحياة".

لم يُذكر اسم إيجور. إنه أُملي الوحيد الآن.

أحاول الاتصال بمونيتا باستخدام هاتف منزل آل ماك. أعلم أنها ليست أكثر الخطوات حكمةً، لكنني لا أستطيع المقاومة. لا بُدَّ أن أتحدث معها. أتصل بها على هاتفها الجوال فتجيبني خاضية الردّ الآلي "لذا من فضلك اترك لي رسالة بعد الصفر" لا يمكنك إلا أن تحب هذا الصوت. هذا العالم الناعم، الدهني، المُشعر الذي يمتصُّك مثل أم الحياة نفسها، حتى تَعَثُّها في الكلام مثير.

لا تجيب ولا تعاود الاتصال. أتساءل عما إذا كانت بخير؟ الموت العنيف شائعٌ في عائلتها.

أستحمُّ بماءٍ ساخن لمدة طويلة، في أكبر حوض استحمام من شرق فيجاس، وأترك الفقاعات ترتد على بطني لمدة خمسين دقيقة، ثم

(1) استخدام مزدوج لاسم Friendly.

أستمتع بالسَّير عاريًا في المنزل مع بيرة باردة في يدي، مُستَغلاً كل المزايا المذهلة للتواري عن الأنظار قدر استطاعتي.

خارج الزمن. أنا أعيش في منزل فارغ. أنا لستُ أحد الموجودين في المنزل، أنا غير موجود. أنا فقط تلك القوَّة غير المرئية التي تُحرِّك علبة صغيرة خضراء من بيرة هاينكن حول هذا المنزل الكبير، وتمتصُّ محتوياتها ببطء.

عند عودتي إلى الحمام، أتفاجأ بشكل سيئ برؤية وجهي في المرآة. لجزء من الثانية أرى الأب فريندلي. أتذكَّر اتصالنا السريع بالعين في المرآة في مطار جون إف كينيدي وقلبي يتخطَّى الخفقان. السيد فريندلي عنيْدٌ مثل خيلٍ تحت تأثير المنشطات. هو لن ينسى الأمر. كان يناديني باستمرارٍ من قبره مثل زعيمٍ غاضبٍ يشتكي من نعشه. حتى إنني حلَمْتُ به الليلة الماضية، في تجمُّع من العباءات البيضاء الطويلة والأشجار الخضراء الطويلة في الهواء الطلق، اقتَرَبَ مِنِّي وقَبَّلَنِي على جبهتي. شعرتُ بشفتيه كبيرتين وسميكتين ودافئتين كما لو كان أسود. وعندما تَرَجَّع، رأيتُ أنه في الحقيقة يُشبه لويس أرمسترونج، رجل البوق العزيز الطيب.

أنا لا أفهم. لقد مات ستة وستون خنزيرًا، دون أي تأنيب ضمير، وفجأةً يُلَاحِظُنِي كَاهِنٌ أَصْلَعُ قُتِلَ فِي حَمَّامِ الْمَطَارِ كَفَتَاةً مُغْرَمَةً حَتَّى الْإِعَاقَةِ. رِمَا لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ رَجُلٍ مُقَدَّسٍ، بَلْ رَجُلٌ مَبْجُلٌ؟ مِثْلَ لُويْس أَرْمِسْتْرُونْج.

تجعل البيرة عقلي يسبح داخل رأسي، مثل حوتٍ مُحَاصِرٍ فِي حَوْضٍ مَائِي صَغِيرِ الْحَجْمِ، وَأَشْعُرُ بِالْارْتِبَاكِ. أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرْآةِ، أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي فِي الْمِرْآةِ، بِطَرِيقَةٍ مَا أَنَا لَسْتُ هُنَاكَ. أَوَاجُهُ دُمِيَّةٌ بَابُوشْكَا بِوَجْهِهِ وَاعْظُ تَلْفِزِيُونِي أَمْرِيكِي، بِدَاخِلِهِ الرَّسَامُ الْبُولَنْدِي السَّاحِرُ تَادِيُوشُ بُوَكْسِيْفِيْتِسْ، وَبِدَاخِلِهِ مُهَرَّبُ الْأَسْلِحَةِ الرُّوسِي إِيْجُورُ إِيْلِيْتِشْ، وَبِدَاخِلِهِ

توكسيك القاتل، وبداخله: توم بوكسيتش أحدث وافد. وأخيراً بداخله "تشامب"، الفتى تومو، الصبي الصغير من سبليت في كرواتيا.

بدلاً من الشعور بالاكتئاب بشأن عدد وأحجام كل ما عندي من ذواتٍ مختلفة، أَصَفْتُ واحدة أخرى إلى الدُّمِية الخشبية: أخرج من المنزل بصفتي السيد ماك، رجل الأعمال الناجح في جارد ذا بير، أيسلندا. أرتدي معطفاً شتوياً طويلاً، بُنيّاً، فاتِحاً، وَقُبْعَةً رمادية داكنة، ووشاحاً أحمر حول رقبتني. حذاء من لويديز في لندن. علاوة على ذلك، أحمل حقيبة جلدية بُنِيَّة اللون تحتوي على حذائي الرياضي الروسي وبعض الملابس الداخلية النظيفة.

لا بُدَّ وأنني أبدو سخيّاً تماماً، مثل قاتِلٍ مَلَكِيٍّ في طريقه إلى وظيفة في ساعة متأخرة من الليل.

ما زِلْتُ أحاول أن أمشي كرجُلٍ أعمالٍ: بظَهْرِ مستقيم وبطن منفوخ. الرجل الذي حَقَّقَ كُلَّ نجاحاته وراء ظهره والآن يمشي منتصراً، كما لو أنه لم يكن يُحرِّك قدميه بنفسه، ولكن تدفعه في الطريق حصصُ استثماراته المتزايدة باستمرار. هذا يعني أنني أمشي ببطء بطول الرصيف، أنا الوحيد الذي يفعل ذلك هنا في بلدٍ لا يمشي فيه أحدٌ. يصيبني هذا ببعض التوتر.

كل سيارة ملعونة يرمقني مَن فيها بالنظرات. يبدو أنهم لم يَرَوْا رجُلًا يمشي من قبل. يبدو الأمر كما لو كنتُ على خشبة مسرح مكتمل العدد في المسرح القومي الكرواتي. لكن هذا هو السبيل الوحيد. سرقة سيارة لن تلائم شخصية السيد ماك، وسيارة الأجرة كانت محفوفة بالمخاطر.

الضوء عالٍ أكثر من أي وقت مضى. في الساعة العاشرة وثلاث وثلاثون ليلاً، لا تزال الشمس تحترق في الأفق مثل مصباحٍ برتقاليٍّ في

مطعم صيني في الهواء الطلق في بروكلين. إنها أمسية جميلة في الواقع،
بيجار هادئة تمامًا ودرجات الحرارة العشر المعتادة. عليك اللعنة! الآن
أبدو وكأنني نبيل بريطاني... لا بُدَّ وأن القُبْعة هي السبب.

13

شركة الجريمة والقتل

2006/05/21

لم أشعر برغبةٍ في قتل الزوجين ماك. يكفي كليهما. ما زِلْتُ بدون أداة العمل المعتادة، وبصراحة لم أتخيل أداةً أخرى تمزج بين العاطفة والمؤخرة. لستُ بحاجة إلى نسختين من فريندي على ظهري. أيقنْتُ أيضًا أن إيجور لم يعد خيارًا.

كنت أعتقد أن خطئي في تقديم نفسي كإيجور على أبواب هذا البلد، بدلًا من أن أكون الأب فريندي بطول الطريق من چون كينيدي، هو شيء من الحظّ الغبي. لكنني الآن لست متأكدًا. حقيقة أن السيد فريندي كان مسافرًا على متن رحلة طيران أيسلندا في تلك الليلة، لكنه لم يحضر إلى أيسلندا بعد ذلك، لا بُدَّ أنه أثار الشكوك في بعض الأماكن النافذة. وعندما تعرّفوا على الجثة في حمّام المطار على أنها جُثَّتُه، قاموا بالحسابات السهلة: قَاتِلُه سافرَ بتذكرته في تلك الليلة.

ثم قاموا بعد ذلك بفحص قائمة الركّاب وتحديدهم جميعًا على أنهم سائحون بلا سوابق جنائية ومُحبّون للأنهار الجليدية باستثناء هذا الرجل.

ومن ثم لا بُدَّ أن تقرير مراقب الجوازات في تلك الليلة قد استبعد إيجور عن كونه قاتلًا مُحتمَلًا لفريندي؛ لذا فإن تَرَكَ أيسلندا مُتخفياً هو مخاطرة لن أقوم بها. لا أريد أن أقضي الثلاثين عامًا القادمة في تناول رغيف لحم بـ 32 سنت والاستماع إلى سنوب دوج⁽¹⁾ بينما يخرج من الزنزانة المجاورة. أنا من مُحبّي كريد⁽²⁾؛ لأنني أبكي بصوت عالٍ. أفضل البقاء هنا بلا اسم، وبلا أسلحة، وبلا هدف في أرض الدرجات العشر.

تستغرق الرحلة من جارد ذا بير إلى ريكيافيك ساعة تقريبًا. تمرّ سيارة شرطة بيضاء. أحافظ على هدوئي. إنه مثل المشي على حبل مشدود. يجب أن أحافظ على تركيزي طوال الوقت. نظرة واحدة إلى اليسار وقد أسقط في أيدي المباحث الفيدرالية.

أسير في نفس الطريق الذي قادت فيه جانهولدر في اليوم الأول. أنا ذاهب إلى منزلها، شقراء الزبدة هي أملي الوحيد الآن. لم أجرؤ على الاتصال بها، لا بُدَّ وأن هاتفها مُتصل الآن. ليس لديّ أي سبب للاعتقاد بأنها ستنتظرنني بالبالونات والكعك، ولكن بطريقة ما تُخبرني غريزة حيوان البلقان أنها ستفتح لي شيئًا آخر غير الباب.

كنت أتجوّل على الرصيف الخالي بطول ميكلابروت. هنا قابلتُ أوّل عابرٍ سبيل في الليل. يركض نحوي رجلٌ نحيف ذو شعر رمادي مرتديًا قميصًا أحمر مُلطّخًا بالعرق. يمتلئ وجهه بألم رهيب، وكأنه يُمثّل دور المسيح على الصليب. إنها مسألة سنوات حتى يتِمَّ حظر

(1) Snoop dogg مغني راب وهيب هوب أمريكي شهير.

(2) Creed: فرقة موسيقية أمريكية.

الركض والتدخين. كان لديّ خمسة أصدقاء عدائيين في مدينة نيويورك. اعتدنا أن نلتقي في سنترال بارك أربع مرّات أسبوعيّاً، فقط للحفاظ على لياقتنا من أجل جميلاتنا.

تمكّنتُ من الإقلاع عن التدخين بعد ستة أشهر، لكنهم لم يتمكّنوا من التخلّص من هذه العادة. بعد ثلاث سنوات، فَقَدَ ثلاثةٌ منهم كُلَّ وزنهم. حسنًا، عليّ أن أعترف أن أحدهما أصبح رقم 32 على قائمة ضحاياي، ولسببٍ وجيهٍ جدًّا. قصّة حزينة حقًّا، لكنّ الاثنين الآخرين ماتا بسبب ظروف مرتبطة بالركض.

وإذ يمرُّ العداءُ المُعذَّبُ ببطء، تمكّنتُ من تغطية وجهي متظاهراً برفع قُبعتي تحيةً، مثل رجل سينمائي من المدرسة القديمة. عليّ أن أكون حذرًا. أنا أعيش في أيسلندا الآن. لقد ظهرتْ صورتي في نشرة الأخبار في وقتٍ سابقٍ الليلة. كانت نفس الصورة في الصحيفة، لقطة مروعة منذ بدايات توكسيك في ألمانيا. أبدو مختلفًا الآن، ممتلئ الخدين وأصلح، لكن قارئ الوجه الذكي سيعرفني على الفور.

يبدو أن الشمس تغرب أخيراً مع دخولي إلى البلدة القديمة. ما زالت لا توجد علامة على الظلام، إنها مُشرّقة مثل المُشرّحة في منتصف الليل.

هنا ما زالت السيارات كلها تقف خارج المنازل الصغيرة، ولكن هناك أيضًا بعض العابرين الذين يجب الابتعاد عنهم. ضلّلتُ الطريق لفترة طويلة، لكن في النهاية وَجَدْتُ منزل جانهولدر المضاد للرصاص. إنها ليست في المنزل، فأستخدم السكين السويسري للدخول.

في الأيام التي انقضت منذ يوم الأربعاء، زادت الفوضى في شقّتها. كيف يمكنها أن تعيش هكذا؟ حتى رجل قديم من حرب الاستقلال الكرواتية لن يعيش لمدة ثلاثة أيام في مكبّ النفايات هذا. جميع منافض السجائر ممثلة، والوضع يستدعي اتّخاذ إجراءات صارمة:

مقلادة صغيرة موضوعة فوق التلفزيون، مليئة بالرماد والأعقاب المكسورة. الملابس في كل مكان تغطي الأرضية والأثاث مثل ثلوج ملوثة. يمكن لبيرة فارغة أن تقف في مكان ما مثل شاهد قبر في الثلج، نصب تذكاري لحفلة ميتة طويلة. يبدو أن غرفة النوم بدأ ينمو فيها كتّانٌ مُتَسِّخ، ورائحتها مثل صالة الألعاب الرياضية.

لَمَحْتُ تحت قدمي مَجَلَّتَيْن: واحدة تُسمّى "حائِر ومذهول"، والأخرى اسمها "عاهرة".

ماذا قلت؟ لقد أنجب الزوجان المقدّسان عاهرةً.

أخلع معطفي وقُبَّعتي ووشاحي، وأفرغ منافض السجائر والنقط الملابس. في غضون أربعين دقيقة، أصبح المكان صالحًا بصورةٍ عنوانها "دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت". سقطتُ للتوّ على كرسي بذراعين، ذلك الذي يواجه المطبخ والباب الأمامي الذي فتحتَه جان هولدر. أشفط معدتي فتصرخ بـ "ماذا!" صامتةً ثم تغلق الباب. "ما الذي تفعله هنا؟".

لو كنتُ ما زلت الأب فريندلي لقلت: "ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم" يعجبها القاتل أكثر قليلًا من رَجُل الدين.

"ماذا... أنا لا... مَنْ أنتَ على أيِّ حال؟! وكيف حصلتَ على... لهذا تمكّنت من فتح الباب في ذلك اليوم؟".

إنها ثَمِلَة بعض الشيء، ليست في جَمالها المعتاد. الآن فقط تلاحظ النظافة. "ماذا؟ هل جاءت أُمي أيضًا هنا؟".

بعد المزيد من الأسئلة التي لم تحصل لها على إجابة، ارتضت بتدخين سيجارة وتركت نفسها تسقط على الأريكة.

"مَنْ أنتَ؟ ما اسمُكَ؟ ماذا تفعل؟ هل حقًا قَتَلتَ الكاهن؟ في المطار؟ لماذا؟".

في صوتها لمسة إعجاب. هكذا تُلَمَّح ابتسامة شفتيها الشهيّتين. أخبرها قصّة حياتي وأطرح منها سبْعاً وستّين جريمة قتل، وستّين مع مونيّتا، وليّتي مع أندرو. تُدخّن وتستمع وتبحث عن منفضة سجائر. "أين وضعت كلّ منافض السجائر؟" تسأل.

"هناك واحدة أمامك".

يبدو أنها لم تَرَ منفضة سجائر فارغة من قبل. الفاسقة الأيسلندية. تنبعث منها رائحة مثل لافتة نيوچيرسي ديقلز⁽¹⁾ المعلّقة في الزاوية المظلمة من صالة نيووراك المكتظة على مدار العشرين عامًا الماضية. أريد حقًا أن أشفطها بأنفي.

"أوه، شكرًا" قالت بينما تضع منفضة سجائر لتستخدمها.

"عليك أن تُقلعي عن التدخين، قد يقتلك" أقول.

"هل تحدّثني عن القتل؟" تقول بابتسامة مهينة.

"نعم، لِمَ لا؟".

"لقد قُتِلَت كاهنًا لتوّك... أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أنّك مطلوب لارتكاب جريمة قتل أخرى".

فهمت، لقد ربطوا بين القتل في المطار والرجل الميت في المكب، أحسنتم.

"أتحسبن أن القاتل لا يهتم بالحياة؟ لا يهتم بالصحة أو يحافظ على نظافة المنزل؟" أقول بينما أشير إلى الغرفة المُرْتَبَة.

تقول: "جميل جدًا".

"القاتل إنسانٌ مثل أي شخص آخر. له حقوقه".

(1) New Jerse Devils فريق هوكي جليد أمريكي.

"صحيح. أنا آسفة".

"لا بأس".

"أنت طراز حساس من القَتلة إذن؟".

"لا أعرف، أنا فقط أكره عندما يمارس الناس التمييز ضدّي، فقط لأنني... أقتل الناس".

أووبس، لا ينبغي أن أقول ذلك، توقّفت في منتصف الدُخان. "ماذا تقصد؟ هل قتلتَ المزيد من الناس؟".

أنا في ورطة. لا يجب أن تشهر سلاحك في الموعد الغرامي الأول أبدًا. لكنها تعرف بالفعل أنني قتلتَ رَجَلَيْن، بالإضافة إلى أن هذا ليس موعدًا غراميًّا، أليس كذلك؟ أنا هنا أطلب مساعدتها... أنا في ورطة.

"بعض الناس يجب أن يموتوا" هو الحلّ الذي أقدمه.

"وكان على الأب فريندلي أن يموت؟".

"في الواقع كان لا بُدّ من قتله، وإلّا كنتُ مسجونًا الآن، حيث يتمُّ اغتصابي في الحَمَّام كل صباح من قِبَل عمالقة سود بقضباني كالخراطيم".

تبدو متفاجئة من مفرداتي، وأنا أيضًا.

"ولكن ماذا تقصد بـ "بعض الناس يجب أن يموتوا"؟" تسألني.

"فقط... تعرفين، هناك أناس يستحقُّون الموت".

"لماذا؟".

"لأنهم أشرار، الناس الأشرار الذين يفعلون الشرّ، الناس الذين يفعلون الشيء الخطأ. أو يرفضون فعلَ الشيء الصحيح، يجب التخلص منهم".

"رائع. أنتَ تتحدّث مثل صديق والدي، بورور."

"تورتشور؟"

"أهكذا تُسمّيه؟ ها ها... يناسبه تمامًا. هل أنت مُتديّن أم...؟"

"أنا كاثوليكي."

"حسنًا. كيف أعرف أنّك لستَ واعظًا تلفزيونيًا مجنونًا منافسًا
للأب فريندلي وأراد موته؟"

"لأنني لستُ كذلك."

"حسنًا. لكنك تقول إنك كاثوليكي؟"

"نعم، لكنني كروائي كاثوليكي، ما من أمرٍ ديني في ذلك. هذا
فقط يعني أن تذهب إلى الكنيسة مرّتين في حياتك، عندما تتزوّج
وعندما تموت."

"هذا جيّد. وكم مرة ذهبت؟ مرة؟"

"يجب أن أبتسم لهذا."

"لا".

تردّد لثانية قبل أن تطفئ سيجارتها في منفضة السجائر. ثم تقول:

"مَن أنتَ إذًا؟ مجرد قاتِلٍ فاشل آخر أطلق النار على عميل في
مكتب التحقيقات الفيدرالي بالخطأ واضطرّ إلى الفرار من الولايات
المتحدة اللعينة؟"

"حسنًا. تبًا لها."

"لستُ قاتِلًا فاشلًا... أنا..."

"نعم؟ ماذا؟"

لقد تمادى الأمر.

"أنا.. محترف".

"محترف؟".

"نعم. أنا قاتل محترف، لقد قتلْتُ أكثر من مائة شخص".

هذا رائع للغاية، أنا أشاركها الفراش الآن.

"لا! مائة شخص؟!".

أعتقد أن الرقم الدقيق سيكون أقرب لـ 125. في الغرب الأوسط كنتُ أقود سيارتي عبر المدن بعلامة ب.و.ب. 125، كنتُ أتوقَّف دائماً للتزود بالوقود، وأتخيَّل أن هذه كانت دراجتي النارية أي. دي. في⁽¹⁾.

"بلى. عامَّةً قتلْتُ حوالي خمسين أو ستين كجنديٍّ في الجيش الكرواتي للدفاع عن أرض أبي وأمي. ومنذ ذلك الحين، قتلْتُ بالضبط سِتَّةً وستينَ لعيَّنًا من دول مختلفة في عملي كقاتِلٍ في المنظمة الوطنية. كان الأب فريندلي أوَّل جريمة قتل "غير محترفة" بالنسبة لي".

تعجز عن الكلام مثل القس الكاثوليكي في غرفة اعترافه.

"المنظمة الوطنية؟" تسأل أخيرًا.

"نعم، المافيا".

"المافيا؟ هل أنت في المافيا؟".

"نعم، المافيا الكرواتية، ليس الطليان الأوساخ".

كانت تُحدِّق في وجهي لمدة عشر ثوانٍ متواصلة، وفجأة بدت متبهة تمامًا... المافيا. في الأيام الأولى لي في نيويورك اعتقدتُ أن هذه كانت كلمتي السحرية. حسبْتُ أن كل فتاة في مانهاتن تحلم برجل

(1) ADV اختصار لـ Adventure أي مغامرة.

عصابات حقيقي وأصلي بلهجة أجنبية وخبرة في الركوب. لطالما أفصحتُ بالأمر في الموعد الأول، بعد الطبق الرئيسي مباشرة.

لقد تصرفن جميعًا بنفس الطريقة: اعتذرن بأدب، ودَّهبنَ إلى الحمام ولم يَعِدنَ أبدًا. أوه، فتيات مانهاتن، جيش المواعِدات الكامل من الشَّقراوات الغامضات والسمراوات الصاخبات، يعيونهن المحترفة، ورائحة شَعر صابون التلفزيون، وكاشف الشُّهرة المدفون بعمق في حقائبهم. حتى إن بعضهنَّ تَرَكْنَ حقائبهنَّ معي، وذَهَبَتْ مرَّتَيْن للبحث عنهن في حمام السيدات، لكن لم يكن هناك أثرٌ لهنَّ. نعم، "العصابة" كلمة سحرية.

تعلَّمتُ ببطء ألا أناقش مهنتي مع رفيقات وجبة العشاء، وكثيراً ما شعرتُ بأنني مصاب بالإيدز.

احتفظت بهذه المعلومات مثل سلاح سِرِّيٍّ، واحتفظت بها لغرض الإغراق فقط، أو حالات الطوارئ، أو مثلاً إذا كنتُ عالِقاً في موعد أول وكان الطعام أفضل من الفتاة (كفتاة اليوم الثالث التي كانت تتحوَّل إلى اليوم 20 في منتصف محاضرتها حول نظام التصويت الأمريكي، وكيف كان المدعو "نادر" هو أملنا الوحيد) كل ما كان عليَّ فِعْله بعد ذلك هو إلقاء الكلمة السحرية فيقع الانفجار!-! يمكنني إعادة ضبط جهاز الرادار الخاص بي.

ردُّ الفعل مختلف قليلاً هنا. تَزِنُ فتاة الجليد خياراتها حتى تسأل: "أنت... قاتِلُ جماعيٍّ إذن؟".

"لا".

"ماذا تعني بلا؟".

"أنا لستُ قاتِلاً جماعياً. أنا قاتِلٌ".

"حسناً".

"هناك فَرْقٌ كبير بين القتل والإماتة".

"حقًا؟" تسأل وترفع حاجبها.

"نعم. إنه مثل الفرق بين الهواية والوظيفة".

"ماذا تقصد؟".

"الإماتة شيء تختار القيام به. قد يكون خطأ. القتل شيء عليك القيام به وإلا مُتَّ. هذا ليس خطأ".

"هراء".

"هراء؟".

"نعم. هل تعتقد أن ضحاياك سيشعرون بالفرق؟ "أوه، أنا سعيد جدًا لأنني قُتِلْتُ ولم أُمِتْ! إنه أفضل بكثير!". هُراء سخيف. مائة شخص؟ أي نوع من الوحوش أنت إيجينليجا؟".

لا بُدَّ وأن هذه الكلمة الأخيرة أيسلندية. إنها مضطربة للغاية بحيث لا تستطيع السيطرة الكاملة على دماغها. أنا مُرهَق أيضًا:

"مهلاً. ماذا تعرفين عن الحرب؟ لم يسبق لك أن تعرّضتِ لحرب في هذه... هذه الأرض الباردة الصامتة. لم تضطريّ أبدًا للعيش في الخارج، في الجبال في منتصف الشتاء، دون أي خيام أو أي طعام حقيقي لأيام، ثم ترين والدك ميتًا، ويقولون لك إن شقيقك قد قُتل، ثم يصطفُّ هؤلاء الناس أمامك ويطلب منك إطلاق النار، فتطلقين النار، ولا تعرفين عدد مَنْ تطلقين النار عليهم، ولا تريد أن تعرفي عدد التصويبات، لكنك ما زلتِ ترغبين في إطلاق النار على أكبر عددٍ ممكن. لأن...".

أشعر أنه في مكان ما بداخلي تُصنع الدموع لأول مرة منذ سنوات.

"لأن الحرب هُراء، ونحن جميعًا متورطون فيها. لا أحد يستطيع أن يقول إن هذا صحيح وهذا خطأ؛ لأنه إما خطأ كُلُّيًا أو صواب كُلُّيًا، و...".

غادَرت الدموعُ المصنَع، ثمّ تجهيز الطلب. إنها في طريقها، لكن طريقها طويل.

"وما زِلتِ لا تعرفين. ما زِلتِ لا تعرفين بحق الجحيم. بعد خمسة عشر عامًا ما زِلتِ لا تعرفين ما إذا كان خطأ أم صوابًا. كان فقط...".
أتوقّف، ويختفي حديثي بكلمة أخيرة وحيدة وناعمة: "خراء".

نجلس لفترة فيما يملأ الليل الساطع الذي يدخل من النوافذ الغرفة على نحوٍ ساخر تقريبًا. يجب أن يكون هذا المشهد مُظليًا. الدموع لم تصل بعد.

تنظر إلى يديها التي أرختهما على ركبتيهما. لديها أظافر طويلة، طويلة ومُرعبة، إنها مطلية باللون الوردي الفاتح. أتذكّر اليد من المقبرة الجماعية. كانت يد فتاة، يد فتاة مراهقة، وكانت لها نفس الأظافر الطويلة. وكلّما حاولنا إغلاق المقبرة برزت اليد في التراب. حاولنا دَقّها بمجارفنا وتقافزنا فوقها دون جدوى. كانت تعاود الظهور مرة أخرى - يد تلك الفتاة البيضاء السمينة ذات الأظافر الخضراء الطويلة، وبدا الأمر سخيفًا للغاية. لم تتناسب مع الظروف. لم تكن تنتمي إلى مقبرة جماعية.

كانت المقبرة الجماعية شيئًا من الماضي، شيئًا مرتبط بالحرب العالمية الثانية أو أي شيء آخر. شملت المقابر الجماعية نساء مُسنات يرتدين الحجاب المُتسخ، وأطفال فلاحين فقراء يرتدون ملابس بالية ونعاليًا خشبية. وهنا كانت هذه اليد، وهي تلوّح لنا من القبر اللعين، كانت أشبه بالمدافن حقًا، وكانت عصرية جدًّا، يد تنتمي إلى اليوم

بدرجة كبيرة. يمكنك أن ترى أنها قبل ساعتين كانت تضغط على زرّ التشغيل في جهاز استماعٍ بداخله شريط لمايكل جاكسون.

من باب الاحترام رُحْتُ أَهْمِهِمْ "لست وحدك"، وهو المزمور المثالي لمقبرة جماعية. ومع ذلك، لم يُفْلِح غنائي في إراحة اليد. وبعد محاولتي العاشرة لإدخال راحة اليد اللعينة في الأرض، شعرتُ بالذهول تمامًا وسَحَبْتُ السكين، وقطعت اليد ببعض الجهد، ثم رميتها بعيدًا.

وكانت هذه واحدة من أسوأ لحظات الحرب: عندما كنتُ أقطعها بالسكين، حسبتُ أنني سمعتُ شيئًا تحت قدمي. شيء مثل صرخة فتاة مكتومة في التراب.

"أظافر جميلة" قلتُ أخيرًا وأنا أنظر إلى يدي جان هولدر.

تنظر إليّ وكأنها تريد أن تغرزهم في وجهي.

14

ضِفَدَغٌ عَلَى سَقْفِ أَحْمَرَ بَارِدٍ

2006/05/22

كانت غريزة حيواني البلقانيّة صحيحة. بدلاً من أن تُرَيِّنِي الطريق إلى الباب، وضعتني ابنة الواعظ ليلاً في العلّية. الجوُّ باردٌ جداً، لكن حقيبة نومها دافئة، بالإضافة إلى أن الدور العلوي غائمٌ قليلاً عن بقية البلاد. إنه يحتوي فقط على نافذتين صغيرتين: واحدة في زاويتي، ونافذة صِدَّة في منتصف السطح. النوم هنا ليس فقط طريقة ابنة الواعظ لمعاقبتي على كل ذنوبي. اضطررتُ إلى الصعود إلى هنا لأن شقيقها تراسر هو رفيقها في السّكن في الوقت الحالي. أتساءل أين ينام؟ في بيت الطيور ربما، في الحديقة.

توصّلنا إلى اتفاقٍ أنه بالرغم من اسمه⁽¹⁾، يجب إبعاده عن هذا الموضوع؛ لذلك أمتنع نفسي من إصدار صوت أثناء تواجده في المنزل.

(1) Truster: من الثّقة.

أَتَظَاهِر أَنِّي مَيِّتٌ مِنْ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ حَتَّى الْفَجْرِ. "إِنَّهُ يَعْمَلُ بِجَنُونَ. لَا يَأْتِي إِلَى الْمَنْزِلِ إِلَّا لِلنَّوْمِ" تَخْبِرُنِي شَقِيقَتُهُ، رَفِيقُ غُرْفَةِ مِثَالِي. يَعْمَلُ كَمُشْغَلٍ رَافِعَةً فِي بَعْضِ مَوَاقِعِ الْبِنَاءِ.

"لَا يَتَحَدَّثُ كَثِيرًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟" أَسْأَلُ.

"نَعَمْ أَعْرِفُ. كَانَ دَائِمًا هَكَذَا. وَكَذَلِكَ هِيَ وَظِيفَتُهُ.. أَعْنِي، لَقَدْ اعْتَادَ أَنْ يَقْضِيَ الْيَوْمَ بِأَكْمَلِهِ فِي الْهَوَاءِ، بِمُفْرَدِهِ، عَلَى ارْتِفَاعٍ مَائَتِي قَدَمٍ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنْ جَمِيعَ زَمَلَائِهِ فِي الْعَمَلِ مِنْ بُولَنْدَا أَوْ لِيْتَوَانِيَا".

بِمَجْرَدِ عَوْدَةِ تَرَاوَعِ إِلَى الْهَوَاءِ، يُسَمَحُ لِي بِالنَّزُولِ إِلَى الطَّابَقِ السِّفْلِيِّ لِأَقُومَ بِبَعْضِ أَعْمَالِ الْمَرَحَاضِ وَتَنَاوُلِ الْإِفْطَارِ. هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمُنْفَى هُوَ فِي الْوَاقِعِ أَكْثَرُ مَتْعَةٍ مِنْ مَنْفَى فَرِينْدْلِي؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُنْفَى الْحَقِيقِي: قَاتِلُ مُحَرِّفٍ يَخْتَبِئُ فِي عُلْيَةِ الْفِتَاةِ الْمُثِيرَةِ. أَفْضَلُ شَيْءٍ هُوَ أَنَّنِي لَسْتُ مُضْطَرًّا لِلْقِيَامِ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّمْثِيلِ. لَا مَزِيدَ مِنَ الْكُهْنَةِ الْأَمْرِيكِيِّينَ أَوْ الرِّسَامِينَ الْبُولَنْدِيِّينَ.

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَبْسِ جَسَدِي فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الصَّغِيرِ، إِلَّا أَنَّنِي أَشْعُرُ هُنَا بِحَرِيَّةٍ أَكْبَرَ مِنْ كَافَةِ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ الَّتِي رَكَضْتُ فِيهَا بِطَوُوقِ رَجُلٍ دِينَ عَلَى مَقُودِ اللَّهِ.

وَكَأَنَّنِي أَن فَرَانِك⁽¹⁾ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ. أَعْطَتْنِي جَانِهَوْلْدِرُ جِهَازَ الْكَمْبِيُوتَرِ الْمَحْمُولِ الْخَاصِّ بِهَا حَتَّى أَتِمَكَّنَ مِنْ تَصَفُّحِ الْبَحَارِ الرِّقْمِيَّةِ. أَقْضِي الْيَوْمَ فِي الْبَحْثِ عَنِ مَاضِي، وَالبَحْثِ عَنِ وَقْرَاءَةِ قِصَصِ الْحَرْبِ مِنْ قَبْلِ زَمَلَائِي الْجُنُودِ. دَارْكَو رَادُوفِيْتَشْ هُوَ أَضْخَمُ مُدَوِّنٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، رُبَّمَا لِأَنَّهُ فَقَدَ سَاقِيهِ فِي كَنِينٍ. لَقَدْ فَقَدْنَا فِي كَتِيبَتِنَا خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ وَسِتَّ أَرْجُلٍ وَثَلَاثَ أَذْرُعٍ وَبَعْضَ الْأَصَابِعِ. إِنَّهُ لِأَمْرٍ مُحْزِنٍ أَنْ أَذْكَرُهُ، وَلَكِنْ لَا

(1) Annelies marie frank: كَاتِبَةُ يَوْمِيَّاتٍ أَلْمَانِيَّةٍ هُولَنْدِيَّةٍ مِنْ أَصُولٍ يَهُودِيَّةٍ. وَاحِدَةٌ مِنْ أَكْثَرِ ضَحَايَا الْهَوْلُوكُوسْتِ الْيَهُودِ شُهْرَةً بَعْدَ وَفَاتِهَا عَامَ 1947 بِالتَّزَامُنِ مَعَ بَشَرِ مُدْكَرَاتِهَا.

يزال يتعئن على إخوتي ذوي الساق الواحدة الاستمرار في القتال من أجل حياتهم. يمكنك أن تراهم إذ يتعئون على عكازاتهم في شوارع زغرب أو سبلت، ويطلبون كونا⁽¹⁾ في فئانهم. لقد نسيت حكومتنا كل شيء عنهم، مع أن قوتها ما زالت قائمة بفضل أرجلهم المفقودة. كنت محظوظاً لأن الشيشانيين لم يفقدوني أطرافي، لكن في بعض الأحيان أسأل نفسي إذا كنت أفضل أن أفقد ساقى بدلاً من أبي وأخي. يطرح زمن الحرب أسئلة لا يستطيع زمن السلم الإجابة عليها؛ لذلك نخوض دائماً حرباً جديدة.

في مدونة داركو على الإنترنت، أجد صورةً لنفسي وأنا في كامل عتادي، مجنون مبتسم يحمل بندقية كلاشكوف فوق دبابة صربية تم الاستيلاء عليها في عام 95. الوجه السعيد لقاتل في طور التكوين. أبدو غيباً حقاً. لطالما كرهت "لحظة كوداك" هذه، لحظة تفاؤل الأمريكي بحظ سعيد، والذي يجبرك على الابتسام في عيون المستقبل الذي لن يقودك إلا إلى شخص بريء لا يعرف أي شيء عن أي شيء، قتل شخصين أو ثلاثة أشخاص فقط، ومع ذلك فهو يبتسم وكأنه فاز للتو بميدالية أولمبية، يبدو الأمر لي أقرب إلى الأومبياد الخاص. أنا أفضل الصور الجنائية.

أبحث كذلك عن سينيك، صديقتي السابقة، الفصل المفقود من حياتي. منذ انتهاء الحرب وأنا أحاول تعقبها ولكن دون جدوى. أنا مدين لها بالاعتذار⁽²⁾.

تبدأ نوبة جان هولدر في المقهى في الساعة العاشرة. "طاب يومك" تقول وتتركني بابتسامة أبقياها دافئة حتى تعود. في البداية ظننت

(1) العملة الكرواتية.

(2) بالكرواتية في الأصل.

أنني سَمِعْتُهَا تقول: "أتمنى لك يومًا جليديًا" لكن حتى هي تعتقد أن العاشرة صباحًا وقتٌ مُبَكَّرٌ جدًّا للسخرية. آلة الثلج الخاصة بي، عاهرة أحلام يقظتي، حارسة سجنِي، كاهنتي.

بعد الظُهر تعمل في مهرجان الموسيقى المحلي المُسمَّى الخطوط الجوية أو الموجات الهوائية، وتُجري مكالمات هاتفية وأنواعًا أخرى من أعمال السكرتارية. إنها تتحدَّث مع كثيرٍ من نجوم البوب، وبعض المشاهير العالميين الذين لم تسمع بهم من قبل.

"هل جاءت فرقة كريد هنا من قبل؟".

"جريد؟".

أنس الأمر، لن يفلح هذا أبدًا.

اعتادت أن ترجع في حوالي الساعة السابعة أو الثامنة، وتكون مُزوَّدة دائمًا بالطعام، وعادة ما تكون بعض الوجبات الجاهزة التايلاندية أو الصينية التي يتعَيَّن عليها دفع ثمنها. بعد العشاء عادة ما تضع بعض الموسيقى الأيسلندية الغربية، وتبذل قصارى جهدها في تعريفني بأشخاص مثل موجيسون، جوس جوس أو لاي لو الذي يوحى بأنه أسود.

أخبرها أنها لو استطاعت أن تُدبِّر لي مُسدَّسًا فسأفعل المعجزات للترويج للموسيقى الأيسلندية. ضحكت باستياء، لكنني أثَّرتُ فضولها. أشاهدها وهي تُدخِّن وتواصل طرح الأسئلة كمُتدربة في المكتب البيضاوي.

"إذا كان بعض ضحاياك ينتمون إلى "منظَّمات" أخرى، فلا بُدَّ وأنهم حاولوا قَتْلَكَ، أليس كذلك؟" صحيح. "هل سَبَقَ وكنتُ على معرفة بأي منهم، ضحاياك؟".

تتحدّى... إنها مفتونة بعلمي. أخيراً لديّ معجب "وهل تتذكّرهم جميعاً، أعني ضحاياك؟".

"المحترفون، نعم".

"ولكن ليس ضحايا الحرب؟".

"لا. كل الجنود متشابهون، لكنني فخور حقاً بعلمي كقاتل. أحاول دائماً القيام بعمل جيّد. "الضحية أوّلاً" هو شعارى. أحاول أن أجعل الأمر سهلاً عليهم قدر الإمكان. مات جميعهم تقريباً على الفور. لا وقت للندم أو الغضب أو أي شيء. إنها مجرد ضربة! وينتهي أمرك. مثل إيقاف آلة، لا ألم... لا شيء. ما كانوا ليحصلوا على خدمة أفضل. أقوم دائماً بإعداد كل شيء بشكل مثالي: التوقيت والمكان والزاوية، وكل شيء. ولقد درّستُ جسم الإنسان كطبيب. أين تُصوّب للحصول على أسرع نتيجة وأشياء من هذا القبيل. إذا كانت هذه فئة في الأولمبياد، فسأكون مارك سبيتز⁽¹⁾ عالم القتل".

"وما هو أصعب شيء فيه؟".

"أن تُطلق النار بالطبع. أن تضرب الرّجل في رأسه أو قلبه أو مؤخرته إذا اضطرّرت لهذا الوضع. لكن في هذه الحالة، عليك التأكد من أن الرصاصة تنتقل بشكل مستقيم إلى عموده الفقري. يعتمد إطلاق النار في المؤخرة بشكل حاسم على الزاوية، إنه مثل لعب البلياردو".

"إذن عليك أن... تتمرّن؟".

"بالأكيد، يجب أن تكون لائقاً. اضطررت للتخلّي عن الكوكايين بسبب ذلك. تحتاجين قلباً ثابتاً لهذا النوع من العمل".

(1) Mark spitz: بطل سباحة أمريكي.

"رائع. وهل تقوم بعدّهم؟ الموت؟" تقول بعيون زرقاء كبيرة.
ضمنت أن ها في وضع لوينسكي المثالي.

"حسنًا... أنت لا تحسبهم حقًا، فقط تتذكرينهم بشكلٍ ما، إنه يشبه إلى حدٍّ ما... أعني تذكرين كل الرجال الذين غُت معهم أليس كذلك؟".

"حسنًا... حاولت أن أنسى بعضهم" تقول بابتسامة مثيرة.

لا أستطيع المقاومة.

"كم عدد الكل؟".

"لا أعرف. أعني، أنا لا أعدّهم، ربما أربعون".

الفاِسقة.

"أربعون؟".

"هل تعتقد أن هذا كثير؟ صديقتي وصلت لمائة وأربعين، أو شيء من هذا القبيل".

ها قد فهمنا. تارانتينو لديه 139 زوجًا في أيسلندا. من الأفضل أن يقوم بتحديث قائمة بطاقات عيد الميلاد الخاصة به.

"وقد فعلتها مع سبعة وستين؟" تكمل.

"فتاة؟ لا، تقصدين عمليات القتل؟ نعم. سبعة وستون. مات سبعة وستون وغدًا، سبعة وستون خنزيرًا في الفرن".

"وهل تتذكّرهم جميعًا حقًا؟".

"أحاول الاحتفاظ بذكرياتهم حيّة".

"وتفكّر فيهم؟".

"لا، أبدًا".

"ألا تشعر بالسوء تجاه أي منهم؟".

"لا".

"كيف يُعَقِّل ذلك؟ أليس لديك ضمير؟".

"إنه مُجمَّد على ما أعتقد. هل تشعرين بالسوء تجاه أي من...؟".

"رفاقي؟" تقول بابتسامة باردة. "لا".

"لا؟ كان لديك أربعون شخصًا بين ساقيك ولا تشعرين بالسوء تجاه أيٍّ منهم؟".

"لا يمكنني السماح لنفسي بذلك، فأنا أراهم طوال الوقت".

ارحميني!

"ما زِلتِ تواعدينهم؟ أربعون رجلًا؟".

"لا أواعدهم، أنا فقط، كما تعلم، ألتقي بهم في الشارع وأشياء أخرى. إنها بلدة صغيرة. يأتون إلى المقهى طوال الوقت".

"حسنًا... لهذا وَطَّفوكِ هناك؟".

لقد تحوَّلت من لوينسكي إلى بريتنى.

"مهلاً... اخرس بحق اللعنة، هَلَّا فَعَلْتَ! نحن نتحدث عن الموتي هنا، ومع ذلك تجعلني أبدو مُذْنِبَةً كما لو كان بإمكانك مقارنة قتل الناس بممارسة الحب معهم؟".

"الحب والموت. نفس القدر من الأهمية في الحياة".

"الحب والموت؟ الأمر لا يتعلَّق بالحب. الأمر يتعلَّق بالجنس فقط!".

"أنتِ جادَّة أكثر من اللازم".

فَقَرَّتْ مِنَ الْأَرِيكَةِ وَهِيَ تَصْرُخُ فِي وَجْهِهِ: "أَوْه! عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ!" ثُمَّ غَادَرَتْ الْغُرْفَةَ. لَكِنَّهَا عَادَتْ بِسُرْعَةٍ، بَدَتْ وَكَأَنَّهَا أَدْرَكَتْ لِلثَّوْ أَنْ هَذَا مَكَانُهَا وَلَيْسَ مَكَانِي. "أَنَا لَا أَعْرِفُ لِمَاذَا بِحَقِّ الْجَحِيمِ سَأُبْقِيكَ هُنَا! يَجِبُ حَقًّا أَنْ أَتَّصِلَ بِالْشَّرْطَةِ أَوْ تَوْرَتَشُور أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، لَكِنْ... أَغْخ! انْهَضْ! اذْهَبِ لِلطَّابِقِ الْعُلُوي! ابْتَغِ عَنِّي! وَاصْمِتْ!".

"آسَف. أَنَا آسَفٌ حَقًّا".

"عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ!".

"نَعَمْ سَأَفْعَلُ... سَأَفْعَلُ ذَلِكَ لَاحِقًا. مِنْ فَضْلِكَ اجْلِسِي".

تَذْهَبُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَتَبْقَى هُنَاكَ مُدَّةً تَدْخِينُ سَيَّجَارَةَ. أَسْتَخْدِمُ تِلْكَ الدَّقَائِقَ لَصَفْعِ قَرْدِي ذَاتِ الْعَيُونِ الْخَضِرَاءِ. الْغَيْرَةُ هِيَ الْعَمَّةُ الْعَجُوزُ الَّتِي تَهْتَمُّ دَائِمًا وَالَّتِي لَا تَنْسَى أَبَدًا أَنْ تَظْهَرَ أَثْنَاءَ مَوَاعِيدِي الْغَرَامِيَّةِ. لَطَمًا كَانَتْ الْقُوَّةُ الدَّافِعَةُ فِي حَيَاتِي، مِنْذُ أَنْ تَخَلَّتْ عَنِّي حَبِيبَةُ هَانُوْفَر، ابْنَةُ أَخِصَانِي الْبَصْرِيَّاتِ، بِأَسْلُوبِ بَرُوسِي. كَأَنْتِ هِيلْدِيْجَارْدُ فِتَاةٍ مِنْ طَرَازِ الْيَوْمِ الثَّامِنِ (كَأَجْنَبِيَّةٍ وَصَلَتْ حَدِيثًا وَتَتَحَدَّثُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَلْمَانِيَّةِ فَكَانَتْ فُرْصِي مَحْدُودَةً)، وَكَانَتْ تَرْتَدِي يَاقَةً طَوِيلَةً أَغْلَبَ الْوَقْتُ، وَتَعَزَّزَ عَلَى الْكِمَانِ بِوَجْهِهِ مَلَانْكِ، وَلَمْ تَسْتَخْدَمْ أَبَدًا كَلِمَةً قَدْرَةً، لَكِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي، وَقَدْ فَرَّاقَهَا، أَنَّهَا خَانَتْني مَعَ سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا. سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْمَانِيًّا سَخِيفًا، بِذِيْلِ حِصَانٍ وَشَارِبٍ وَكُلِّ شَيْءٍ. قَالَتْ إِنَّ هَذَا مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ يُشْعِرَنِي بِتَحَسُّنٍ.

"يَجِبُ أَنْ تَكُونِ سَعِيدًا لِلتَّخْلُصِ مِنْ...".

"... عَاهِرَةٌ مِثْلُكَ؟".

اسْتَغْرَقَ الْأَمْرُ مِنِّي سَبْعَ سَنَوَاتٍ لِدَفْنِ الْأَوْغَادِ فِي ثُرْبَةِ رُوحِي الصُّلْبَةِ. بِالْكَادِ أَزْعَجُونِي مِنْذُ ذَلِكَ الْحَيْنِ، لَكِنَّهُمْ حَوَّلُوا عَقْلِي إِلَى كِيَانٍ مَرْتَابٍ إِلَى الْأَبَدِ. كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ جَيِّدًا، أَجْدُ صَعُوبَةً فِي الْاسْتِمَاعِ

بالعلاقات. أنا دائماً مثل عميل سري سخيّف يحاول إثبات أن شريكى جاسوس. وحين يتعلّق الأمر بالحب، فأنا مثل الحكم في مباراة كرة قدم، غير قادر تماماً على الاستمتاع باللعبة، لكنني دائماً مستعدٌّ بالبطاقة الصفراء.

وها أنا ذا مرة أخرى. طلبت العمّة غيرة من جان هولدر الدخول إلى المطبخ. إذًا فقد شقّت العجوز طريقها إلى أيسلندا. ومع ذلك، لا يؤهّل هذا لموعِدٍ غراميٍّ، إنها أشبه بدورة تدريبية مكثّفة في مجال إطلاق النار على الأشخاص، أساسيات القتل. وصلنا إلى نهاية درسنا الأول. ينتظر المدرّس عودة الطالبة من استراحة التدخين، وفي هذه الأثناء تظهر جان هولدر في المدخل بعيون حمراء وخدّين غاضبين. زحفت عائدةً إلى الأريكة لتشعل سيجارة أخرى. أشاهدها تستنشق وتزفر لفترة من الوقت، إنها تصدر صوتًا عاصفًا صغيرًا كلما خرج الدخان من فمها.

"كيف كان ردُّ فعل والدَيْك عندما جاءت الشرطة ورحل الأب فريندلي؟" سألتها أخيراً.

"لقد كانوا في حالة صدمة كبيرة بالطبع. أعني، لقد آمنوا بك تمامًا" تقول بضحكة هادئة.

"هل كان أبوك غاضبًا؟".

"كانوا مصدومين أكثر من كونهم غاضبين. ثم بدأ في طمأنة الشرطة، ووضع يده على أكتافهم وقال لهم: الله سيعثر عليه، لن يهرب من عين الرب الساهرة".

يزداد ضحكها، أحاول أن أضحك معها. ثم فجأة سمعنا باب الطابق السفلي يُفتح وتختفي ابتسامتها. تقتل سيجارتها وتقف، تُمسك بطبقي وتضعه في المطبخ. أركض صعيدًا على السلم الخشبي

ثم أسحبه ورائي. تغلق خلفه الكوة بمجرد أن يصبح الدَّرَج بالكامل داخل العلّية. أزحف على الأرضية المشققة وأدخل مخبأ المعاطف.

أستمع إلى تراستر يهرول داخل الشقة، الحصان المسكين، عاد إلى المنزل مبكراً. أسمعهم يتبادلون أصوات الترحيب الصغيرة متبوعة ببعض الأصوات من المرحاض.

ثم قال شيئاً أخمّن بصعوبة أنه: "هل تبقى بعض الطعام؟" هي تقول "ناي". هذه أيسلندية تعني "لا". لقد علّمتني بالفعل بعض العبارات. توجثوسليمور هي "صباح الخير" و جلاباماور هي "ليلة سعيدة".

ثم لدينا صمت إخوة لمدة ثلاث ساعات. حتى إنهم لا يشاهدان التلفزيون معاً. لا موسيقى أيضاً. ماذا يفعلان بحق السماء؟ لم يغادر أي منهما المنزل. هل يلعبان الورق؟ يقرآن؟ في منتصف الليل تصدر أصوات المرحاض مرةً أخرى، تليها أصوات سراويل داخلية حريرية تنزلق على أرجل بيضاء ناعمة... أعطتني الحرب سَمْعَ قِطَّة.

في الثالثة صباحاً، أتصل برقم نيكو في مدينة نيويورك. أتحدّث بصوت فأرٍ مُوضَّحاً وضعي، فيستمع لبعض الوقت، ولكن عندما يردُّ أخيراً، يتصرّف كطليانيٍّ مُصطنع على شاشة التلفزيون: "هل تتصل بي؟ لماذا تتصل بي؟ مَنْ أعطاك رقمي؟" ثم ينهي المكالمة.

قطع الاتصال بي. نيكو رفيقي القديم، نيكو نيفولجا. هذه حقاً أخبار سيئة، أخبار بالغة السوء. حَرِيٌّ بي أن أعتبر نفسي ميتاً، على الأقل لا يجب أن أفكر أبداً في العودة إلى مدينة نيويورك، أو حتى كرواتيا. اللعنة. ملعونٌ أنا بحق اللعنة اللعينة!

أنام في الخامسة.

أيقظتني في الساعة بعض الطرقات العالية والأصوات الناعمة في الطابق السفلي. أنا مستعدٌ لهذا: وبينما أنا نائم في ملابسي (أو ملابس السيد ماك، أضع هاتفي في جيبي وأرتدي حذائي في أقل من ثانية. بعد ذلك، رميتُ حقيبة النوم في زاوية مُعتمة ووضعتُ المرتبة أسفل صندوق كتب. سَمِعْتُ أن جان هولدر تتصرّف بجنون في الطابق السفلي. "كواري جونج؟!"

يتبعني صوتها عبر فتحة السقف الصدئة الصغيرة الموجودة في منتصف السطح المنحدر المضاد للرصاص. الجو بارد في الخارج، حيث السماء رمادية والأشجار خضراء وأسطح ريكيافيك ملونة.

هذا سطح صدئ أحمر. أغلق النافذة بسرعة وأتسلق السقف شديد الانحدار، يمكنني أن أرى غطاء مُحرك سيارة الشرطة الأبيض إذ تقف في الشارع بالأسفل، وأسمع صوت ضابط يتنقّل من شارع إلى آخر. قفزت على الجانب الآخر من السقف، مُعلّق على الحافة بثمانية أصابع. بطني تسمع الأوغاد بالفعل في العليّة، يبحثون عن مخبأ الرجل المختبئ. بعد لحظات سَمِعْتُ أحدهم يفتح النافذة العلوية اللعينة. لا يمكنني رؤيته، لكن من المحتمل أن يرى أطراف أصابعي البيضاء الباردة. لا بُدَّ أن أترك الحافة. ها أنا أفعل ذلك. أنا أَقِلْتُ، أنزلق على السطح بحركة بطيئة للغاية، وأطفو على الحديد البارد على بطني الكرواتي الكبير. أمدُّ ذراعي وقدمي، مُحاولًا إيقاف نفسي بعذائي الزلّيق وكفّي الرطبة دون إصدار صوتٍ واحد. بعد بوصتين أتوقّف. أتوقّف بحق اللعنة، أتمدّد على سطح أحمر شديد الانحدار مثل ضفدع عملاق.

15

أسلحة أيسلندية

2006/05/22

أودُّ أن أكتب رسالة شكرٍ إلى الشرطة الأيسلندية؛ إذ إن عدم عثورهم على ضفدع يبلغ طوله ستة أقدام ويزن 240 رطلاً على سطح المنزل الذي فتّشوه هو لغزٌ كبير بالنسبة لي. يجب على مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يفكّر كثيراً قبل التوقيع على صفقة أخرى للتعاون معهم.

لقد قُمتُ بدور الضفدع المُجمّد لمدة ساعة مُتجمّدة أو نحو ذلك قبل أن أعود من خلال العليّة. كان الكوّة في الأرضية مفتوحة. جَثَوْتُ أمامها مثل راقصة باليه أمام بحيرة خيالية، وسط المسرح، وكنْتُ على وشك أن أضع رأسي فيها عندما واجهْتُ فجأة رأساً آخر يحتوي على شفتين شهوانيّتين، فاجأتها رؤيتي، وبعد تنهيدة قصيرة تبادلتنا قُبلةً.

كانت قُبلة طويلة بشكل غير عادي بالنظر إلى حقيقة أنها كانت أوّل قُبلة لنا. لقد كانت قُبلةً برعاية الفيدراليين ومُساعدِهم ذوي

القُبُعَات البيضاء. بمجرد أن انتهى الأمر، دعوتها إلى مساحة الطابق العلوي الخاصة بي، وفي غضون دقائق، كنّا نمارس حُبْنَا للمرة الأولى في حقبة النوم مازكة نورث فيس؛ وبذلك أصبحت رقمها الـ 41.

تَبَيَّن أنها كانت كل الآيس كريم الذي أتوق إليه. آيس كريم دافئ، كانت مُذهلةً. وكان انتصاي صلبًا للغاية، وكانت مُتحمسةً للغاية أيضًا، وتصرخ مثل نسويّة غاضبة تَحْتِجُ على إحضار مُغتَصِبٍ من العربّة إلى العدالة، حتى إنني اضطررت إلى تغطية فمها بيدي خوفًا من ظهور الشرطة مرة أخرى، فعَضَّتْني، حيوان القطب الشمالي، وارتعبتُ قليلًا.

لا تزال تبدو وكأنها تستمتع بأدائي، وجسدها يهتزُّ بكل الأوضاع مثل يد رجل عجوز مصاب بمرض باركنسون- أو ربما كان مجرد شيء التقطته من مجلة "عاهرة". بعد ذلك استلقينا مثل مُجرِمَيْنِ عاريين طليقين، يستريحان ويتحدّثان.

"أنت جميلة جدًا".

هذا أنا أتحدّث بالطبع.

"وأنت غ...".

"سمين؟".

"غريب جدًا".

"غريب؟".

"نعم، أنت غريب جدًا. لم يسبق لي... لقد أتيتَ من عالمٍ آخر. لم يسبق لي أبدًا أن...".

"لم تُواعِدي قاتِلًا من قبل؟".

"لا. أبدًا" تقول بضحكة قصيرة. "رجل مافيا".

مكتبة

t.me/soramnqraa

ربما ينبغي هنا أن أشكر الطليان هنا. حقًا رسموا صورتنا نحن العصابات. على الرغم من أن فتيات مانهاتن قد يعاملننا كمواطنين من الدرجة الثانية، إلا أننا ما زلنا مُلوَّكًا في الخارج. "لم تُحَيِّنِي عندما كُنْتُ أَلْعِبُ دور الكاهن".

"لا. هذا صحيح".

"حسنًا، أنا ممثِّل سيئ".

"لا، كان ذلك لأنَّكَ مُمَثِّل جيّد، على ما أعتقد".

"هل تكرهين والدك؟".

"لا، أنا لا أكرهه" تقول بصوتٍ ناعم. "لكن من الصعب أن تُربِّي في كنيسة. لم يُسَمَح لي حتى بصبغ شَعْرِي، علينا احترام خَلْق الله الأصلي، كذا وكذا وكذا... أعني أنني سَأَمُتُ، وكان عليّ أن أبتعد، وكان هذا صعبًا للغاية، كأن أُعْلِن أنني مثليّة أو شيء من هذا القبيل، عندما عَلِمَ أبي أنني أدخُن، أحضر صديقه تورتشور ليستخرج مني الأرواح الشريرة، كان الأمر جنونًا حقًا".

"ولم ينجح في ذلك؟".

"حسنًا، بطريقة ما. أصبحت أدخُن وينستون لايتس بدلًا من وينستون".

ضحكت بشدّة.

"إذن لم تُعد تربطكِ علاقة قويّة بوالديكِ".

"لا. أقل ما يمكن. أذهب إلى هناك مرّتين فقط في السنة. لعيد الميلاد ويوروفيجن".

"ماذا عن تراستر؟".

"تراستر" تضحك. "أنت تُسمِّيهِ دائماً تراستر. إنه أورستور. مثل طائر السمنة" كما تعلم، أور ثم س، ت، و، ر الأمر ليس بهذه الصعوبة".

"حسنًا، آسف، ولكن ماذا عن علاقته بوالدكِ".

"أوه؟ إنهم بخير. أبي يحبه، إنه هادئ ومفيد ومتعاون، لقد أنجز له الكثير من العمل في محطة التلفزيون. دون أن يتقاضى راتبه على الإطلاق. قال: سيدفع له الربُّ في السماء، إلخ، إلخ... فهِمَّتْ؟ والداي لا يُطاقان حقًا".

تذهب لإحضار سيجارة ما بعد نشوة الجنس. أجبرت على المشي كالأحذب نحو الفتحة بسبب السقف المنخفض. ثديها الصغيران ثابتان (أعني لا يتخبطان) بينما تنحني فوق الكوة الموجودة في الأرض، لكنهما يهتزّان قليلاً وهي تنزل من السلم. بعد لحظات عادت مع حقيبتها -تمشي على أطراف أصابعها بأظافرها الوردية المصقولة فوق الأرض الخشنة- واستلقت بجانبها. مشطت شعرها الأشقر كلون الزبدة في كعكة صغيرة في مؤخرة رأسها. أداعبه برفق من جبهتها إلى الكعكة. إنه جافٌ نوعاً ما يُذكّرني بالتصفيفة الرائعة لبواب نيويورك الأسود، على الرغم من أنني لم أحلم أبداً بلمس عجائب الطبيعة هذه.

تركت عيني تسافر بطول جسدها الأبيض الصافي. من أصابع القدم حتى السيجارة، وتوقفتُ قليلاً عند مُثلثها الحليق والسُرّة المثقوبة، فتشفت بطنها بشدة.

"كيف تقولين "حب" باللغة الأيسلندية؟".

"كينليف".

"كوين ليف؟".

"لا، كينليف".

إنها تعبتُ معي بحقّ اللعنة. هؤلاء الأيسلنديون اللُّعناء لا يمكنهم أبداً أن يكونوا صادقين، باستثناء من أمرهم الله بذلك. يجب أن يكونوا دائماً هادئين. لا بُدَّ وأن البرد هو السبب.

"وكيف باللغة الكرواتية؟" تسأل.

"ليوباف".

"هذا مثل "حب" بإضافة "ب".

"نعم، إنه حب الباء، كلمتك فيها ك أو ق...".

"كنتُ أمزح. كينليف تعني الجنس. الحب يعني "أست".

"رائع. هذا صعب، كيف تنطقينها؟".

"حرف ألف، وسين وتاء".

"أست؟ هذا يعني منشار في لغتنا".

"ماذا يعني ذلك؟" تسأل.

لا أجب. فجأة اقتَحَمَت مونيّا عقلي وملاّته مثل البالون. مونيّا يا حبي، آسف، لقد نِمْتُ مع امرأة أخرى دون علمك، لكن هذا ليس خطئي حقاً. إذا كان هناك شخص ما يجب إلقاء اللوم عليه، فهم الشرطة المحلية، لو كانوا وجدوني لما حدث هذا أبداً.

تخبرني جانهولدر إنه من المعروف أن شرطة القُبُعات البيضاء ميؤوس منهم، فلدى أيسلندا فريق تدخّل سريع خاص بها يُسمّى فرقة الفاينكنج، لكنهم غير متاحين طوال الوقت.

"هناك فرقة واحدة فقط. لا بُدَّ وأنهم مشغولون الآن".

أشعر ببعض الإهانة، بل الغيرة. كيف يمكن أن يعثروا على مهمّة أكثر جدية في الجزيرة منزوعة السلاح من القبض على قاتلٍ ثُلَاثيٍّ عضلات البطن قَتَلَ عميلًا فيدراليًّا وكاهنًا مشهورًا عالميًّا؟

"ماذا يمكن أن يشغلهم".

"لا أعرف، يفعلون كل أنواع الأشياء، ربما يكون بعض الرؤساء في المدينة، أو أنهم يراقبون حفلة رقص مدرسة ثانوية في الشمال".
"حفلة رقص في مدرسة ثانوية؟ هل لدى الأطفال بنادق؟".

"لا، لكن الأطفال الأيسلنديين، عندما يثملون يفقدون صوابهم".

إذًا، جان ضد المجانين، أعتبر نفسي محظوظًا لأنني عثرتُ على القسّ فريندلي في مراحيض مطار جي.إف.كيه. كان بإمكانه قتل شخص لديه تذكرة سفر إلى بغداد. أيسلندا هي جنة العصابات، لا جيش ولا أسلحة ولا جرائم قتل ولا شرطة تقريبًا. فقط نساء رائعات بأسماء رائعة.

"إنه ليس جان هولدر، إنه جانهيلدور"، كما تقول.

"جونيلدا؟".

"لا. جان! تبدأ بـ "جان"، ثم هيلدور. جانهيلدور؟".

"جونهيلدا؟".

"أيًا كان... سأدعوك توت".

"ماذا يعني ذلك؟".

"لن تحب معرفة ذلك".

"ألم يكن لديك لقب من قبل؟".

"عندما عشنا في الولايات المتحدة، كان الأطفال ينادونني دائمًا بـ "جان"، ولا يزال والدي يدعوني هكذا في بعض الأحيان

"مسدس؟" (1)

"لا.. جان!"⁽¹⁾.

"أَنْتِ مُسَدَّسِي، أَنْتِ مَنْ كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْهُ مِنْذُ جِئْتُ إِلَى هُنَا".

تهتزُّ شفتاها بغَيْظٍ مثيرٍ وهي تزفر آخر دخان لها.

"مَسَدُّسٌ مُدَخَّنٌ" أَضْفَتْ بَيْنَمَا أَتَفَحَّصُهَا بَعَيْنِي، إِنَّهَا عَكْسُ

مُونِيتَايَ تَمَامًا. مَلِكَةُ الْجَلِيدِ الشَّقْرَاءِ الزَبْدَةِ وَعَنْكَبُوتِي التَّنْدُورِيَّةِ.

أَمِيلُ مِنْ أَجْلِ قُبْلَةٍ، فَأَقْعُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا الْأَيْسَلَنْدِيِّتَيْنِ.

(1) Gunn بزيادة حرف N.

16

الحُب في الثَّلَاة

2006/05/22

انتهيتُ من الأسبوع الأول في المنفى. على الرغم من أنني لم أقتل أي شخص خلال الأيام السبعة الماضية، باستثناء كلب صغير واحد، إلا أن هذا يُعدُّ أحد أكثر الأسابيع إثارة للاهتمام في حياتي. سبعة أيام وسبع ليالٍ لم تغرب الشمس. لديّ خمس جنسيات مختلفة وشغلّت وظيفتين. لقد ظهرتُ على الهواء مباشرة في التلفزيون، وشاهدت مسابقة الأغاني الأوروبية لأول مرة منذ ست سنوات. اقتحمتُ شقَّتَيْن، وسرقت سيارة واحدة، وثلاث زجاجات بيرة، وبعض الخبز ولحم الخنزير المقدّد وست بيضات. أجد نفسي أيضًا في حالة حُب مع فتاتين مختلفتين. واحدة أيسلندية والأخرى هندية من بيرو.

تجنّبًا للمزيد من زيارات الشرطة، أوصيتُ الشقراء أن تشتري لي هاتفًا جديدًا مُزوّدًا برقم لم يُستخدَم من قبل. أتصل بالسمراء،

أهاتفها كل صباح. أتصل بها عبر الهاتف الجوال، أهاثها في العمل، في المنزل. أبعث رسائل، أترك رسائل وتديلاً. في النهاية قرّرتُ أن أتصل بحارس المبنى الذي أعيش فيه في سوهو، صاحب تسريحة الشعر الفظيعة. مجرد سماع صوته العميق يمنحني شعوراً بالدفء، ممزوجاً بهجمة من الحنين إلى الوطن. لكنها تختلط بشدة في معدتي.

يقول إن مونيّا جاءت قبل أيام قليلة برفقة فحلّ طلياني المظهر، وصعداً إلى الطابق العلوي. أخبرت الحارس أن لديها مفاتيح شقتي، هذه كذبة. لم أعطها أيّ مفاتيح قط، لكن كان على الحارس أن يُصدقها؛ فقد رآها تدخل المبنى معي طوال الوقت. نزل الرجل الطلياني إلى الطابق السفلي بعد بضع ساعات، لكنها لم تغادر المبنى منذ ذلك الحين.

العاهرة.

أشكره وأنهى المكالمة الهاتفية بسرعة قبل الاتصال بشقتي.

لا إجابة. بالطبع لا، الكلبة الهائجة. طليان لعينون في جميع أنحاء بلاط حمامي! يجب أن أتصل بانتقلا⁽¹⁾ وأطلب باقة من الزنابق السامة تُسلّم إلى باب منزلي في مدينة نيويورك. لماذا لم تُقم بذلك في منزلها؟ لماذا اضطرت إلى تشويه أريكتي الجلدية البيضاء بعرق طلياني؟

أتصلت بالحارس مرة أخرى- شعرتُ فجأة أنه الشخص الوحيد الذي أعرفه في التفاحة الكبيرة⁽²⁾ (أعلم أنني قتلتُ معظم معارفي في نيويورك، ولكن لا تزال هذه الحقيقة مُحزنة للغاية. لقد تمّ محو سِتّ سنواتٍ من حياتي) أطلب منه الاتصال بشقتي وأن يتصل

(1) شركة ورود شهيرة تأسست في ألمانيا سنة 1908.

(2) نيويورك.

بالشرطة أو أي شيء إذا لم يَرُدَّ عليه أحد. على أحدهم أن يفتح الباب اللعين ويحضر المرأة اللعينة إلى الهاتف بقبضة يد.

"لديكَ مفتاح شقتي أليس كذلك؟".

"نعم، بالطبع لديَّ مفتاحك" قال الحارس.

أخبرني أن أتصل به مرةً أخرى بعد ساعة.

بعد ساعة... حسناً، اللعنة على لعنتي.

في غضون ساعة، عاد تراستر اللعين إلى المنزل، فلا يمكنني التحدُّث عبر الهاتف الآن. يجب أن أبقى ساكناً تماماً وصامتاً هنا في العلَّية شديدة البرودة، في المحيط الأطلسي شديد البرودة، كم أنا مسكين. ما كان يجب أن أصطحب رقم 66 إلى مكبِّ النفايات، كان يجب أن أتخلَّص منه في سيارته. ثم لم يكن أصدقاؤه ليقربوا مني مطلقاً بعدسات أسلحتهم، كل ما في الأمر أن سيارته كانت رائعة جداً، بدت باهظة الثمن. (أحياناً كنتُ أبالغ في أتعاي بإعطاء سيارة الضحيَّة لرجُل رادوفان في مرتفعات چاكسون، وهو بائع سيارات مُستعملة بشدة يُدعى إيثو).

رادوفان اللعين، منبع كل مشاكلي. أستمع إلى تراستر وجانهولدر إذ يشاهدان الأخبار المسائية. يبدو أن جزيرة ليليوت لديها ما يكفي من الفضائح السياسية والمشاهير الفاشلين ملء ساعة إخبارية يومية. أو ربما يقولون فقط إن شيئاً لم يحدث اليوم. لا قتل، لا حرب، لا شيء. اللعنة... أتصل على أية حال. لا أستطيع الانتظار حتى الصباح. أدير جسدي برفق، وأغوص في رأس حقيبة النوم أولاً جاثياً على ركبتي، وأهمس لحارسي القديم الطيب:

"إنه نود مرةً أخرى. هل أتصلتَ بها؟".

"نعم".

"وماذا؟".

"لم يكن هناك جواب؛ لذلك صعدتُ إلى الطابق العلوي".

"و...؟ هل كانت هناك؟".

"الشقة كانت فارغة".

"فارغة؟".

"نعم. لكن كانت هناك رائحة غريبة. رائحة قوية جدًا".

"أي نوع من الروائح؟ رائحة جسم؟ عرق؟".

"رائحة جسم نوعًا ما، نعم".

"حسنًا، اللعنة عليها" أحاول ألا أصرخ عبر هاتفني الأيسلندي

الجديد، وأنا أهرطُ غضبًا داخل حقيبة النوم الكبيرة.

يتابع: "لذا تفقدتُ جميع الغرف يا سيدي".

"آه. و...؟".

"تفقدتُ كل الغرف يا سيدي... والحمام، والمطبخ...".

"و...؟".

"كانت جميع النوافذ مغلقة. فحصت كل النوافذ. كانت جميعها

مغلقة".

"حسنًا".

"أخيرًا... لا أعرف لماذا حقًا... فتحتُ النلاجة".

"النَّلاجة؟".

"نعم. فتحت النلاجة، و...".

"فسد بعض الطعام؟ تركت بعض الطعام؟".

"أنا آسف سيدي، لكنني لا أعرف حقًا كيف أُخبرك بهذا".

صوته الجهوري العميق يصبح أكثر خطورةً من المعتاد.

"ماذا؟" أسأل بينما أرتجف تشوُّقًا.

"كان رأسها بالداخل يا سيدي".

"رأسها؟ في الثلاجة؟".

"نعم يا سيدي. كان رأسها هناك على طبق. كان... الوجه كله منتفخًا، أصفر، وأزرق. ولكن...".

"ولكن؟".

"لكنها كانت هي، لقد تعرَّفْتُ عليها. كانت صديقَتكَ".

"على طبق؟".

"نعم سيدي. في الثلاجة. كان الأمر...".

"رأسها فقط؟".

بدأت أستوعب موت مونيता وأنا أسأله.

"نعم يا سيدي. فقط رأسها. لم أعر على جُثَّتْها".

"ولكن يمكنك شَمُّها؟".

"نعم. أعتقد ذلك، قد تكون هناك في مكان ما".

"أي رائحة جسم شَمَمْتَ؟".

"تقصد أي نوع؟".

"نعم. هل كانت مهبلًا؟ رائحة مهبل؟".

ماذا أقول بحق الجحيم؟ عقلي الكرواتي القديم المريض. أنا أستحق الموت. أوه، مونيता. لماذا كان عليك أن تخونيني مع رَجُل

عصابة؟ لقد خُنتُكِ مع فأر ثلوج صغير لطيف. أعتقد أنني يجب أن أبكي الآن. رأسك في الثلاجة! تحوَّلت تلك الشفاه الجميلة الباردة، تلك العيون التي غُطِّيت بزجاج مُتجمَّد. سَعَرَكِ مثل المكرونة الباردة. ماذا عن جسدك؟ هل أكلوه بالفعل؟ والآن روحك، روحك مقطوعة الرأس، تعانق أبويها الكسيعين في الجنة. أوه، بونيتا.

"نعم يا سيدي يمكنك أن تقول هذا حسبما أعتقد، مهبل، لكنها رائحة قوية جدًا" يقول حارس المبنى في أذني اليمنى.

17

القاتل الذي يعوي

2006/05/23

نزلتُ إلى الطابق السفلي. لم أعد أهتم. أفتح الكوة وأخفِض السُّلَم. يستيقظان بالطبع. يأتي ترستر إلى بقضة طائرة، كما لو كنتُ لصًا بسيطًا. أوقف ضربته في الهواء، ممسكًا ذراعه بيدي. إنه قويٌّ جدًا، لكنه بالطبع لم يكن جنديًا قط. تُهدئ الفتاة شقيقها وتسألني ماذا أفعل بحق الجحيم؟

"لم أعد أهتم بعد الآن".

نظرتُ إليَّ بوجهٍ مُتجمّد ونظر إليها تراستر بحيرة أكبر.

"هل تعرفينه؟" يسألها باللغة الأيسلندية؛ ممّا يعني أنني لم أعد أبدو كاهنًا. هي لا تجيب. إنه عارٍ باستثناء بعض الملابس الداخلية الغربية، ينظر إليَّ هومر سيمبسون من بين فخذه، ولسان في خدّه.

ترتدي هي قميصًا أزرق غامقًا كُتِب عليه "آسف" باللون الأبيض. أنا
أرتدي ملابسني بالكامل. ارتديتُ حذاء الرِّكض، حذاء إيجور الرياضي.
تتبعني جان من الشقة إلى أسفل الدَّرَج، وتطرح جميع أنواع
الأسئلة التي لا أجيب عليها، بينما أتجنَّب النظر إلى وجهها، فمن شأن
هذا أن يُحفِّز الأفكار الخاطئة.
لم أعد أهتم. أمضي إلى الخارج. وداعًا.

الوقت مبكر جدًا. الشوارع صامتة أكثر ممَّا كانت عليه أثناء
النهار، بل تخطَّت الصمت. تُذكِّرني بقرية الموق. إنها مُشرقة مثل
الجحيم، لكنها غائمة. سحابة كبيرة ضبابية ضخمة تتدلى على ارتفاع
مُنخَفِض فوق المدينة مثل غطاء على قِدر. يبدو أنها تغطس إلى
الأسفل، لها اللون الرمادي الفاتح للجليد. كما هو الحال دائمًا، فإن
درجة الحرارة كالثلاجة.

ثلاجة لعينة.

أنا أبحث عن طبق لأضع رأسي عليه.

أمشي في الشارع بلا أدنى فكرة عن وجهتي أو ما أفعله. يجب فقط
أن أذهب إلى مكان ما. عندما يموت رأسك، تتولَّى قدماك القيادة. أنا
دجاجة مقطوعة الرأس تمشي بينما يسيل الدم من حلقي الملتهب.

يمكنني أن أرى البركة بين البيوت، حيث تُبحر بجعة لعينة ببطء
بين سقف وعمود إنارة. لقد وضعوا رأسها على صحن، لماذا فعلوا
ذلك بحق الجحيم؟ ليخيفوني؟ كلُّما فُكِّرْتُ في الأمر؛ شَمْتُ رائحة
طبخة الطليان. في لغتهم، يعني وضع رأس صديقتك في الثلاجة أمرًا
جَلَلًا. لماذا لا يأتون ويعثرون عليَّ ويقتلونني على الفور؟

كفى شعرا لعينًا!

لا أصدق أنها ماتت. فتاتي مونيتا، وهذا الموت العنيف الوقح المبتذل. كل ذلك حسب تقاليد الأسرة.

لقد نزعوا رأسها عن جسدها... ذلك الجسد المقدس... الليلة الماضية كانت الفتاة الأكثر إثارة على هذا الكوكب، واليوم هي في الثلاجة.

كذلك أنا.

أعتقد أن هذا هو عقابي؛ لأنني محبوس داخل هذه الأرض الجليدية. أعتقد أنني أستحق ذلك. لقد خُنْتُها، لكن على الأقل لا يزال رأسي مُتَصِلًا بجسدي. لا بُدَّ أنها خانتني أكثر وأعتَفَ بعشر مرات. سلَّمت رأسها مقابل الجنس الفموي الذي منحته. كنت أعرف، كنت أعرف ذلك بحق اللعنة. لا يمكن الوثوق بالفاتنة الهندو-إسبانية، أعلم أنهم يقولون إنه لا يمكن الوثوق بأي إنسان تمامًا، باستثناء يسوع المسيح ولورا بوش، ولكن يَحِقُّ لك دائمًا أن تأمل أن يتقدَّم شريكك على الأقل بطلب للحصول على عضوية تجريبية في ناديهم المقدس.

أتذكَّر ذات مرة أثناء عودتنا من عشاء في مطعم أنيق في الجانب الشرقي العلوي، وكان النسيم العليل دافئًا مثل الهواء من أنبوب العادم. سارت ببطء إلى الرصيف، وأحكمت ربط حزام محفظتها على كتفها، وشعرت بفخذيها الكبيرتين تحتكَّان ببعضهما البعض تحت فستانها الساتان الأحمر الصاخب (كانت مونيتا واحدة من هؤلاء النساء النادرات اللاتي يرتدين الفساتين أغلب الوقت) تكاد الفتحة المثلثة في الخلف (أحد تلك الأشياء التي لا أعرف الكلمة الإنجليزية لها) تُلَامِس مؤخَّرتها. وحين اندفعت إليها سيارات الأجرة الصفراء نحو جسدها الشَّيْق الممتلئ والملفوف باللون الأحمر، اختبأ عقلي المريض في الظلام داخل فستانها، هناك في الفتحة المثلثة، عند حدود

المؤخّرة والفخذين، ليفكّر ما إذا كانت تُواعِدُ رَجُلًا آخر هذا الأسبوع، أو هذا اليوم، أو ذلك العام...

داخل المطعم كنّا نتحدّث عن العلاقات بشكل عام ونسخر من مربّع سواب⁽¹⁾ (أو أيّا كان اسمه) زوجان على بُعد ثلاث طاولات. همست مونيتا فوق ملعقتها المليئة بالحساء التايلاندي: "لا بُدَّ وأن لديها مهبلًا سخّابًا". لم أسمع هذا من قبل. مهبلًا سخّابًا. فكّنت الكلمتان على الفور حبي الشديد لهما. كانت هذه المرأة فتاة كلّ احتلام جاءني، لقد دَفَعْتُ الفاتورة وأنا منتصب، وقرّرتُ أن أخبرها أنني أحبّيتها عندما نخرج.

كانت المرة الأولى التي أخبرها فيها.

لكن عندما خرجنا إلى الشارع، وكان عقلي يخبّتي في ظلالها، رأيت فجأة هذه اليد بين فخذيها، يدٌ مُشعِرة لرجُلٍ بالغ، تشقُّ طريقها إلى ساقها. يرتدي على إحدى الأصابع خاتمَ زواجٍ ذهبيًا سميكًا. كانت مُجرّدَ رؤيةٍ سريعةٍ أقرب إلى ومضة.

اشتعلت رقتها الفائقة فانقلبت عيني من الخلف إلى الأمام. ابتسمت ابتسامتها الحلوة بشفتين ناعمتين مغلفتين، ابتسامتها المثيرة تلك:

"شكرًا على العشاء يا عزيزي. كان رائعًا".

قُبلة. وصوت مُحرك سيارة على بُعد عشرة مبان.

"هل هو متزوِّج؟".

"مَن؟".

"الرجل".

(1) SWAP: برونستانتني أنجلوساكسوني أبيض ينتمي للطبقة البرجوازية.

"أَيُّ رَجُلٍ؟ فِي الْمَطْعَمِ؟ نَعَمْ، لَا بُدَّ وَأَنْهُمَا مَتَزَوَّجَانِ".

"لَا، الرَّجُلُ الَّذِي تَمَنَّى...".

وَلَمَّتْ وَجْهَهَا اللَّطِيفَ الْمَثِيرَ كَزَهْرَةِ عَبَّادِ الشَّمْسِ نَحْوَ زَحَامِ الْغَسَقِ.
مَعَ تَعْبِيرٍ مَفَاجِئٍ عَنِ الْأَمِّ، كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَدْ قَرَصَهَا فِي ظَهْرِهَا.

"الرَّجُلُ الَّذِي مَاذَا؟".

"الرَّجُلُ الَّذِي تَوَاعَدْتَهُ".

"الرَّجُلُ الَّذِي أَوَاعَدَهُ؟ هَلْ أَوَاعِدَ رَجُلًا؟".

"نَعَمْ، هَلْ هُوَ مَتَزَوِّجٌ؟".

"لَا، لَا... لِمَاذَا تَقُولُ ذَلِكَ؟".

صَوْتُهَا مَلِيءٌ بِالْبَرَاءَةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْكَلِمَاتِ الْخَاطِئَةِ:

"تَوَدُّ، أَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّنِي لَنْ أَفْعَلَهَا مَعَ رَجُلٍ مَتَزَوِّجٍ أَبَدًا...".

تَرْمَشَ عَيُونُهَا إِثْرَ الْخَطَا الْفَادِحِ، وَتَمَتَّلَتْ شَفَتَاهَا بِالْندَمِ. وَبَعْدَ
ذَلِكَ مَوْنُولُوجٍ سَرِيعٍ مَلِيءٍ بِـ "لَا تُسَيِّ فَهْمِي".

كَرَّرَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ اللَّعِينَةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ عَلَى مِدَارِ الْأَشْهُرِ
الْقَلِيلَةِ التَّالِيَةِ. لَقَدْ دَرَسْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مِثْلَ عَالِمٍ أَثَارَ يَدْرُسُ حَافَةَ
الزَّجَاجِ الْمَكْسُورِ الْمَوْجُودِ فِي أَعْمَاقِ تَلَالِ جَبَلِ أَرَارَاتٍ. مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ
بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟ "لَنْ أَفْعَلَهَا مَعَ رَجُلٍ مُتَزَوِّجٍ أَبَدًا" رَاجَعْتُ الْقَوَامِيسَ،
وَبَحَثْتُ فِي الْإِنْتَرْنِتِ، وَاسْتَمَعْتُ إِلَى مُحَادَثَاتٍ لَا حَصْرَ لَهَا فِي مَتَرُو
الْأَنْفَاقِ، وَشَاهَدْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْبَرَامِجِ التِّلْفِيزِيُونِيَّةِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ، وَمَعَ
ذَلِكَ لَمْ أُسْتَطِعْ فَهْمَ الْأَمْرِ.

لَمْ تَكُنْ لَغْتِي الْإِنْجِلِيزِيَّةَ عَلَى مَسْتَوَى الْمَهْمَّةِ حِينَئِذٍ، لَمْ أَكُنْ عَلَى
دِرَايَةِ بِجَمِيعِ الْفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ فِي أُمِّ اللُّغَاتِ هَذِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ أَتَيْتُ إِلَى
هُنَا قَبْلُهَا بِعَامٍ، لَكِنِّهَا بِالطَّبْعِ كَانَتْ "تَفْعَلُهَا" مَعَ كُلِّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ،

وتتعلم اللغة الانجليزية من خلال أحاديث الوسادة، وتتلقى الدروس جيداً في ساعات الصباح، بينما تذهب جميع الفتيات اللاتي أواعدهن مباشرة إلى الحمام بعد الطبق الرئيسي، ويغسلن أنفسهن في المرحاض على نمط كاميكازي⁽¹⁾.

في النهاية، عندما طارت هذه الجملة غير الرسمية عبر سماء مانهاتن، لثلاثة أسابيع كاملة، ابتلعت كبريائي وقُمت بالتسجيل في فصل اللغة الانجليزية في مدرسة مسائية صديقة للمهاجرين في تريبيكا. كانت غرفة مضاءة بالنيون مع كرسي بلاستيكية قذرة مليئة بفتيات فلبينيات مُبتسمات على الدوام، من طراز اليوم الـ 15، وعدد قليل من أعضاء القاعدة من الذكور. بالإضافة إلى المعلمة فنلندية المولود كاري، جميلة نحيفة لدرجة مريضة بشعر أشقر طويل، ولم أستطع أبداً أن أحدّد ما إذا كانت من طراز اليوم الخامس أو الخامس والعشرين.

في نهاية الفصل الدراسي، استجمعت شجاعتي أخيراً ورفعت يدي لأسأل المعلمة: إذا كان أحد الرجال يواعد امرأة ما لفترة معينة من الوقت، وعند لحظة معينة تُطمئنه أنها لن تفعلها أبداً مع رجال متزوجين...

"هذا يعني أنه يجب عليك التوقف عن مُواعدتها" صدر الحكم.

وانفجر الفصل، انفجروا ضاحكين بحق اللعنة، وكذلك جميع الفلبينيات المبتسمات وإخوان بن لادن. لقد فكّرتُ بشدة في إحضار مسدسي الأوزي⁽²⁾ إلى الفصل التالي، لكنني أعتقد أنني كنت ممتناً جداً لهذه المرأة كاري، التي رفعت مستواي في اللغة الانجليزية بمقدار

(1) kamikaze جزء من وحدات الهجوم الخاصة اليابانية للطيارين العسكريين الذين شؤوا هجمات انتحارية لصالح الإمبراطورية اليابانية ضد سفن الحلفاء.
(2) Uzi مُسنس رشاش.

عشرين طابقًا في ثلاثة أشهر؛ فرمما كانت ستكتتب إذا رأت جميع طُلابها يموتون.

أدين بلغتي الإنجليزية للعمّة غيرة، لقد ساعدتني في الارتقاء بمستواي. لا يزال ديكان وشركاه عالِقين بانجليزيتهم في مستوى الأرض "خُذني السيارة" لقد وضعني ذلك في موقف مُحرج بعض الشيء (لا يجب أن تبدو أكثر ذكاءً من رئيسك في العمل) وأغلب الوقت حاولتُ التقليل من قيمة مهاراتي، لكن ديكان اكتشفني، وبدأ في استخدامي كمترجم فوري له في بعض صفقاته الكبرى. لطالما شعرت بغثيان عندما يجلس لأعقُ إصبع بجانبني في زغرب ساموفار، يمتصُ سيجاره المليت ويحدّق فيّ، بينما أشرح وضعنا للفتيان البولنديين من شيكاغو. بدا ديكان دائمًا متشككًا بعض الشيء من تقدّمي السريع، وتعامل كما لو أنني تعلّمتُ اللغة الانجليزية من خلال مواءة أحد نوامي بوش سرًا، وقضاء عطلاتي من العمليات في نهاية الأسبوع في الجناح الغربي، وتناول الطعام مع رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي وحرّمه. لم يعلم أنه كان فقط نتيجة بحثي الدؤوب في حياة مونيكا العاطفية، وهو إجراء تَضْمَن بعض أعمال التجسس أيضًا، والذي بكل خجل- لم يُحقّق أي نتائج.

حين قالت إنها لن تفعلها مع رجال متزوجين أبدًا، أُلحِت مونيكا إلى أنها في الواقع "تفعلها" مع رجال غير متزوجين، وقد دُل استخدامها لكلمة "تفعلها" الرهيبة أنها كانت تفعل ذلك بكثرة. كانت مونيكا مطحّنة قُضبان "تتّجه رأسيًا" إلى أعلى برج ترامب، ومُجهّزة بكلمات من قبيل "انظر إليّ!"... عاهرة الأثداء المحتالة.

أنا لم أذكر أيًا من هذا لها. ونعم، لم أكفّ عن لقائها، تركتها تفعلها معي وفعلتها معها. لكن ظلّ الحب بعيدًا، مثل سفينة سياحية بيضاء ضخمة أكبر من أن تدخل الميناء، حتى الآن على ما أعتقد. وأنا

لا أفهم ذلك تمامًا. لقد ماتت وفجأة بدأت أشعر بالعاطفة تجاهها. سيسعدني أن أراها تنال العقوبة التي تستحقها. لقد تمادت للغاية، حتى بلغت شفتي الرائعة، على بلاط حمامي اللعين.

لكن ربما أجبرها أحد العصبيّة الطليان على ذلك. كان المقصود من "عقوبتها" عقابي فقط. لقد كان نوعًا من (م.إ) مهمة إيطالية، تمّت باسم جرميتي السُّتّة والستين، أي واحد أو أي مجموعة؟ لا يهم. كان لا بُدَّ أن يحدث عاجلاً أو آجلاً، كان لا بُدَّ من عزل قاتل مانهاتن الرئيسي، ذي عضلات البطن السُّتّة، الكرواتي القاسي، توكسيك الذي لا مثيل له. أم كان واحداً مِنّا؟ نيكو؟ صاحب مقولة "لماذا تدعوني نيكو؟" قال البوّاب إن مونيّا صعدت إلى الطابق العلوي مع "رَجُلٍ يبدو إيطاليًا". كان من الممكن أن يكون كرواتيًا. فهِمْتُ.

قتلوها. أصدقائي وأصحاب العمل قتلوا فتاتي، والآن لا بُدَّ لي من الجِداد عليها. لم أكن أعرف كم كانت تعني لي حتى الآن، لم تكن الأسوأ حقًا. لقد أحضرت لي الزهور في كل مرة جاءت فيها تقريبًا، أعطتني أفضل تدليك في حياتي، وكانت تطهو لي كل أسبوعين أطباقها المفضّلة منذ طفولتها في ليما: سمكة قرش أو سمك سيفيتشي باس أو أنتيكوتشوس البسيط الجميل، أو اللحم المقدّد البيروفي الذي لطالما ذكّرني بشيفاي⁽¹⁾.

أنا أفتقدها.

أستطيع أن أرى الآن أن تصرّيحها سين السُّمعة لم يكن قاسيًا للغاية بعد كل شيء. "أنت تعلم أنني لن أفعلها مع رَجُلٍ متزوّج"، فهذا يعني فقط أنها لن تفعلها إذا سنّحت الفرصة. كانت تستخدم صيغة

(1) cevapi: وجبة كرواتية من الكباب.

المستقبل -لو- أو أيًا كان اسمها. ولكن في النهاية، إذا سَنَحَت الفرصة، فمن المحتمل أن تفعلها مع الرَّجُل غير المتزوج..
عُذْرًا... اللعنة... إنها ميتة الآن.

أسير في الشارع، وفجأة أستطيع أن أراها داخل تلك السيارة، تلك السيارة اليابانية التي تقف هناك على الجانب الآخر، في الليل الأيسلندي السَّاطع كأنه مضاء بالنيون. تلوُّح وتبتسم، تمامًا كما كانت تفعل دائمًا عندما تأتي لاصطحابي في سيارتها هوندا الصغيرة.

ماذا عن السيارة؟ شقتها؟ عملها؟ ليس لديها أقارب.

ربما ينبغي أن أتصل بصديقتها ويندي وأخبرها..

فجأة وصلت السَّحابة الرطبة الكبيرة فوق ريكيافيك إلى عيني، فملتئ مثل سُترة من الصوف بدم من جرح رصاصة، وفجأة أبكي وكأنها نوبة قلبية أو شيء من هذا القبيل. لا أستطيع تمالك حالي بحق اللعنة، يستمر الأمر وحسب، لم أبك منذ أن خسرنا تلك المباراة في نصف النهائي ضد فرنسا في باريس 98. وسجَّل اللعين ثورام هدفين. عليَّ أن أستريح أمام سيارة دفع رباعيٍّ صغيرة تقف بصمت في المكان المخصَّص لها، وتتحمَّل الانهيار مثل حصان حربي أبيض.

تأتي سيدة مُسنَّة تتجول في الزاوية مع كلبها العجوز في طوقه، إنها نزهة الصباح الباكر تلك. أنظر لأعلى فتلتقي أعيننا. لا بُدَّ وأنني أبدو مثل متشرَّد يبكي على زجاجته. ومع ذلك تنظر إليَّ كما لو كانت معتادة على رؤية رجال العصابات في نيويورك ينتحبون في شارعها في الخامسة صباحًا. إنها فتاة من طراز اليوم 65، ترتدي سُترة صيقة وسروالًا رماديًا، شَعْرها رمادي، وحذاءها "نايك" أبيض.

تدفعني للتفكير في سيدات مانهاتن اللاتي تراهن في أعلى الجانب الشرقي، ينتقلن من الإفطار إلى الغداء، بأحدث تصفيفات الشَّعر على

رؤوسهن، ويرتدين أحذية أطفال جديدة تمامًا في أقدامهن. كما لو
كُنَّ يُردن أن تُمثل أجسادهن قصة حياتهن، من الطفولة إلى النعش.
لا أعرف ما أفعله، لكن يدي تعرف: فجأة ترتفع يدي اليمنى،
ترفع نفسها وتحاول إيقاف المرأة بحدة. لن تتوقف، لكن كلبها
يتوقف، ينتقل بين سيارتين ويخرج إلى الشارع، باتجاهي عند سيارة
الدفع الرباعي البيضاء.

تظل السيدة النحيفة شبه الرياضية على الرصيف، تسحب المقود
الطويل الذي لا بُدَّ وأنه اشتبك بالمصد الآن. يرتجف شعرها الرمادي
وهي تأمر الكلب بالعودة، لكن الصغير مصّاص للحُزن يشمُّ دموعي،
البقع الرطبة الداكنة في الأسفلت، مثل مدمن مجنون في إعادة التأهيل
يكتشف الكوكايين في مسيرته اليومية في الغابة. نظرتُ لأعلى، وفجأة
سألتُ ما لي كته سؤالًا فاجأني أكثر من إيماءاتي:

”عفوًا، هل تعرفين إذا كانت ثمة كنيسة هنا؟“

18

صباح الموتى

2006/05/23

الكنيسة مغلقة. وهي أمام البركة مباشرة، مُحَصَّنة ومَطلَّية باللون الأخضر. يسبح البجع والبط في المياه الراكدة. يبدو أن بعضهم نائم ورؤوسهم مخفية تحت جناح.

كواك! كواك!

أجلس على درجات سُلَّم الكنيسة. يُحَلِّق فوق رأسي عددٌ قليل من طيور السورس، ويقذفونني بالإساءة كملائكة في حالة سُكْر. تتصل جان بهاتفني الجديد مرّتين فلا أجيب. عند الحداد على زوجتك، لا يمكن للعشيقة أن تساعدك. يظهر عاملٌ مَدِينَةٌ ناعس العينين يقود آلة برتقالية صغيرة بطول الرصيف، وتدور أعلاها إضاءة ديسكو. تمّ تجهيز الوحش الصاخب بمكانس دَوَّارة وخرطوم فيل يستخدمه لامتناس القمامة: المشهد كله يبدو وكأنه حيوانٌ صاخبٌ يتغذى

على القمامة. يمرُّ السائق دون أن ينظر إليّ. يا رجل... لو كان فقط بمقدورك أن تُنظّف مسار حياتي.

إنها مقبرة لعينة. منذ أن أنهيت دراستي لم أفعل الكثير باستثناء إضافة الصُّلبان إليها. هناك حصّ في ضميري، مثل الحصى الذي يصاب به الناس في كُلاهم، حصّ بحجم الكُليّة. استيقظت وبدأت المشي. أمشي في وسط المدينة، متابعًا وحشّ القمامة.

قابَلتُ مونيكا في مطعم أرتورو؛ كابينة فرن الفحم الهادئة في هيوستن وتومسون. انتظرتني. انتظرتها. ذهبتُ وعُدْتُ سبع مرّات قبل أن تسمح لي برسم الابتسامة على وجهها. شكرًا جزيلًا للسيدة مطحنة القُضبان. تحمّم عليّ أن أطلب سبع فطائر بيتزا مختلفة قبل أن أمكّن من معرفة مفاتيح قلبها. كان زيتونًا أسود، بصلاً أحمر، وجرجيرًا. جرجير. لم أكل شيئًا لشهورٍ سوى برجر الجرجير ومكرونة الجرجير. وبعد ثلاثة أشهر، تبادلنا أوّل قُبلة. كانت عمليّة بطيئة، مثل تمرير فائورة كبيرة عبر الكابيتول هيل⁽¹⁾. ليس حقًا أسلوبي في الصيد. ما زلتُ لا أفهم لماذا لِعَبَت معي دور المرأة صعبة المنال، في حين لم يكن عليّ عُرَابٍ برج ترامب سوى الضغط على زر المصعد، وكانت ترتقي لطابق أعلى كل ثلاثة أو أربعة أسابيع. لم تفعلها مع المبتدئ. لكنها فَعَلَتْها مع كلّ شخصٍ آخر.

أقف في الساحة الرئيسية في أيسلندا في الساعة 5:02 صباحًا، مثل محكوم عليه بالإعدام ينتظر وصول جُلّاده والعصابة الغاضبة. لكن لا أحد هنا. لا شيء سوى النار الهادئة للحيوان البرتقالي الذي يختفي في الشارع، ونعيق الغراب الوحيد أعلى الساعة الصغيرة في منتصف الميدان، وقد دُفِنَ الجبل الأشبه بالحوت في ضباب الخليج الرمادي حتى كاحله الأزرق الفاتح، وأنا أتجه نحوه.

(1) Capitol Hill: مقر الحكومة الأمريكية.

تقف سيارة رمادية صغيرة في الزاوية التالية تنتظر الضوء الأخضر. تقودها شقراء سمينة من نوع اليوم السادس عشر. لا بُدَّ وأنها في طريقها إلى العمل. كم مرّة كنتُ مكانها، أنتظر إشارة حمراء في الرابعة صباحًا، في أعماق قلب مدينة اللا مكان، السيارة الوحيدة في مرمى البصر، وويلي نيلسون⁽¹⁾ يغني على كل الموجات لجميع الفتيات التي أحبتهنَّ من قبل.

أعتقد أن أكثر من نصف ضحاياي البالغ عددهم ستة وستين لقوا حتفهم قبل الظهر. الصباح للقتل؛ فلا أحد يتوقّع رصاصة على الإفطار.

أمشي بمحاذاة الشاطئ، يمتدُّ جدارٌ واقٍ من الأحجار الضخمة بطول الخط الساحلي؛ ليحميك من الوحش الذي يقبع تحت سطح مياه المحيط الذي يشبه المرأة، زميلي المجنون. ويمتدُّ مسار المشي الممهّد بين الجدار والشارع الفارغ.

يظهر أمامي نصف رأس مونيتا الأزرق، يطفو في الهواء مثل عنكبوت ضخّم مُشعر. أمشي بمحاذاة الشاطئ، أتحدّث معها ومع نفسي. أنا عالِقٌ في جزيرة الثلاثجة، ولا يوجد أحدٌ أتحدّث معه سوى كل خطاياي وخيبياتي.

كانت عملية رقم #42 رجل أعمال سيئ الحظ من وينيبيج في كندا، كان يدين لديكان ببعض المال. اضطررت أن أصعد خمسة وأربعين طابقًا من أجل هذه المهمة، وأدخل غرفته الصغيرة بالفندق. عندما دخلت، كان يمارس نوعًا مجنونًا من اليوجا فوق السرير المزدوج، ساقاه في الهواء ومؤخّرتَه في وجهي. لم يكن يرى الموت قادمًا حتى أرسلت الرصاصة في شرجه. كان الأمر مضحكًا جدًّا فلم أقاوم تجربته. لكنه لم يمُت على الفور. قضيتُ حوالي أربعين ثانية متألمًا من خطوتي

(1) Willy Nelson: مُغنٍّ أمريكي.

التالية. لم أرغب مطلقًا في إضاعة رصاصة أخرى. كنتُ على بُعد رصاصتين فقط من لقب ثلاثي عضلات البطن؛ لذلك وقفتُ هناك أداعب بندقيتي.

لحسن الحظ بدا أنه يتفهّم وضعي؛ فكان متعاونًا. أودُّ أن أذكره في خطاب الشكر في حفل توزيع جوائز المافيا.

بجهد هائل تمكّن من العودة والزحف عبر السرير الملطّخ بالدماء نحو الطاولة. يبدو أن الرصاصة قد انتقلت إلى القولون، عبر معدته ورثتيه، وخرجت من حدود الصدر والرقبة. استمرّ الدم في التدفق من تحت الذقن. أسرعتُ إلى هناك، معتقدًا أنه حتمًا يحتفظ بمسدّس في الدُرج، لكنه وصل فقط إلى محفظته وقضى أنفاسه الأخيرة في النظر إلى صور زوجته وأطفاله الثلاثة، أربعة وجوه كندية مُجمّدة في مرج. ثم غرق في دمه الذي كان يقطر من أنفه.

مجرد أن أخذه القدير، جلستُ بجواره على الفراش، جلستُ هناك لمدة نصف ساعة وقرّرتُ في النهاية أن ألقى بنفسي من النافذة إلى الجادة السادسة. لكنني لم أتمكّن من فتح النافذة اللعينة... الفنادق المعاصرة... ثم اكتشفتُ أن بإمكانني استخدام مسدسي بالطبع، لكن الطموح طغى على الاكتئاب.

بعد فترة وجيزة، في موعدي الغرامي التالي مع مونيتا، طرحْتُ فكرة أن نُنجب أطفالًا، وأن نصبح أسرة. ماري لو وبوبي بوكسيتش. أردتُ بعض الوجوه السعيدة في محفظتي، لكنها قالت إنها تريد الانتظار حتى تصل إلى الطابق العشرين في العمل.

كان أمامها خمسة، خمسة عزّاب تافهين.

ياخذني مسار المشي بعيدًا عن الشاطئ، مُتّبِعًا الشارع المؤدي إلى بعض الأحياء البيلاروسية. بنايات منخفضة على يساري، وأعلى على يميني، تُذكّرني بأسبوع عملي في مينسك، حيث ننتظر أنا ونيكو في

غرفة فندق لمدة خمسة أيام حتى تصل تلك الحقيقة. مشاهدة كل مباراة من مباريات بطولة العالم لكرة اليد للسيدات، كانت فتيات النزويج مثيرات.

هناك بعض السيارات الآن، تزداد حركة المرور في الصباح، معظمها يتجه نحو وجهي، مُتجهًا إلى وسط المدينة. ليس لديّ خطة سفر. أنا فقط أتبع رأس مونيتا المتجمّد الذي يظهر أمامي كل سبع دقائق، بينما كنت أمل أن تظهر سيارة شرطة. لقد وصلت إلى اللحظة التي ستأتي آجلًا أم عاجلاً في مهنة كل قاتل: عندما يتوق إلى حبل المشنقة، عندما يبدأ بالصراخ في مواطنيه: "أرجوكم تعالوا وخذوني!".

تأخذني المسيرة أمام السينما (تظهر بعض خراء أفلام العصابات الإيطالية) ومتجر أيكيا المحلي مرسومًا باللونين: الأصفر والأزرق. لأبأس بالصباح الآن، تنهمر السيارات مثل القوافي من قم مُغنيّ الرب. لكن لا أحد يمشي غيري في الجوار، لا يوجد مُشاة آخرون. لا عجب إذن أن ينتهي الرصيف فجأة. أستمّر بطول الطريق، وأمشي على العشب القذر بجانب الأسفلت. هناك فوضى من الخرسانة أمامنا، حلقات وعقد مرورية، ينظر إليّ الناس في السيارة كما لو كنت هانيبال ليكتر في طريقه لتناول الإفطار.

لقد سئمت الموتى. يبدو الأمر كما لو أن رأسي عبارة عن ثلاثة مليئة بالبضائع والآن بعد أن تمّ سحب القابس، يذوب كل شيء مثل جداول المياه في الربيع. يشبه إلى حدّ ما أوّل يوم لنا في الحرب. في الصباح كان كل شيء هادئًا ومُسالِمًا للغاية، ومغطّى بالثلج الأبيض الجميل، وذلك بعد ليلة جامحة من إطلاق نارٍ لا هَوَاةَ فيه. ولكن بحلول الظهيرة ذاب الثلج وظهرت كل الجثث.

عملية رقم 51 كان تخصّ جيسي، بيت العائلة، البدين الأشبه ببرجر الجبن الصغير ذا الشارب، والذي اختبأ في منزله في أحراش

چيرسي لأكثر من شهر. جلست في سيارتي لمدة ساعتين، حتى غادرت زوجته وأطفاله. بمجرد أن سقط على الأرض، ملوًا السجادة بالبول والدم، عادت زوجته. لقد نسيت شيئًا "إنها أنا!" رن صوتها.

ذهبت مباشرة إلى المطبخ، وانحنيت بسرعة خلف الأريكة. بينما كانت تفتح الخزائن والأدراج بسرعة، تمكنت من الزحف إلى النافذة، مختبئًا خلف الستائر السمكية بطول الأرضية. لم أرغب في قتلها أيضًا. الأطفال ينتظرون في السيارة وما إلى ذلك، وفي الحقيقة لم أقتل امرأة قط (حسنًا، باستثناء العجوزين الشمطاوين في الحرب، لكنهما كفتا عن كونهما نساء منذ فترة طويلة).

ثم سمعت المرأة تدخل غرفة المعيشة: "مرحبًا يا عزيزي، أنا فقط..." ثم صراخ حاد.

اضطرت للوقوف هناك لمدة ساعة قبل أن أتمكن من الهروب. ظلت تصرخ لمدة نصف ساعة ثم جلست هناك لمدة أخرى مشلولة، قبل أن تستدعي الشرطة في النهاية. كان يجب أن أقتلها بالرصاص أيضًا. ربما كان هذا أفضل لها.

وبدلاً من ذلك، انتهى بي المطاف بالذهاب إلى الجنازة اللعينة، على الأغلب لكي أنفق الأرملة. كانت مثيرة، وهو أمر حميد؛ فالنساء الجميلات أسرع في التعافي من هذه الأمور. بدت هذه وكأنها يمكن أن تكون على رأس قائمة "أحدث أرملة في أمريكا"، وقد شعرت بتحسّن حين رأيت ستة عزّاب وسيمين على الأقل حضروا الجنازة. ربما حققت للتو النهاية المثالية لخياناتها.

رأسي يضجّ بالرؤوس، بعضها يصرخ وبعضها صامت.

يظهر شعري مونيّتا مرة أخرى، دائماً على بُعد عشر أقدام؛ ممّا يجعلني أغدّ السير قليلاً. يجب أن أعترف أنني أحياناً تمثّيت بالفعل أن أحصل على رأسها على طبق من الفضة، وقد حدث. تبتسم على

نحو غريب، وفجأة أشعر بالرغبة في أن أقبل شفيتها الأرجوانيتين الباردتين. لكنها تحافظ على مسافتها، وتقطع الطريق المنبسط أمامها. أتبعها، فتعزف لي مجموعة كبيرة من أبواق السيارات نغمة غاضبة. كانت العملية رقم 56 يشبه صاحبها روبرت ريدفورد، رجل مفتول العضلات ذو ربطة عنق صفراء، وفك قوي، وشعر رمادي. استغرق عدة دقائق ليموت، في الجزء الخلفي من مطعمنا. شعرت أنني أحرزت نصرًا؛ إذ تمكنت من القضاء على مثل هذا الأمريكي الأصيل. أمّا العملية رقم 59 فكان مُنتج أفلام إباحية بولندي في كوينز، في يوم شبه غائم من أيام أبريل. كان عليّ أن أرتدي قناعًا؛ لأن صديقه كانت هناك.

أمشي على تلة صغيرة شديدة الانحدار من العشب على جانب الطريق. يأخذني إلى الجسر العلوي، الجسر الخرساني الصغير الذي يعبر الشارع الذي كنت أسير فيه خلال الساعة الماضية. السيارات هنا أسرع.

عملية رقم 63 كانت الرَّجل الصيني الصغير الخجول في شارع كانال. بدا وحيدًا لدرجة أنه كان سعيدًا بشدة بفتح الباب للموت. عملية رقم 68# عندما أقفز من الجسر اللعين، وأقول وداعًا سريعًا لسبليت.

19

الحياة الآخرة

23.05.2006

أوشكتُ على الزحف حين وصلت أخيراً إلى المنزل اللعين. نعم، إنه منزلهم. تعرّفتُ على السيارة لاند كروزز الفضية. لا بُدَّ أن هذا يعني أنهم في المنزل، أنا الوحيد الذي يمشي في هذا البلد. يبدو أن النزيف قد توقّف، لكن السّن لا يزال مفقوداً. لا بُدَّ وأنني أبدو كما لو كنت مُعلّقاً على صليب لمدة يوم أو يومين. أشعر بضيق حين أقرع الجرس.

حين أقرع أجراس الكنيسة اللعينة.

تأتي سيكريدر إلى الباب وسرعان ما تردُّه إلى أنفي المكسور. المزيد من أجراس الكنائس. يظهر وجه جودموندور نفسه في النافذة العمودية بجانب الباب. رأس اللاما القديم الطيّب ذي الأسنان الأمامية الطويلة. بصفته شخصاً سافر على قدميه إلى صميم روحه؛ فإنه قادر على الرؤية من خلال الدم والعرق والدموع. يتعرّف عليّ ويفتح

الباب. نحن نواجه بعضنا البعض: مَنْ غسل أسنانه يواجه مَنْ فقدها.

"ما هو... ما هو لرؤيتك؟" سألني بما يبدو أنها عبارة محلّية تعني: "ماذا حدث لك؟ أنت غارق في الدماء".
"مرحبًا...".

يؤلمني التحدّث بشكل جحيمي. الكلمة الصغيرة تحرق حلقي وتُشقّق مجتمتي؛ لذلك تركت عيني تتحدّث. (لا بُدّ أنهما يدوان مثل بثرين صغيرتين في حفرة طينية). أنا سعيد جدًا برؤيتهما! حتى إنني أفقد توازني وأقع على ركبتي عند العتبة الذهبية. أمدّ يدي إلى سرواله، لكنه يرجع قليلًا، وزوجته تقف خلفه. تلامس يدي المؤلمة والمتورّمة أصابع قدمه المغطّاة بالجورب، فأبدأ في النحيب مثل حصان بحرٍ بأنياب مكسورة.

"جودموه..." لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك. الألم شديد جدًا، يجب أن أضعه في روعي وأدعه ينهي كلامي. صوتها عميق وغير مسموع، مثل كلام باري وايت تحت الماء.

أنا بالكاد أفهم ذلك بنفسي، لكنه يبدو شيئًا مثل: "... أرجووك ساعدني".

أصبح الأمر مُمتِعًا، تتوسّم روعي خيرًا في وجه اللاما العزيز الطيب.

أنا الآن على وشك الاستلقاء على أرضية المدخل، أنشر خطايبي القذرة على بلاطهم الأبيض. ألقي نظرة فاحصة عليهم، عزيزي القس.. ألقي نظرة فاحصة على الفوضى القذرة، خذ كل شيء واحرقه في الجحيم، أو أحضره إلى عُمال النظافة في جَنَّتِكَ الحبيبة.

أُنْسْتُ بعض الحذر، أعتقد أنني أسمعها يهيسان فوق رأسي، ولكن أخيراً يمكنني أن أشعر أن السيد جود يمدُّ يده فوق رأسي ويغلق الباب. ساعدني على النهوض وقادني إلى الحمام القريب، بالكاد يمكنني أن أمشي.

تغسل سيكريدر رأسي المولم ووجهي المتورم. أحاول ألا أنظر في المرأة، لكنها بالرغم من ذلك تهمس لي أنني أبدو مثل رجل الفيل. بالكاد أستطيع أن أرى بعيني اليسرى، تضاعف حجم أنفي، يجب أن أكسرها، وكذلك السن بجانب الأسنان الأمامية على يساري.

تبدو الشفة العليا أفريقية، ومع ذلك، فقد جاء معظم النزيف من الجبهة. ثمة جرح فوق عيني اليسرى يمتدُّ حتى خَطَّ الشعر. عندما تشطف سيكريدر الجرح، يلمع مرةً أخرى. ذراعي اليمنى ساكنة بسبب ألم كتفي، ولن أتفاجأ إذا رأيتُ بعض الضلوع المكسورة إذا كان لديهم كاميرا أشعة سينية في المنزل. كل نَفْسٍ يجلب الألم. أشعر بالتواء في كاحلي الأيمن، مثل منشفة شبه مُبلّلة يحاول شخصٌ ما أن يعصرها دون جدوى.

"هل هبطت⁽¹⁾ في حادث؟" يسأل الواعظ.

"نعااهم!"

إنه مثل التحدُّث إلى طبيب الأسنان وفمك ممتلئ بالأصابع.

"أين؟"

"آه سيالار..." أغغمم بأسنان مكسورة وشفتين متورمتين.

"في حادث سيارة؟ هذا فظيع. علينا الذهاب إلى الطبيب... إلى المستشفى."

(1) يتحدث بلغة انجليزية ركيكة.

"لكن علينا تنظيفه أولاً ووقف النزيف، لا يمكننا أن نذهب معه على هذا الحال إلى المستشفى" تقول سيكريدر مثل ممرضة متمرسة بينما تغسل جبهتي بعناية بمنشفة صغيرة.
"لاه" أحتج. "لا مستشفى!..."

"لا مستشفى؟ لماذا؟ إنها نظيفة. لدينا نظام صحي جيد جداً، إنه الأفضل في العالم، أم ربما يكون هذا مخالفاً لقوانين كنيسةك؟" يسأل جودموندور وهو يرفع حاجبيه: "أنت تعلم أنه لم يعد الأب فريندلي. هذا الرجل قتل الأب فريندلي" قالت زوجته بوجه مارجريت تاتشر⁽¹⁾ ويدي فلورنس نايتينجيل⁽²⁾ "إنه قاتل!".
يتوقف زوجها الأقل ذكاءً للحظة.

"نعم بالتأكيد، أنت مجرم. يجب أن نأخذك إلى الشرطة أيضاً"
أبتعد عن سيكريدر ومنشفتها لمواجهة القاضي على حياتي.
"من فضلك.. أحللقلي".

نظر إليّ ثم نظر إلى زوجته ثم إليّ مرة أخرى. وجهه عبارة عن تردد كبير. قد يعتقد حقاً أنني أطلب حلاقة. وقد أحتاج بالفعل إلى واحد. أحاول مساعدته عن طريق إمالة رأسي القبيح فجأة على صدره (يمكنني سماع قميصه الوردي وربطة عنقه الزرقاء يصرخان بصوت عالٍ بينما يلامسان جبهتي الدامية)، أحاطه بذراعي فيتراجع قليلاً، لكنني لا أتركه، وأضغط بذراعي حوله أكثر. أفعل كل ما هو مخالف لطبيعة توكسيك.

صرخت في بطنه، متناسياً ألمي لدقيقة "سيقتلونني... أتوسّل إليك".

(1) Margaret Thatcher رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً.

(2) Florence Nightingale: ممرضة بريطانية خلال حرب القرم 1854-1856.

أستطيع أن أشعر أن الزوج والزوجة يتبادلان نظرات ذات مغزى،
جُنْدِيًّا خَيْرٍ فِي مُوَاكِفَةٍ شَرِيرٍ مُهْزُومٍ. تُحَدِّثُنَا بِاللُّغَةِ الْإِسْلَانِيَّةِ لِبَعْضِ
الْوَقْتِ. أَقُومُ بِـأ.ق.أ. وَأَتَمَسَّكَ بِجَسَدِ الْوَاعِظِ مِثْلَ قَرْدِ حَدِيثِ الْوِلَادَةِ
مُتَشَبِّهًا بِأُمِّهِ. أَشَاهِدُ دَمْعَيْنِ مُخْتَلِطَيْنِ بِالدَّمِ تَسَاقُطَانِ مِنْ وَجْهِهِ
إِلَى أَرْضٍ، تَسْتَحِيلُ كُلَّ وَاحِدَةٍ بِرُكَّةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الْبَلَاطِ الْأَبْيَضِ، وَهِيَ
بِرُكَّةٍ صَافِيَةٍ تَمَامًا مِلْئَةً بِالْخُطُوطِ الْمَمْرُقَةِ بِالدَّمَاءِ، وَالتِّي تَتَحَرَّكُ فِيهَا
بِاسْتِمْرَارٍ مِثْلَ بَعْضِ السَّيَاطِ الصَّغِيرَةِ.

قَامَا بَلَقْنِي بِضَمَادَاتٍ دُونَ إِبْلَاعِي عَلَى أَيِّ قَرَارَاتٍ أُخْرَى، وَحَوْلَانِي
إِلَى مَوْمِيَاءَ، ثُمَّ أَخَذَانِي إِلَى الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ إِلَى فَرَاشِي الْقَدِيمِ. تَضَعُ
سَيَكِيدِرَ قِطْعَةً قِمَاشٍ بَارِدَةٍ عَلَى أَنْفِي، وَتَطْلُبُ مِنِّي الْاسْتِرْخَاءَ، ثُمَّ
يَغَادِرَانِ الْغُرْفَةَ.
أُمِّي وَ أَبِي.

أَحَاوَلُ الْحَصُولَ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ. أَحَاوَلُ أَنْ أَحْصِلَ عَلَى
بَعْضِ الرَّاحَةِ لِرُوحِي. الْأَلَمُ الْجَسَدِي مُوجُودٌ، لَكِنْ مَصَادِرُهُ مُتَعَدِّدَةٌ،
وَقَدْ أَدْخَلَ الْآنَ فِي أَلَمٍ عَامٍ كَبِيرٍ، ضُجَّةٌ عَالِيَةٌ فِي نِظَامِي، يُمْكِنُنِي فِي
الْوَاقِعِ تَجَاهُلُهَا مِنْ وَقْتٍ لِآخَرٍ، مِثْلَ مَنْ يَعِيشُ بِجَوَارٍ مَوْقِعَ بِنَاءٍ
وَقَدْ تَوَقَّفَ أَخِيرًا عَنْ سَمَاعِ كُلِّ الْحَفْرِ.

قَفَزْتُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، كُنْتُ مُتَأَخِّرًا جَدًّا. لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي تَقْدِيرِ
الْوَقْتِ الْإِلَازِمِ لِسُقُوطِ جَسَدِي الْمَثْقَلِ بِالذَّهُونِ عَلَى ارْتِفَاعِ خَمْسِ
عَشْرَةٍ قَدَمًا. كُنْتُ أَسْتَهْدِفُ شَاحِنَةً تَوْصِيلَ بِيضَاءٍ كَبِيرَةٍ كَانَتْ مِنْ
الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَمْنَحَنِي الضَّرْبَةَ الْقَاتِلَةَ بِمَصْدَهَا الْأَسْوَدَ الصُّلْبَ. بَدَلًا مِنْ
ذَلِكَ، كَانَتْ الشَّاحِنَةُ بِالْفِعْلِ فِي مَتْنِصِّ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْجِسْرِ عِنْدَمَا
وَقَعْتُ أَخِيرًا.

هَبِطْتُ عَلَى سَطْحِهَا، ثُمَّ قَفَزْتُ عَلَى الْفُورِ مِنْ ظَهْرِهَا إِلَى الْجِدَارِ
الْخُرْسَانِيِّ أَسْفَلَ الْجِسْرِ وَاصْطَدَمْتُ بِعُنْفٍ عَلَى النِّصْفِ الْأَيْسَرِ مِنْ

وجهي، قبل أن أسقط على كتفي المتصلبة وكتفي التي تؤلمني. استلقيت هناك لبضع دقائق، لكن لا يبدو أن أحدًا قد لاحظ أنني أندرج مثل كيس غسيل مُتسخ من مستشفى عسكري مجهول. ولا يبدو أن أحدًا قد لاحظ الخنزير النافق الملقى على جانب الطريق تحت الجسر. ومع ذلك، أبطأت السيارات قليلًا عندما عُدتُ إلى صوابي وزحفتُ على قدمي. لكن لا بُدَّ وأن الجميع قد اكتشفوا أنني كنتُ وحشًا يعيش تحت الجسر.

واصلتُ سيري. واصلتُ الابتعاد عن المعبر بنصف وعيي، في نفس الاتجاه الذي كنتُ أسير فيه قبل مواعي الفاشل مع الموت، مشيت على الفاصل الأخضر الواسع بين الطرق ذات المسارين. مشيت بكاحلٍ ملتبسٍ ووجه ملطخ بالدماء. حدّق الناس في وجهي خلف عجلاتهم السعيدة، لكنّ أحدًا لم يتوقف. سيدات مساحيق التجميل اللعينات وجراحو التجميل جميعهم. ثم بدأت السماء تمطر، ومنذ ذلك الحين لم أعد مرتبًا بالنسبة لهم.

واصلتُ المشي، مثل دُب قطبي جريح يتّجه تلقائيًا إلى القطب الشمالي ليموت، ظللت أسير في حارة المرور. بدا الأمر بلا نهاية، لكنني واصلت المشي، دون أدنى فكرة عن وجهتي. أخبرتني اللافتات العلوية أنني مُتّجه إلى المطار. قالوا كيفلافيك مع صورة لطائرة تحلق لأعلى. بالطبع يمكنني دائمًا محاولة الهروب من هذا البلد على أنني إيجور وبدء حياة ثالثة جديدة كمتعهّد دفن بمولينسك في روسيا.

مررتُ أسفل سبعة جسور، مرورًا ببيتزا هت ومركز تجاري أشبه بسفينة فضاء غريبة أذكر أنني رأيته من قبل. اختفت جزيرة المرور وجعلتني أترك كتفي المتألمة لأمسك بالأخرى المتصلبة، ثم فجأة رأيت على يميني، بين بضعة مباني إدارية جديدة، صليبيًا أزرق كبيرًا مرسومًا على الجملون الأبيض الكبير لكنيسة تورتشور، تلك التي زُرتها مع

جودموندور في الأسبوع السابق. أعطتني فكرة ومنحتني الأمل. كنت أعرف أن بستان الصمت لم يَعد بعيدًا جدًّا، كنتُ أعلم أن والدَيَّ جان كانا أملي الوحيد، أهل الخير. وها أنا مستقلٌّ على فراشي القديم العزيز مثل الابن الضال.

يفتح جودموندور الباب، تعبّره أبوي صارم... وجهٌ أحمر وشعرٌ أبيض. من المحتمل أنه مَدِينٌ بلون وجهه لأيامه الشيطانية. يمسك كرسيًا ويجلس بجانب الفراش. قميصه أزرق فاتح الآن، وربطة عنقه وردية. "انظر. كنّا نتحدث في الأمر... عنكَ. وهناك احتمالان. رقم واحد: هو أن نبخ عنك الشرطة، ورقم اثنين: هو أن نعتني بك. لكن هذا صعب للغاية".

يتوقّف برهة ويتنهد ويداعب وجهه الطويل بيده اليمنى.

"إنه أمر خطير بالنسبة لنا".

"آه..." أغغم من تحت القماش المبلّل.

"اتّصلتُ أيضًا بصديقي بوريور".

"آهه؟".

"ويقول إنه ربما يمكنه مساعدتك أيضًا".

وقفة.

"هل تريد مساعدتنا؟ هل تريد منّا مساعدتك؟".

"آه" أومئ بأم.

"لكن لا يمكننا القيام بذلك إلا إذا فعلتَ شيئًا واحدًا".

"آه، آه، هاه؟".

"عليكَ أن تعترف بإيمانك بيسوع المسيح وتنضمَّ إلينا في كنيسة الله الحي".

يومئ تود.

20

علاج تور تشور

2006/05/30 - 2006/05/24

إذا كان النوم هو بَتُّ من السماء، فهناك الكثير من التشويش في الراديو الخاص بي. لا أستطيع النوم. أشياء كثيرة في رأسي الذائب المتألم، الانتحار الفاشل يُشعر بالحزن على الموت الذي لم يحصل عليه.

لديّ شاحنات توصيل تأتي إليّ في كل دقيقة. في لحظة أمارس الحب مع مونيكا في منتصف الطريق، وفي اللحظة التالية تجمّدت شفتاها وصدمني مصدُّ سيارات في مؤخرة رأسي. في إحدى اللحظات أمُرُ بالعملية رقم 23، وفي التالية أقوم بتزيين دار الجنازة الخاصة بي في سمولينسك. من الأفضل أن أستأجر مساحة جميلة بمواجهة الشارع، وأعطي النوافذ بأحرف كبيرة على الطراز الأمريكي:

"وكيلك المفضل- أفضل صديق للموت" وربما إضافة بعض التوصيات من العملاء الراضين.

"نعش ممتاز وأظافر صلبة. بفضل إيجور سأرقد بسلام- فلاديمير فيدوروڤ (1932-2006)".

أقوم بدور المومياء مستلقيًا على ظهري، ساكن تمامًا، مثل فيدوروڤ في قبره. كل حركة صغيرة تجلب الألم. وحين نزل جودموندور طلبت منه بعض الأسبرين.
"ربيع؟".

"لا، أسبرين. دواء. مُسكِّنات".

"أوه فِهمتُ، لا أنا آسف. ليس لدينا. الرب مُسكِّننا".

ثم مرة أخرى ابتسامته الغبية. أنا في بلاد الأُميش⁽¹⁾.

لم يجرؤوا على لمس بنطالي الجينز؛ لذلك ارتديته أثناء نومي. لا يزال هاتفي الخلوي في الجيب الأيمن، ومن وقت لآخر يمكنني سماع اتصال جان، تجذب اهتزازات الهاتف جاره في الجانب الآخر من الجيب بقوة، لكنني أضعف من أن أمكِّن من إخراجِه، وحتى لو استطعتُ، فلن أرغب في الرَّد. لا أريدها أن ترائي الآن.

ربما كان الوقت بعد الظهر عندما وصل تورتشور. يدخل الغرفة البيضاء كطبيبٍ بحقيبة صغيرة، وشعر مُمَشَّط إلى الوراء، ونظارات لينون السمبكة. إنه ينظر إليَّ مباشرة في عينيَّ ويتحدَّث إليَّ بصوتٍ أَمِرٍ كصوت الله ذاته.

"أنت أكبر الخُطاة. يجب أن تعرف أنك قتلتَ رسولَ كتاب الله المقدَّس، واهبَ الكلمة الحيَّة المقدَّس. لقد ارتكبتَ أبشعَ الجرائم. هل نحن مُتَّفِقون على هذا؟ هل تعترف بجريمتك وخطيئتك؟".

(1) Amish: طائفة مسيحية تقليدية في الولايات المتحدة، لهم أصول سويسرية ألمانية، ويرفض أتباعها العديد من تقنيات الحياة العصرية باعتبارها هرطقة.

أومئ كمومياء.

"هل يمكنك أن تضع اعترافك المقدس على لسانك الشيطاني؟".

"نعم... نعم، أعترف، أنا مخطئ" يعلن رجل الفيل بضَعْفٍ من خلال شفّتيه المطّاطيتين السّميكَة.

"وقاتل".

"نعم، قاتل".

"أنتَ القاتل الحقيقي للأب فريندلي، أخونا الحبيب ومُخلّص الملايين والله على ما أقول شهيد؟".

"نعم. قتلْتُ الأب فريندلي. لم يكن هذا جيّدًا".

"لم يكن جيّدًا؟ لا، لم تكن تستحقُّ حتى أن تكون في نفس الغرفة التي يعيش فيها. صديقاَي العزِيزان هنا -جودموندور وسيجريور- يخاطران بالكثير لإنقاذ روحك الضائعة، وأنا كذلك. نحن جميعًا نخاطر بشكل كبير، يجب أن تعلم ذلك. إنهما يخاطران بوظيفتيهما، ويخاطران بسُمتَهما ومحطّتهما التلفزيونية ومنزلهما وسيارتهما وكل شيء".

يقف الزوجان الطيبان خلفه بعيون كبيرة وشفاه فخورة.

"لكن إنقاذ روح واحدة في ملكوت السماوات... إنقاذ روح واحدة، على الرغم من أنها أخطر روح، كما هي حقًا... إنقاذ روح واحدة يستحقُّ كل سيارة چيب، وكل بيت، وكل وظيفة. مثل المؤمنين الحقيقيين بإيمان الله الحي، يؤمنون بأسمى مراتب الحب والتسامح، باتِّباع المثلّال الصالح ليسوع المسيح، فهم على استعداد لتقديم محبّتهما ومغفرتَهما، حتى في مواجهة ألدِّ أعدائهم. لذلك يجب أن تعلم أنك مدين لهم بحياتك لبقية أيامك وبقية الوقت. لأن السماء تعلم أن اللطف المقدم في وجه الشر، والمخاطرة بحياته، هو عطية

تدوم إلى الأبد، إلى الأبد. هدية لا يمكن إرجاعها والله على ما أقول شهيد. دعونا نصلي".

يُصلُّون لي ولروحي الضائعة. لأستعيدها يجب أن أستلقي هنا لمدة سبعة أيام وسبع ليال، وخلال هذا الوقت يجب أن أصوم. يُسمح لي بكوب واحد من الماء المقدس يوميًا. فقط بالتخلُّص من احتياجات الجسد تخلُّص الروح، ويؤكد لي تورتشور وهو يخطط الجرح على جبهتي بإبرة حياكة وخيط سميك. يُدكّرني ذلك عندما قام والدي بتخييط جرح صغير في رجلي في نهاية حافلة مدرسيّة قديمة في أولى ليالي الحرب. نفس التركيز الصامت والقوي على الوجه العريض الملتحي. جودموندور يساعد سيكريدر على إبقاء التزييف بعيدًا عن الكتان الأبيض.

"لأنه فتح جروحه وترك دم المسيح مُخلِّصه الرُّب ينساب من السماء على جسده".

يتذمّر تورتشور وهو يربط العقدة على جبهتي. سيكون الصيام على ما يُرام إذا لم أشم رائحة طبخهم في الطابق السفلي، إنها قصّة العطر والانتصاب مرّة أخرى. أرشف القليل من كوب الماء الخاص بي، في محاولة لجعله يدوم طوال اليوم. تورتشور طاغية. لم يتبق شيء في معدتي على الإطلاق باستثناء الأسنان المكسورة التي تقضم ذنبي.

بفضل ذلك، فإن علاج تورتشور يسير بشكل جيد. لقد كان لديّ الوقت لإلقاء نظرة خاطفة على كل ثقبٍ فتحته في حياة الناس. في عقلي تتبّع كل رصاصاتي في حناجر الناس، في رؤوس الناس وفي المستقيم. وأشعر بالأسف، فقد أطلقتها جميعًا في الاتجاه المعاكس؛ ممّا جعلها تعود إلى مصدرها، لتفتح مائة ثقبٍ في رأسي، فيتحوّل إلى دُش تنساب منه كل ذنوبي المميّنة، وتُصدِر هسهسةً، مختلطة بالدم والبول والقىء والبراز.

في اليوم السابع، ظهرت جان في منزل والديها. لا يمكنك أن تغفل بعض الجدل الضخم بينها وبين والديها، يتبعه عواء لاذع يبدو بطريقة ما أنه جزء من مكالمة هاتفية. لا بُدَّ وأن هناك أزمة في العلاقات الثنائية. لن نأتي إلى هنا أبدًا بدون سبب، أو ربما أنا السبب.

بعد محادثة طويلة بين الأم وابنتها في الطابق السفلي، سمعتهما يصعدان السلم.

تفتح سيكريدر الباب إلى غرفتي ببطء شديد، وتسمح للجَمال ذي العيون الحمراء بالداخل. من عادي أن أشفق معدي، على الرغم من أنه ليست هناك حاجة ماسة لذلك؛ إذ لم مُلأ منذ أسبوع على ما أعتقد، بالإضافة إلى أن ملءة سرير سمكة جدًا.

تنزلق جان هولدر إلى سريرى، وتبدو متفاجئة بعض الشيء من تنكّري كمومياء. يملأ وجهها عيني، عيني الجائعة حتى الموت، التي لم ترَ أي شيء لذيذ منذ أسبوع الآن. أنا حقًا أرغب في التهامها، ظلّت والدتها عند الباب بوجه صارم تخبرني أنها ليست لطيفة معي: هذه ليست ساعة زيارة. يبدو أنها تستخدمني لإصلاح الرابطة المكسورة بينها وبين جان، فالسّماح للفتاة أن تكشف عن سرّها الكبير قد يساعدها في استعادة احترامها المفقود لوالديها. حقيقة أنها مُعرض سرًا قاتلٍ شرطيّ مكسور الأنف مطلوبًا في بلدان مختلفة حول العالم يمكن أن تجعلها أكثر إثارة، وهذا جيّد بالنسبة لي. يمكنني أن أكون مُخلصهم. رائع. يبدو أن العلاج يجري بشكل جيد جدًا.

يرنُّ هاتف المنزل في الطابق السفلي، فتختفي سيكريدر لفترة، لقد تركنا وحدنا، أنا وجان التي تبكي.

همست بصوتٍ واهن: "مرحبًا". إنها النغمة التي يستخدمها الناس عند دخولهم منازلهم المهجورة بعد الإصرار.

"مرحبًا".

"كنتُ أتصل بك".

"أنا أعرف".

استعدتُ قدرتي على التحدث إلى حدٍّ ما.

"كيف حالك؟" تسأل.

"أشعر بالجوع".

تضحك.

"لماذا تركتَ منزلنا؟ ماذا حدث؟".

"لقد... تلقَّيتُ بعض الأخبار السيئة".

"ما الأخبار؟".

"لقد قتلوا حبيبتي".

"حبيبتك؟ مَنْ؟".

"المافيا. إمَّا نحن أو الطليان".

"لا، أعني... لديك حبيبة؟".

"كان لديّ. لقد قتلوها".

"حسنًا. نعم... بالتوفيق".

"بالتوفيق؟".

"نعم، كان لديك حبيبة، لم أكن أعرف ذلك".

"ولا أنا".

"ماذا تقصد؟".

"كنّا فقط، كما تعلمين، نتواعد".

"لمدة؟".

"سنة ونصف".

"هذه مدة تُوَهَّل لزواجٍ في هذا البلد. حتى متى تُعْتَبَر المواعدة طويلة في أمريكا؟".

"إلى الأبد، على ما أعتقد، لكنها تصبح أكثر جدِّيَّةً بعض الشيء في سنِّ الخامسة والثلاثين، عندما تحصلين على حقوق الميراث".

تضحك قليلاً.

"ماذا كان اسمها؟".

"حبيبتي؟ مونيتا".

"مونيتا؟ كيف كانت تبدو؟".

"كانت... ممتلئة".

هذه هي السَّنُ في بطني تتحدث.

"ممتلئة؟".

"نعم، كانت... كانت مثل... طبقٍ رئيسي".

تنظر شقراء الزبدة إليَّ كما لو أن مشاكلي ليست جسدِيَّةً فقط. أقول لأسنانِي أن تصمت.

تقول: "حسنًا"، وهي تُرْطِب شفيتها الشرابات بلسانها المصنوع من الفراولة.

"لكنَّ شخصًا ما أَكَلَهَا، أَكَلُوا جسدَهَا، لكنهم تركوا رأسها في الثلاجة، تركوه لي".

صمت قصير هنا، ثم تسأل مثل الطبيب الذي يختبر سلامةَ عقلٍ مريضه: "وَأَنْتِ أَحْبَبْتَهَا؟".

"لا، ليس حينها. لكني أحبها الآن، على ما أعتقد".

الموت دواء الحب. لم أكن أعرف أنني أحببتُ والدي إلا بعد وفاته.

صمتت جان لبعض الوقت حتى مالت ووضعت شفتيها نصف المطهوءة على شفتي؛ ممّا يخلق واحدة من أغرب المشاعر في حياتي. في وقت قياسي، أحتاج إلى ترتيب بعض مفاوضات المائدة المستديرة بين القضيبي والمعدة. الأوغاد الجياع، يدعي كلاهما الحق في القبلية.

قبل أن ينتهي الأمر المذهل، تمكّنتُ من إجبارهما على الاتفاق، واقفاً بينهما مثل بيل كلينتون في حديقة مُشمسة في البيت الأبيض، يترأس المصافحة الشهيرة لرابين وعرفات. تُرى أيُّهم يلعب دور القضيبي؟

تعيد وضع الضمادة على أنفي.

"لدى والديّ خُطة كبيرة من أجلك، إنهما متحمّسان للغاية. يبدو الأمر كما لو أنك ممثّل تحديًا في حياتهم".

"موافق. من الأفضل ألا أخذلهم".

"لا، على الأقل لا تقتلهم".

تعجبني هذه الفتاة.

"ماذا عنك أنت وتراستر؟".

"تُشاجِرنا. لقد كان أسبوعًا جنونيًا".

"حسنًا".

"سأنام هنا الليلة، في غرفتي القديمة، لأول مرة منذ ست سنوات أو شيء من هذا القبيل. بوريور قادم غدًا".

"أوه؟ وقت التعذيب⁽¹⁾؟".

تضحك.

"نعم، سأأخذك إلى كنيسته".

"أوه؟".

"نعم، يقول والدي: عليك أن تمرّ عبر بوابات الجحيم أو شيء من هذا القبيل".

يا للخراء المقدّس.

(1) يستخدم الكاتب هنا اسم Torture، والذي يعني أيضًا "تعذيب".

أبواب جَهَنَّمَ

2006/05/31

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثانية.

أقف على الأرض المغطاة بالسجاد في كنيسة الرجل الملتحي، مع
ضمادة كبيرة على جبهتي وسِنٌّ مفقودة. لكن الثَّورُم زال، وكاحلي
أصبح يحتمل، وكتفي الأيمن يصرخ قليلاً وحسب. لا بُدَّ أنني خسرتُ
عشرين رَطلًا. إن الصوم بالنسبة للمعدة الخجولة علاج نفسي.

جعلوني أرقد في صندوق السيارة أثناء قيادتهم إلى هناك. هؤلاء
الرجال لهم احترامامي الكامل. أنا لا أفهم حقًا، لماذا يبذلون كل هذا
الجهد من أجل قاتل صديقهم. لماذا لا يرسلونني مباشرة إلى الجحيم؟
أو ربما هذا هو؟

"أبواب جهنم".

الكنيسة فارغة. ذهب السيد ت إلى مكتبه، وعاد في رداء أبيض مضحك، بالإضافة إلى أنه حافي القدمين. يرتدي حول خصره حزامًا أسود، وإذا يقترب أستطيع أن أرى أن هذا في الواقع زي كاراتيه- كاريوكي. شيء ياباني على الأقل. إنه يعطي الإيحاء بأنه جانج هو⁽¹⁾ النسخة المثلثية، مقاتل حافي القدمين يرتدي رداء نسائيًا.

يخبرني تورثشور أن أتبعه في الردهة. يوجد على يمين المدخل باب أحمر غامق، ندخل غرفة مُربَّعة تبلغ مساحتها حوالي خمس عشرة قدمًا مُربَّعة. على الأقل السقف مرتفع والجدران بيضاء مع نوافذ صغيرة في الأعلى. يوجد عمود مُربَّع أبيض صلب في منتصف الغرفة، الأرضية مُغطاة بمراتب بأغطية بلاستيكية حمراء داكنة، تفوح من الهواء رائحة العَرَق القديم.

"أخلع حذاءك وقميصك وسروالك" قال بينما كان يغلق الباب ويضيء الأنوار.

أنا هنا من أجل اغتصاب رجولي، على الطريقة اليابانية.

"كما سَمِعتَ، العالمُ منقسم إلى قسمين: الجنة والنار. يفصل بينهما سور النار العظيم، إنه يمتدُّ بطول الطريق من عدن حتى يومنا هذا، من أعماق أحلك مناجم الفحم إلى أطراف أصابع الكون. لا يمكن لأي طائر أن يطير فوقه. لا يمكن للأسماك السباحة تحته، لا يمكن لأحد أن يمرَّ من خلاله!" فجأة صرخ قبل أن يهمس: "لكن هناك بوابة!"

يمشي في دائرة كبيرة حول العمود، يتنَفَّس بصعوبة، ويبدو الأمر إلى حدٍّ كبير وكأنه مجنون في فيلم. أخلع معظم ملابسي وأضعها في زاوية. حتى إنني أستطيع أن أشمَّ رائحة الملابس الداخلية التي

(1) Joe G.J. شخصية خيالية من سلسلة الرسوم المتحركة جي. آي. جو: لعبة بطل أمريكي حقيقي.

كنت أرديها منذ أيام، ألبسة ماركة جو بيضاء وسوداء من مجموعة السيد ماك الرائعة. يواصل تورتشور حديثه:

"الآن، أنت تعرف البوابة الذهبية، أليس كذلك؟ يعتقد الناس أنه يمكنهم دخول البوابة الذهبية. حتى أعتى الخطاة يظن أن بوسعه دخول البوابة الذهبية، الأمر ليس كذلك" كما يقول، وهو يلوح بسبابته في الهواء. إنه يمشي بسرعة كبيرة الآن، يدور حول الغرفة وحولي "ليس كذلك. يعتقد الناس أنهم يذهبون إلى الجنة أو الجحيم عندما يموتون.. ليس صحيحًا، هم هناك بالفعل! أنت هناك بالفعل. إما أن تكون في الجنة أو في الجحيم، لا يوجد موقعٌ وَسَطٌ، لا مواربة في الأمر، لا حلول وسط! وأنت يا صديقي أنت في الجحيم! والآن بعد أن أردت الذهاب إلى الجنة، عليك أولاً مغادرة الجحيم لتتمكن من دخول البوابة الذهبية، عليك أولاً الخروج من أبواب الجحيم!".

فجأة أصبح أبيضًا:

"أخبرني، توميسلاف... يا صديقي العزيز توميسلاف... أخبرني لماذا كل المداخل الفاخرة، مثل تلك التي تراها في البنوك والكنائس، مثل تلك الموجودة هنا على سبيل المثال... لماذا لديهم جميعًا بابان؟ لماذا تمّ بناؤها جميعًا بأبواب مزدوجة؟".

"لا أعرف. حتى لا يسهل... الهروب؟".

"حتى لا يختلط الهواء في الخارج مع الهواء في الداخل. الأول يُغلق قبل أن يفتح الثاني. إنه نظام مثالي. وينطبق نفس المبدأ على البوابتين: الذهبية والمشتعلة. لن ترغب في دخول هواء الجحيم الذي يحرق الأنف إلى داخل جثتنا المكيفة؛ لذا عليك الآن أن تمرّ عبر أبواب الجحيم!" يصرخ مثل جنرال صربي منتشيًا بالبارود قبل أن يقفز نحوي فجأة على طريقة چاكي شان، ويصيح ببعض هراء الكاراتيه، ويركلني

بقوة في وجهي بقدمه اليمنى. تنفجر شفتاي وكأنه اصطدام ببالون مليء بالدماء.

ما هذا بحق اللعنة!

ثم جاء إليّ من الخلف، وضربني في مؤخرة رأسي بيده القوية. أسقط على الأرض، أرى بقع الدم على المراتب. أنا نصف خارج هذا العالم وداخل تلك البوابات اللعينة، عندما أمسكني مُفجّر الكتاب المُقدّس من أذناي وبدأ يسكب حمضه المبارك فيهما:

"أنتَ أيّها الوغد البلقاني يا ابن العاهرة! أنتَ لا تستحق شيئاً بحق اللعنة! أنت قاتِلٌ قَذِرٌ وطينٌ مَوْجِلٌ! أنت خُثالة الأرض القذرة! أنت شيطانُ كُلِّ الشياطين! أنت وغدّ الكون!"

يرفعني من أذني، ثم يضربني برأسه مرّة أخرى بجبهته التوراتية؛ لذلك أنا على وشك أن يُقضى عليّ، أزحف في دمي، فيركلني في فخذي. ركلني مرّة أخرى ثم ألقي بجسده الثقيل فوقي، مثل مصارع يرتدي لباساً بحمالات رفيعة في ماديسون سكوير جاردن. يضع ذراعه اليمنى حول حلقي ويلوي رأسي بيده اليسرى. اللعنة. أنا أتعرّض للضرب من قِبَل كاهن.

لا يمكنني السماح بحدوث ذلك.

يرتفع الجندي العجوز الطيب من جيش هرفاتسكا⁽¹⁾ في أعماقي، مثل تيتو من قبره، ويمضي مباشرة إلى العمل. في لحظة ذهب ضِعفي العقلي والجسدي. في ومضة استولت على جسدي الذي يتضوّر جوعاً قُوّة خنزيرٍ بَرِيٍّ جائع. أعصّ يده حتى العظم، وأطرح اللعين عن ظهري بحركة دائرية سريعة من عمودي الفقري. هبط على الأرض متألمًا بشدّة، وهبطت فوقه.

أضع يديَّ حول رقبته وأترك القبضة تشدُّ مثل حبل المشنقة.
أنا على وشك إسكاته نهائياً عندما ظهر الرفيق تيتو أمامي فجأة.
إنه يرتدي زي الجنرال القديم المحبَّب، ويمسك برأس مونيتا. أغمض
عينيَّ وأهزُّ رأسي. أعدتُ فتحهما فلم يبرحَا مكانيهما: رئيس وقائد.
القائد والرئيس. أحكم قبضتي على رقبة تورتشور، وتُصبح الصورة
أكثر وضوحاً. أرخي قليلاً فتختفي الصورة.

أحكم قبضتي مرَّةً أخرى فتظهر الصورة مُجدِّداً. إنها مثل تلك
الألعاب البلاستيكية التي تُصدر صريراً عند الضغط عليها. ماذا
يُفترض أن يعني؟ رأس حياتي مع رأس حبي.

يشعر تورتشور بارتباكٍ ويعود إلى الحياة، ويبدأ في سحب يدي
بعيداً عن رقبته. عندما تمكَّن من فك يدي اليسرى، تشتبك بنظارته
فتطير من وجهه. نسيْتُ على الفور تيتو وعُدْتُ للعمل على ضحيتي
المقدَّسة، أستعيد قبضتي على حلقه، حتى تمكَّنتُ بقوة غاشمة من
تحويل رأسه من الأحمر إلى الأرجواني، ومن البنفسجي إلى الشاحب،
ومن الشاحب إلى الأبيض. أنا لا أنظر لأعلى، ولا أجروُّ على النظر، لكنَّ
شخصاً ما يواصل التَّنصُّت عليّ: فجأة يصبح وجه تورتشور وجه أبي.
يشبهه تماماً بدون النظارات. فجأة أمسك بأبي من رقبته.
اللعة.

أتركه على الفور، وأقفز على قدمي، وأهرع إلى الزاوية، ابتعدتُ
عن الرُّجُل لألتقط أنفاسي، والدم ينزف من مخاطبي أثناء تنفُّسي
بصوتٍ عالٍ.

ما هذا بحق اللعة.

سبعة أيام من إنقاذ الأرواح لم تثمر عن شيء. انتهى أسبوع الصيام
بقتل خنزيرٍ بَرِّيٍّ، مات المولود من جديد مرَّةً أخرى. كوني قاتِل

كَاهِنَيْن لا يبدو مُشْجَعًا في طلبي للحصول على الجنة، ولكن كوني قَاتِلَ ثلاثة سيقضي على فرصتي بالتأكيد.

أَمْضَيْتُ بضع لحظات أخرى في الجحيم قبل أن أشعر ببعض الحركة على المراتب البلاستيكية المغطاة خلفي. يرتفع الحيوان المقدس ببطء. "توميسلاف بوكشيتش" الصوت متقطع ولكنه درامي للغاية.

"توميسلاف بوكشيتش... جندي البلقان" يبدو أنه استحفظ دروسه جيدًا. "لا يمكنني التغلب عليك في لعبتك الخاصة؛ لذلك من الأفضل أن نجربها".

يمسك بكتفي ويديرني. عادت النظارات إلى وجهه وظهرت في خديه بعض الألوان، لكن ثوبه الملطخ بالدماء في حالة اضطراب كبير. يتنفس قليلاً فأرحب بهذه الحقيقة.

قال لي وصفعني على وجهي: "أنت ابن عاهرة كرواتي... أيها الابن الصغير لعاهرة كرواتية مجنونة!" يمسك كتفي. "مَنْ تظنُّ حالك؟ هاه؟ هل تعتقد أنك شيء أكثر من مجرد قملة صغيرة رديئة تزحف على أرضية المطبخ في ملكوت الله، مع لهب جهنمي صغير على ظهره؟ يا لك من أحمق!".

يدفعني ولا ألتفاعل. لقد دفعني إلى الوراء في جميع أنحاء الغرفة، ويداه على كتفي، وقدماه ترتجحان من الإرهاق. إنه يستخدمني كعكازات يُعَلَّق عليها بنطاله الداخلي. يتكلّم مثل سيّير: "أيها الأحمق اللعين، أنت ابن مجنون أحمق صربي كرواتي".

"كرواتي".

"اصمِتْ بحق اللعنة!".

يتوقّف. نقف مكتوفي الأيدي في مواجهة بعضنا البعض، ثم يسأل بطريقة أكثر هدوءًا: "كم عدد الأشخاص الذين قتلتهم؟".

"إيه.. كم؟ مائة وعشرون أو شيء كهذا؟".

"مائة وعشرون أو شيء كهذا؟".

"نعم. لست متأكدًا تمامًا".

"ماذا تقصد؟ ألا تحسبهم؟ أنت لا تحسبهم مثل ما لديك من نساء؟ كم عدد نسائك؟".

"لا أعرف، هل أحسب المومسات؟".

"أحسب المومسات؟ ليس لدي اليوم بطوله".

"إذن، لست متأكدًا، ستون... سبعون ربما...".

"ستون... سبعون؟ لقد قتلت من الناس أكثر مما كنت تنام معهن؟ أنت أسوأ مما كنت تعتقد".

"لكنني لم أقتل عاهرة قط".

"ماذا؟".

"أعني... امرأة. لم أقتل امرأة قط".

"لم تقتل امرأة قط؟".

"لا... حسنًا، نعم، كان بعض الأشخاص في الحرب من النساء، لكن لم تكن هذه مشكلة".

"ليست مشكلة؟".

"لقد أمرنا بإطلاق النار. كان مثل إطلاق النار على الغزلان، أطلق النار أو يُطلق عليك، كان هذا خيارنا الوحيد".

وقفة. يلقي نظرة طويلة عليّ ثم يقول بصوت عالٍ: "هل تعرف ماذا فعلت؟".

"نعم أعرف".

"هل تندم علي هذا؟".

"نعم".

"لقد قَتَلتَ الناس".

"نعم" ز

"لقد حَمَلتَ بين يديك قُوَّةَ الله".

"أنت تعني...؟".

"وهذه خطيئة. خطيئة كُلِّ الذنوب".

"تقصد... الله... يقتل الناس أو...؟".

"إنه يخلق ويقتل، ويملك ويحكم! يجب أن تطيع ولا تخون! بماذا شعرت؟".

"شعرتُ بماذا؟".

"ما شعورك عندما تقتل شخصًا ما؟".

"إنه... يبدو وكأنه...".

"نعم؟".

"إنه شعورٌ... كرازة".

"ماذا؟".

"بلى. يجعلك تشعر بالقوة، أنت المقتدِر".

"هراء. تعتقد أنك تمسك بزمام الأمور، بينما يتمُّ التَّحَكُّمُ بك من قبل... مَنْ كان الأول؟".

"ماذا؟".

"مَنْ كان أوَّلَ ضحاياك؟".

"عمليتي الأولى؟".

"نعم. ما هي أول عملية لك؟"

ينطلق ذهني إلى أسفل قائمتي بسرعة صاروخ حَامِلٍ للطائرات يغادر الخليج الفارسي، عبر الأرضيات الخرسانية والبوابات الحديدية الصْدِئَة، وصولًا إلى الطابق السُّفْلِي حيث تنبعث رائحة الظلام والرائحة القائمة، فُتِحَ نَعْشٌ قديم مُتَعَفِّنٌ يرقد في رُكْنٍ رَطْبٍ ومغبر.

أقول: "والدي".

"أبوك؟".

"نعم".

"قتلت والدك؟".

"نعم".

قتلت والدي. ربما كان يجب أن أذكر هذا من قبل.

"قتلت والدك؟".

"نعم".

"قتلت والدك؟".

"نعم. لكن لا أحد يعرف".

"لا أحد يعرف؟".

"لا. لم أخبر أحدًا، لم يَرَهُ أحدٌ".

"لم يَرَهُ أحدٌ؟ الله يرى كل شيء! القتل هو القتل، بَغْضُ النظر مَنْ كان. والأب، الأب هو الأب دائمًا. كيف يُمَكِّنُكَ أن تفعل ذلك؟ كيف بحق الجحيم اللعين استطعت أن تقتل والدك؟".

"أنا... كان...".

"نعم؟ كان ماذا؟ دَمُكَ الساخن مُبرَّدٌ بالثلج من ثَلَاجة الشيطان؟".

"لقد كان حادًّا".

لم أتحَدَّثَ عن هذا من قبل، ومجرد التفكير في الأمر -خاصَّةً في وجود هذا الرجل- كان يكفي لأن أجنو على ركبتي. أركع أمامه مثل فارسٍ شبه عارٍ أمام مَلِكِيَّة ذات الرداء الأبيض التي تدعه يتحسَّس سيفها.

"حدث؟ لكنَّكَ قَتَلْتَهُ؟".

"نعم ولكن...".

"ولكن ماذا؟".

"لقد كان خطأه".

"خطأه؟".

"نعم لأن...".

أنا في نهاية بطاريتي، مثل جرعة من السُّمِّ تَمَّ توقيتها على العمل بعد خمسة عشر عامًا من استهلاكها، استولى سِرِّي الكبير فجأة على جسدي وأسقطني.

أستلقي عند أقدام تورنشور.

"ماذا؟ بسبب ماذا؟".

"لأن...".

لقد أَصِبْتُ بنوبة سعال، ممزوجة بصراخ لم أكن أعرف أنني أحمله بداخلي، لا بُدَّ وأنني أبدو مثل قَقَمَةٍ رَضِيعٍ تُضْرَبُ بمضرب بيسبول. يستمع إليَّ برهة ثم ينهي المشهد:

"لقد قَتَلْتَ والدك. حفظ الله روحك".

أستطيع أن أشعر أنه يضع قدمه العارية على ظهري المرتعش،
مثل جنرال منتصر على عدوّه الذي سقط. يبدو بطريقة ما أن
هذه اللفتة تهدئ صراخي قليلاً. لكن بدلاً من ذلك، لديّ شعور
قوي للغاية بالجوع، جوع بحاجة إلى بوفيه مفتوح. أريد أن أركض
في الكنيسة، حتى المذبح، وأبدأ في قضم الصليب الخشبي الكبير مثل
حصانٍ يانس.

أشعر بريح خفيفة ولطيفة من صنّع الإنسان في أذني اليسرى.
إمّا جاءت من خلفيّة تورتشور، أو أنه نسيمٌ ناتجٌ عن رسمه لإشارة
الصليب على جسدي التّعس.

يُرَدّد "حفظ الله روحك... إن استطاع".

وليعطني شيئاً لا كلّه، إن استطاع.

أرض الأب

2006/05/31

وهكذا أخرج من بوابات الجحيم، حاملاً جُثة أبي العزيز النخيفة، قارعاً جرس الباب الذهبي الضخم. يسمح لي الله بالانتظار قليلاً. أعتقد أن طلبتي يجب أن تتم الموافقة عليه من قبل لجنة الحالات الصعبة قبل أن يصله.

في هذه الأثناء، أخذني تورتشور إلى منزله، وهو منزل أبيض ضخم على تلة قريبة من كنيسته، ووضعتني في مكان خالٍ من النوافذ في قبو منزله، لا يزوره إلا هو وزوجته. يقولان لي إن لديهما ثلاثة أطفال، لا أراهم ولا أسمعهم.

يبدو أنهم يقضون أيامهم في صمتٍ في قراءة الكتاب المقدس، مثلي تمامًا. يختار الواعظ كل صباح ثلاثة فصول من المفترض أن أقرأها في

ذلك اليوم. "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟".

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثالثة.

سلاح تورتشور السري زوجته هانا. إنها كلاسيكية تمامًا.

تبدو مثله: امرأة متينة البنيان ذات بشرة ناعمة، ونجاعيد جلدية خفيفة، ومظهر مُحَقِّظ، وصوت لطيف. تتحرك بصمت حول المنزل، مرتدية قمصانًا عديمة اللون وتنانير طويلة، وشعرها أشيب طويل مثل ذيل الحصان دون لمسة مكياج واحدة.

إذا كان هناك برنامج تلفزيوني يُسمَّى ملكة جمال أمنا الأرض، فحتمًا سيزورها بطاقم تصوير أمريكي كامل بالأضواء والعدسات. يشعر المرء أن شعرها ينمو قديمًا كل يوم، وأنها تقصُّه كل ليلة قبل الذهاب إلى الفراش، وأنها تحلب ثدييها كل صباح، وتضع ما تحتاجه الأسرة في الثلاجة، ولكنها تتبرَّع بالباقي لصندوق الحليب التابع لـ ن.م.ص.ك (النساء المهنيات ذوات الصناديق الكربونية).

تتحدَّث الإنجليزية بلهجة أثقل قليلًا من الأيسلندية، كما لو كانت تنتمي إلى أمةٍ الينابيع الساخنة. إنها تشبه الجبل خلف الرجل أكثر من كونها "المرأة خلف الرجل". إنها بلد الرعاية المسيحية الذي يُمثِّله زوجها، سفير الانتقام بطريقته الخرقاء.

عيب هانا الكبير هو رائحة فمها الكريهة بشكل لا يُصدَّق، والتي لا تتماشى مع ردود أفعالها الحسنة بشكل لا يُصدَّق. ربما ينبع ذلك من مقدار الإحباط الديني الذي كان عليها أن تبتلعه على مرَّ السنين. لا يمكن أن يكون الزواج من تورتشور أمرًا سهلًا.

ومع ذلك، إذا كانت المرأة الوحيدة في فصيلتنا وكُنَّا عالقين في الجبال لمدة شهر، كنْتُ سأبدأ بالحلم بها في اليوم السابع.

الإفطار هو شريحة من الخبز المصنوع منزليًا، أقبَلها قبل الأكل، وكوب من الحليب الذي ما زِلْتُ أمل أنه منزليٌّ أيضًا.

الغداء هو نفسه تمامًا، لكن العشاء دائمًا لحم، خروف أو عجل أو مُهر. أنا واثق أن بعض هذه الحيوانات ذَبَحها تورثشور في مرآب منزله. لقد عُدْتُ إلى العهد القديم. في رعاية سارة زوجة إبراهيم. غرقتي بلا نوافذ، وسريري خَشَن، وكتابي هو الكتاب المقدس، وأيامي بسيطة، والليالي تزداد هدوءًا.

يبدو أن العلاج يعمل.

لقد تخلَّصْتُ من مئات الزيارات، وتبَقَّت واحدة فقط. كل يوم، يأتي ملاكي الحارس الذي يرتدي نظارةً، إلى الطابق السفلي، ويستمع لمدة نصف ساعة. شهوته للعنف منبعها ديني، لكنَّ عينيه المجنونتين هِدَاتًا قليلًا. أو ربَّما اعتدَّت عليهما. أخبرني عن أساليبه المبتكرة.

"لديَّ الحزام الأسود في كلِّ من الجودو والكاراتيه. هذا هو المكان الذي أتيتُ منه. لم أقابل الله حتى التقيت بزوجتي عندما كنتُ في الخامسة والثلاثين. دائمًا أعتبر أنني تزوجْتُ من الإله يقول الرَّجُل الملتحي بضحكة لطيفة. أعتقد أنني بدأت أفهم حديثه عن ختان القلب. ربَّما يكون الأمر حاسمًا عندما تكون مُتزوجًا من الإله يضحك أكثر قليلًا ويضيف: "كنت محظوظًا".

بطريقة ما تبدو ضحكته مصطنعة قليلًا. كما لو أنه تعلَّمها في مدرسة الوعظ؛ لإثارة على خطابه بضحكات مكتومة قصيرة من حين لآخر. "لا، أنا فقط أضع معرفتي وخبرتي في خدمة الرب. لدينا قول مأثور في الأيسلندية مفاده أنه عليك معاربة الشرِّ بالشرِّ".

وإذ أمرُّ على كارثة حياتي بهدوء وحذر، أحاول دفنها ببطء. أحاول دفن والدي بشكلٍ لائق. يبدو الأمر كما أخبرني ذاك الفنَّان ذات

مرة في مطعمٍ قَدِيرٍ صغيرٍ في الجانب الشرقي: لقد ظلَّ يرسم صورة الشخص الذي لم يرغب في رؤيته مجددًا.

"الأمر كإخراج القمامة يا رجل" قال إنه كان يمرُّ بطلاق صعب، ولم يرسم سوى زوجته السابقة. لوحات عارية كبيرة وفظيعة. لمدة خمسة عشر عامًا حملتُ هذا الشيء بداخلي.

منذ خمسة عشر عامًا، كان والدي المتوفَّى هو الطفل الذي لم يولد بعدُ، كنت أحمله في رحمي. أعتقد أن هذا هو السبب في أنني كنتُ دائمًا بديئًا. لكن بولادتي الأخيرة يمكنني التوقُّف عن العيش مثل النعامة المحشَّوة بالعار. كانت الولادة مؤلمة للغاية، لكن قابلتي كانت رائعة: كاهن أيسلندي يرتدي زي الكاراتيه.

يشبه المولود الجديد هذا:

كان ذلك في نهاية الأسبوع الأول لي بالزي الرسمي. لقد تطوَّعنا للهجوم الكبير في الشرق، أنا وأبي وداريو، بعد فترة وجيزة من سقوط فوكوفار. كانت مهمَّتنا هي عبور نهر الفوكا، لكنهم لم يرغبوا في خروج أسرتي كاملة في الخطوط الأمامية؛ فأخبروني أن أبقى. "وافنا بالأخبار وأطلق النَّارَ على كل وغدٍ تراه".

أمضيتُ الليلة الباردة مع بندقيتي التي لم أستخدمها، وأسنان تصرُّ، أعتنني بثلاث خيامٍ وسيارة جيب. كنت أسمع من بعيد أصوات البنادق تتجادل مثل الحشرات الغاضبة. شعلة غير مقصودة من شأنها أن تضيء الغابة المقفرة. كان أبي وأخي في الخارج يؤذيان واجباتهما الوطنية في طين الغابة الباردة. حاولت جاهدًا أن أميز بين ضوضاء بنادقنا وبنادق الصرب، على أمل أن تُسكِّت الأولى الأخيرة. لكن بالطبع كنَّا جميعًا نستخدم نفس الأسلحة اللعينة. في مكانٍ ما ليس بعيدًا، كان ثمة أحرق سمين ينام على مرتبةٍ مُريحَةٍ مصنوعة من أرباح الحرب.

أخيراً بدأ الثلج يتساقط. رقائق سميكه وثقيلة، كما لو كانت مليئةً بالتراب بالفعل. أمسكتُ إحداها بطرف لساني وكان مذاقها طيناً.

مع اقتراب الفجر، سمعتُ صوتًا أعقبه حفيفٌ بين الشجيرات. لقد تفاعلتُ على الفور، وأطلقتُ أولَ تسديدة "رجوليّة". فوجئت بردّ فعلي السّريع والحازم، لكنه قوِيلَ بالصّمت، بدا أن تسديدي أصابت. ومع ذلك، أمسكتُ على الزناد لمدة نصف ساعة؛ لدواعي السلامة، أشاهد رقاقات الثلج تتساقط على البندقية وعلى يدي، فتشكّل ثلجًا صغيراً على البرميل، لكنها تذوب على بشرتي. ثم ظننتُ أنني سمعتُ هذا الصوت مرة أخرى، بعض الهمهمة المنخفضة في الأدغال. أطلقتُ رصاصةً أخرى. لم يردّوا، لكن الهمهمة الخافتة لم تتوقّف. بقيتُ ساكنًا لمدة نصف ساعة أخرى، أطلقتُ النَّارَ مرّتين أخريين، لكن الصوت ظل يتسلّل؛ لذلك زحفتُ مثل ثعبانٍ مُتخفٍ إلى الأدغال.

أخيراً، استطعت أن أجد جُثّة مدفونة في الأغصان العارية، يُكلّم نفسه. يبدو أنه كان يرتدي زيّنا الرسمي. صرختُ مُحدّراً قبل أن أهرع عبر الشجيرات، البندقية أولاً.

وجدت والدي مستلقياً هناك بقلبي دام. كان الجزء السفلي من جسده مُغطّى بالثلج، وكان ساقيه مِيتان بالفعل. وجهه شاحب وعيناه بحجم البيض الذي انكسر فور رؤيتي. تمكّن من الهمس بالنصف الأول من اسمي، ثم رحل.

أطلقتُ النار على والدي وتركته يرقد مثل غزالٍ جريح في الأدغال لمدة ساعة، وهو يثرثر بحياته بعيداً. عندما استمعت إليه أخيراً، لم يتبقّ منه سوى نصف كلمة "تود..." الشيء الذي أصبحتُ عليه.

لقد كانت بمثابة لعنة.

فَجُرْتُ عَنْ طَرِيقِ الْخَطَا النُّصَفَ الثَّانِي مِنْ اسْمِي. وَالنُّصَفَ
الْأَفْضَلَ مِنْ حَيَاتِي.

وَقَفْتُ هُنَاكَ لِبُضْعِ دَقَائِقٍ، أَحَدُ قِيَامِي فِي وَجْهِ يُشْبِهُ وَجْهِي لِلْغَايَةِ.
اسْتَمَرَّ تَسَاقُطُ الثَّلُوجِ، وَشَاهَدْتُ الرِّقَاقِ تَكْفُفٌ بِبَطْءٍ عَنِ التَّحَوُّلِ إِلَى
مَاءٍ عَلَى جَبِينِ أَبِي وَوَجْنَتَيْهِ، وَبَدَأَتْ تُكَوِّنُ أَكْوَامًا صَغِيرَةً حَوْلَ عَيْنَيْهِ
الصَّارِخَتَيْنِ. لَقَدْ فُوجِئْتُ بِمَدَى سُرْعَةِ تَحَوُّلِ دَفْنِهِ الْأَبْوِيِّ الْبَارِدِ. لَمْ
أَتَمَكَّنْ مِنْ مَلْسِهِ، لَقَدْ ابْتَعَدْتُ عَلَى الْفُورِ عَنْ جَسَدِهِ، تَارِكًا عَيْنَيْهِ
الْكَبِيرَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ لِأَيِّ تَأْوِيلٍ.
لَمْ أَبْكْ.

عِنْدَمَا أَعْلَمُونِي بِخَبَرِ وَالِدِي، أَخْبَرُونِي أَنَّ أَخِي دَارِيو مَاتَ أَيْضًا
مَوْتًا بَطُولِيًّا. كَالْعَادَةِ، كَانَ فِي مَوْضِعِ الْهَجُومِ عِنْدَمَا لَقِيَ مَصِيرَهُ، رَكَضٌ
مِثْلَ عَدَاءٍ حَامَايَكِي نَحْوِ الرُّمَحِ الصُّرْبِيِّ الَّذِي انْطَلَقَ صَوْبَ قَلْبِهِ. كَانَ
هَذَا مِنْ صَمِيمِ دَارِيو.

قَالُوا إِنَّ وَالِدِي شَهِدَ وَفَاتِهِ وَأَنَّهُ أُصِيبَ بِالْجُنُونِ عَلَى الْفُورِ. أَلْقَى
بِنَفْسِهِ عَلَى جُثَّتِهِ ثُمَّ فَجْأَةً بَدَأَ يَصْرُخُ بِاسْمِي "تُومُو! تُومُو!" قَبْلَ أَنْ
يَعُودَ إِلَى مَرْكَزِنَا بِدُونِ بِنْدَقِيَّتِهِ.

"أَوْه؟" قُلْتُ لَزِمَلَائِي الْجُنُودِ، وَأَوْمَأْتُ بِرَأْسِي عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَكَأَنَّهُمْ
يُخْبِرُونَنِي بِنَتَائِجِ بَعْضِ مَبَارِيَاتِ كُرَةِ الْقَدَمِ. "لَكِنْ مَاذَا عَنِ الْمَعْرَكَةِ؟"
"أَخَذْنَا ضَفَّةَ النَّهْرِ. نَحْنُ نَمْتَلِكُ ضَفَّةَ النَّهْرِ الْآنَ."

لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ النَّهَرَ اللَّعِينِ. إِنَّهُ مَرِيعٌ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

صَنَعَ فِي أَيْسلندا

2006/06/6

أيدي هانا الكبيرة بيضاء بشكل لا يُصدّق. أكثر شحوبًا من ذراعيها. يبدو الأمر كما لو كانت ترتدي قفّازات بيضاء. تتحرك أصابعها الطويلة والقوية بهدوء وبسرعة شديدة للغاية ولكن صامتة. بالكاد تُسمع أي ضوضاء بينما تحمل صحنني وكوبي الفارغ.

أمي عكسها تمامًا. عندما كانت تغسل الأطباق، شعرتُ دائمًا أن هناك فرقة بانك تتدرب في المطبخ. ربما لم يمنحها بابا الجنس الكافي. إذا كان هذا هو السبب؛ فلا بُدَّ وأن تورتشور مُتحمّظٌ في السرير.

"هل تشعر بتحمّس؟" تسألني بصوتها الأسري الذي بدا كالنبذ الأحمر في أذني، لكنه فاسدٌ في أنفي.

"نعم".

"هذا جيد".

لسببٍ غامض، تثق بي بنسبة مائة بالمائة، تقول أغلب الوقت "سأكون جور" ⁽¹⁾ يعني "الخير" و"الشَّفاء".

قرأتُ مرَّةً أخرى قصة شاول، الرجل المقدَّس العصامي من طرسوس في تركيا. إنها نفس القصة التي قالها جودموندور لجمهوره بشكلٍ عفويٍّ أوَّل ليلة لي في أيسلندا، والآن أصبحتُ أساسَ شفائي كما يقول تورثشور. فهمتُ مقصده. هذا الرجل مثلي؛ فقد غيَّر اسمه أيضًا، ولديه مثلي ماضٍ دموي. ولكنه أصبح القديس بولس "أبو الكنيسة". أنا متأكَّد من أنني سأصبح القديس توم، أبو شيء ما. أمل ألا تكون كنيسة، رغم ذلك.

في منتصف أسبوعي الثاني في قبو تورثشر، أحضرت لي هانا خطابًا بعد العشاء. وضَّعته برفق على صدري، بابتسامةٍ تجعَّد لها جلدُها حول عينيها، وقالت: "اقرأها" قبل أن تجمع أواني الطعام الفارغة بصمتٍ من مائدة سريري وتعود إلى الطابق العلوي، ويتأرجح ذيل حصانها الضخم خلف ظهرها، فوق مؤخَّرتها الدائرية الصُّلبة.

أفتح الرسالة، إنها مكتوبة بخطِّ اليد. لا بريد إلكتروني في بيت إبراهيم. خطُّ يَدٍ جميل، حبر أزرق. "عزيزي ثوردور" إنها كتابة الأب فريندلي، من منزله في فيرجينيا، في أكتوبر الماضي.

"اسمح لي أن أبدأ بتوجيه جزيل الشُّكر لك على كلماتك الرقيقة وعلى دعوتكم لزيارة أيسلندا. إن فكرة القدوم إلى جزيرتك الغربية، والتي سمعتُ عنها الكثير من الأشياء الرائعة، مثيرة للغاية، على أقل تقدير.

(1) Góður - بالأيسلندية في الأصل

أخبرتني صديقي العزيز القس كارل سيمونسن عن عملك الممتاز نيابةً عن الرب، وأنا على عِلمٍ بمحطّة تلفزيون صديقك إنجلبرتسون. سيسعدني تقديم بعض العروض هناك.

لذلك، فإنه يؤسفني أن أبلغكم أنني بسبب وضعي الشخصي؛ لا يمكنني قبول عرضكم الجيد. في الشهر الماضي، تعرّضت زوجتي چودي لحادث سيرٍ مُروّع، وستدخل المستشفى للأشهر الثلاثة القادمة على الأقل. كما تفهم، هذا الوضع المُحزن يمنعني من السفر في الوقت الحالي. لقد أُجِلْتُ كل شيء يشمل الطيران حتى أوائل الربيع العام المقبل.

من فضلك اكتب لي مرّةً أخرى في عام 2006.

محترف لكن ودود⁽¹⁾. الأخ المشغول.

يا له من رجل بئس. كوفئ بالموت لبقائه بجوار فراش موت زوجته. يا لها من قسوة مني.

يُرفق بالرسالة صورةٌ ملوّنة مَوْقَّعة تُظهر عائلة فريندلي واقفة أمام منزل أبيض كبير يمكن أن يكون إمّا كنيسةهم أو منزلهم أو كليهما. ها هو ضحيتي الأصلع ذو الياقة البيضاء حول رقبتة وزوجته الشفراء المبتهجة چودي بجانبه، المرأة التي تزوّجتها لمدة ثلاثين كاملتين في سيارة جودموندور في وقتٍ سابقٍ من هذا الربيع.

إنها جميلة بعض الشيء بلمحة جنوبية، يمكن أن تشبه والدّة لورا ديرن المحفوظة جيّدًا. من طراز اليوم السابع. يقف الزوجان بفخرٍ وراء طفلين يبلغان من العمر حوالي عشر وثمانين سنوات. واحد أسود والآخر أبيض. يجلس هذا الأخير على كرسيٍّ مُتحرّك، ومثل باقي النساء الأمريكيات دون غرهن، تبتسم السيدة فريندلي بشدّة، لدرجة

(1) استخدام مزدوج لـ Friendly.

أنها لا تستطيع رؤية الكاميرا. لقد أعماها النعيم. في الواقع، يتسمون جميعًا بنفس الحماس كما لو كانوا يُصمّمون كُتَيِّبًا لأفضل فندق في الجنة، والطفل ذو الإعاقة ابتسامته ذات إعاقة، لمسة خيبة أمل من الحياة بشكل عام.

ألخص انطباعي عن القِسِّ ديفيد فريندلي من الخطاب والمظهر. لا يبدو لي ذلك الإنجيلي الجنوبي المعتاد، محتال المسيح، بطريقة ما يبدو صادقًا. أعتقد أنه لم يكن يستحق أن يموت في سن الأربعين. على الرغم من كل ما لديه من رهاب المثلية. يتغلب مُخلِّص الأرواح على صانع الأرامل تحت أي ظرف، بالإضافة إلى أنه لديه طفل مشلول، وطفل آخر تمّ تبنيّه، والآن أصبح الأطفال أيتامًا، بلا أب أو أم، ومخلوقات صغيرة بلا أم. ربما ينبغي عليّ أن أعرض تبنيهم.

في اليوم التالي، شَدَدَت هانا على كل شيء. "هل قرأت الرسالة وشاهدت الصورة؟".

"نعم. فعلت".

"لقد كان رَجُلًا صالحًا" تقول بعينين متغضنتين، وبدون أدنى تلميح من الاتهام في صوتها.

"وفَقَدَ زوجته؟".

قالت "لا". "لقد تعرَّضت لحادثٍ، وهي مش... ماذا تطلق عليها؟".

"مشلولة؟".

"نعم. إنها على كرسي متحرك".

"لكن جودموندور أخبرني أنها ماتت".

"لا لا. لقد كادت أن تموت لكنها تتحسَّن، على ما أعتقد".

"ولديهما طفلان؟".

"نعم. لديهما طفلان بالتَّبَنِّي، الأصغر من جامبيا، والآخر على كرسيٍّ مُتحرِّكٍ أيضًا".

لا. بحقِّ الجحيم! الشخص المصاب بالشَّلل مُتَبَنِّي أيضًا. إلى أي مدى يمكن أن تكون مُقدَّسًا؟ والآن هناك العديد من الكراسي المتحرِّكة في العائلة... "ربما تريد أن تكتب لهم؟" تواصل السيدة تورثشور.

"نعم ممكن".

"لا تخبرهم مَنْ أنت بالطبع، فقط قُل إنَّكَ تعرف الأب فريندلي كواعِظ، وأنَّكَ سمعت عن وفاته، وأنك آسف".

تتوقَّف، وتبادل النظرات، أنا وأُمنا الأرض.

وتضيف: "إذا كنتَ كذلك".

"نعم، بالطبع أنا آسف".

"هذا جيد، أنت تتحسَّن".

وهنا يأتي الجزء المُفضَّل. تداعب خدي بيدها البيضاء الكبيرة. بأصابعها القوية الناعمة. إذا كان هذا فيلمًا، فسألتقطها بذراعي كتوم كروز وسنتبادل القُبْل كشخصين يأكلان الجريب فروت الأول بعد أسبوع في الصحراء، وبعد ذلك كنتُ سأمرِّق ملابسها، وبعد لقطة واحدة سنمارس حُبًا دينيًّا على فراشي من العهد القديم. سيكون الفيلم بعنوان "ثالوثيات"، ويحتوي على مُثلث حبٍّ بين الخاطن والكاهن وزوجته.

"أعتقد أنه قد يفيدك أن تكتب لهم رسالة".

"موافق. سأفكر في هذا".

في الواقع، يجب أن أكتب أيضًا لِسِتَّةٍ وستين أرملة. يجب أن أكتب لهم جميعًا خطابَ آسفٍ مُوَحَّد:

ببالغ الأسف والحزن أكتب لأبلغك أنني أنا من قتل زوجك. بالطبع أعلم ألا شيء يمكن أن يحل محل حب حياتك، وبغض النظر عن مدى عمق أسفي، فلن يتمكن أبداً من إعادته إلى الحياة.

مع ذلك، أريدك أن تحاولي فهم وضعي.

في وقت التخلص من زوجك كنت قاتلاً مُحترفاً في منظمة وطنية مُعينة. كان القتل رزقي. بين عامي 2000 و2006 قتلْتُ 67 رجلاً. كان زوجك واحداً فقط من بين كثيرين.

السيد(...) كان عملية رقم (#...).

يمكنني أن أوكد لك أن وفاته كانت من بين أكثر الأحداث التي لا تُنسى في قائمتي. كان زوجك رجلاً طيباً. مات بكرامة كبيرة، ولم يشك على الإطلاق من مصيره.

ومع ذلك، إنه لمن دواعي سروري البالغ أن أبلغكم أنني قررت الآن شق طريق جديد في غابة الحياة. اعتباراً من مايو 2006، سأترك صناعة القتل، من المؤكد أن إطلاق النار على الأشخاص من أصعب الوظائف التي يمكن أن تجدها.

الضغط الجسدي والضغط النفسي عالٍ جداً.

والآن اكتفيت بمنتهى البساطة.

لذلك أستطيع أن أوكد لك، في حال وجدت نفسك شريكاً جديداً (وأريد أن أهتلك، إذا كان الأمر كذلك)، لن أقتل زوجك مرةً أخرى.

المخلص

توميسلاف بوكشيتش.

هذه آخر مرة أستخدم فيها اسم والدي. إنه ميت الآن.

لم تكن محاولة انتحاري فاشلة تمامًا.

نفسى الجديدة لها اسم جديد. بعد قتل اثنين من الكهنة، تعمّدتُ من قِبَل اثنين آخرين.

"صباح الخير سيد ألفسون!" يقول جودمونور وهو يظهر فجأة في نهاية أسبوع اختبائي الثاني مبتسمًا حتى ظهرت أسنانه. أعطاني جوازَ سَفَرٍ أيسلندي جديد، عليه وجهي ورقم الضمان الاجتماعي الأيسلندي الخاص بي المسمّى كينيتالا. لقد تمّ إحيائي باسم "توماس ليوفر أولافسون" يضحك الواعظان عندما يشاهداني أقرؤه. إنهما لا يستطيعان السيطرة على أنفسهما. لا أعرف بالضبط لماذا، لكنهما يريان الأمر مُضحكًا للغاية.

"توماس ليوفر أولافسون تهانينا! أنت أيسلندي الآن! عليك أن تتعلّم الأيسلندية!" يكاد جودمونودور يصرخ.

أفحص جواز السفر، يبدو سليمًا تمامًا، أكثر من ذلك الصيني الذي زوّرته لإيجور.

"كيف لك...؟ من أين حصلت عليه؟" أسألها.

"إنه مصنوع في أيسلندا! صنّع يدوي!"

بالكاد يستطيع جودمونودور التّحكّم في فرحته، ولا يمكنه إخفاء الفخر الهائل الذي يشعر به لقدرته على تدبير هذه القطعة الأثرية غير القانونية.

"لديّ صديق في الشرطة" قال لي وغمز لي بابتساماتٍ سَمِجَة: "وآخر في حزب سياسي".

أريد أن أركض إلى الخارج وأضحك على نفسي حتى الموت. لا يوجد شيء مُضحك في هذا العالم أكثر من قيام رجال دينٍ بأمور غير قانونية.

إنهما يُصدران جولةً أخرى من الضحك عندما يطلبان مني أن أقول اسمي الجديد. "توماس... ليفور ر" هي محاولتي الأولى، ومنطقية تمامًا بالنسبة لي. يبدو أن "توماش ليو فر" يشبه ذلك إلى حدٍّ كبير. لقد جعلاني أقول ذلك حوالي عشر مرات قبل أن يستعدًّا لتبلييل شعري اللطيف بماء الصنبور الذي يجعله تورتشور مُقدَّسًا بمباركة وابتسامة. إنهما يقضيان أجمل أيام حياتهما.

"في الواقع، كان يجب أن تكون توماس ليفور بوجاسون".

يشرح تورتشور. "هذه هي الترجمة المباشرة لاسمك الكرواتي، ولفترة طويلة كان هذا هو التقليد هنا في أيسلندا. أجبر المهاجرون على اتّخاذ اسمٍ أيسلندي كان عادةً ترجمةً أو نسخةً من الاسم الأصلي. لكننا لا نريد المخاطرة بأي شيء، أليس كذلك؟ لذلك توصلنا إلى هذا الأمر.

أولفسون تعني "ابن أولف"، وهذا هو اسم رئيسنا".

هذا هو اسمه الأول. هؤلاء الرجال لا يستخدمون أسماء العائلة. لا يزال الأيسلنديون يتبعون تقليد الفايكنج؛ إذ يشتقون الأسماء الثانية لأطفالهم من اسم والدهم الأول. إذا كان لديّ أطفال، فسيحصلون على الاسم الرائع والجذاب تومسون (فتى) أو توماسدوتير (فتاة).

أطلب من قسيساي الحصول على نسخةٍ أسهل من اسمي الجديد، وبعد تفكيرهما لبعض الوقت، يتوصلان لاسم تومي أولافس.

فندق هاردورك

2006/06/13

لكي أحصل على جواز سفري غير القانوني، وضعوني في مسكن غير قانوني بالقرب من كنيسة تورتشور. إنه مبنى حديث وجميل يضم متجر أثاث فاخر في الطابق الأرضي، وبعض العمال المهاجرين ذوي مظهر رث في الطابق الأول.

أدخل إلى العالم السفلي الأيسلندي. يبدو أننا قمنا بتبديل الأدوار، أنا وأصدقائي الملقّدين. رجل جودموندور من الحزب السياسي، وهو رجل ذو أنف كبير بلا رقبة تقريباً يُدعى جود في⁽¹⁾ (لا علاقة له بالجريح) لديه نظرة العصبية الدوليين في عينيه، والتي يصعب شرحها للقارئ البريء، لكن زميله لا يمكنه أن يفوت هذه الملاحظة. تلك العيون شهدت كثيراً من الحياة وبعضاً من الموت.

(1) Good knee: أو الركبة الصالحة.

يسرع إلى المدخل بعد خروجه من سيارته السوداء رباعية الدفع كثيرة الكدمات، وهو رجل بدين أشعثٌ يبلغ من العمر خمسين عامًا، يرتدي سُرَّةً واقية زرقاء داكنة تبدو كبيرة الحجم، ولكن بنظرة فاحصة، يزيد وزنه مع جيوب مليئة بالمفاتيح (والمسدسات؟). أخرج عشرات المفاتيح وجرب ثلاثة منهم قبل أن يجد المفتاح المناسب.

يقدمني جودموندور، وأبدو سخيًا للغاية، مثل أبٍ فخورٍ يوصي بابنه لمدرّب كرة قدم مشهور.

برمقني جود في بضجرٍ لثانية ويغمغم بالأيسلندية "مرحبًا" قبل أن نمضي إلى المدخل الفوضوي الذي تملؤه النشرات الإعلانية الملونة وآثار الأقدام، والصحف المحلية غير المقروءة. نتبعه صعودًا إلى الدرج، ثم نهبط إلى ممرٍ طويل ومقبض تملؤه الأبواب الحديدية كل خمس عشرة قدمًا، يسارًا ويمينًا.

السقف مُرتفعٌ نوعًا ما، يرتفع من المنتصف، أمّا الجدران، كونها بارتفاع ثماني أو تسع أقدام فقط؛ فلا تتصل به. يجلس في مطبخ صغير في نهاية الرواق عدد قليل من الرجال بعيون حمراء وحواجب داكنة، مع قِطْع صغيرة من الخرسانة البيضاء في شعورهم، ويحملون البيرة. ثمة تلفاز صغير على سطح يدوي رخيص، وبجواره موقد كهربائي قديم. تضيء الشاشة ببعض أعمال القتل التي يرتكبها هواة، لكن العُمال لا يشاهدون، يستقبلهم جود في ببضع كلمات غير مسموعة بلغة العصابات.

يجيبه أحدُ العُمال باللغة الانجليزية بلهجة سلافية ثقيلة ويشير إلى أسفل الممر الذي مشينا فيه للتو:

"رقم ثلاثة على اليمين".

هذه زنزانتي. يتعيّن على نجل الرئيس أن يكتفي بمساحة لتخزين قطع الغيار، تمّ تقسيمها إلى أكشاك للنوم فقط بجدران رقيقة من

الورق. السرير عبارة عن أريكة محمولة على بقايا جدار، مع جذوع خشبية مكوّمة على بعضها كأرجل.

لا يوجد شيء آخر في الغرفة باستثناء كرسي مكتب قديم ورخيص، ومصباح بلا إضاءة أو إطار، وملعقة فضية وحيدة ملقاة على الأرضية المتسخة. الجدار المواجه للباب هو في الأساس نافذة واحدة كبيرة تحتها مُبرّد مستطيل. والمنظر من الخارج عبارة عن مبنى مشابه لهذا المبنى، به متاجر في الطابق الأرضي، وأمامه موقف للسيارات. يلقي جودموندور على الفراش كيسًا بلاستيكيًا أسود، يحتوي على بعض الملابس، ويقول لصديقه "هذا جيد" قبل أن يعود إلى بابتسامة من وُلد من جديد:

"أنت تعلم أن بإمكانك دومًا أن تأتي إلى منزلنا لتناول الطعام أو غسل الملابس أو مشاهدة التلفزيون".

شيء لم أسمع والذي يقوله.

يعطيني جود ني المفتاح الصالح، بالإضافة إلى رقم هاتفه الخلوي الثمين في حالة حدوث انتفاضة في الثكنات أو أخذ بعض الرهائن. من الأفضل ألا يعرف هؤلاء الأجانب أنهم يشاركون سقًا مع الابن الوحيد لرئيس أيسلندا. ربما ينبغي لي أن أطلب من جود مون أن يمنح هذا الملك بركة سريعة، لكن الرفيقين الطيبين خرجًا، وها هي حياتي الجديدة تبدأ بحقيقية رياضية صغيرة وكتاب مقدس كبير.

زملائي في السجن هم من بولندا وليتوانيا، بالإضافة إلى شخص بلغاري ذي شعر أسود ناعم اسمه بالاتوف يبدو كقاتل محترف وزميل. إنه حلف وارسو القديم العزيز. حمّامنا الوحيد يُسمّى الضريح. وفقًا لقواعد المنزل، إمّا أن تذهب إلى هناك لترى لينين (الشيء الأصفر) أو ستالين (الشيء البني). ويُسمّون المخيم نفسه فندق الأشغال الشاقة.

عادة ما يعودون إلى المنزل حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً ويرحلون في السابعة، ويتنهدون في الرُدْهة ويركلون بعضهم بأحذيتهم المصنوعة من الصُّلب.

يخبرني بالاتوف: "أنا لستُ عاملاً" يبقى في المنزل طوال اليوم ليستمع إلى روك سوفيتي بصوت عالٍ على جهازه البومبوكس الصغير، ويشاهد التلفاز في المطبخ، ويلعن كل ما يظهر على الشاشة بلُغْتِه الأم. عليّ أن أحرص ألا أكشف أنني أفهم بعض هذه الكلمات.

يؤكد الرجل القادم من البحر الأسود بُسْتَرَة سوداء ولحية سوداء وشعر أسود وحاجبين أسودين فوق عينين سوداوين. يبدو أنه أسود في كل شيء.

"أسود" يخبرني بلُغْتِه الإنجليزية المكوّنة من ثلاثين كلمة كلَّما ظهرت المرأة السوداء الغربية في منتصف إعلان صابون الأسنان الأبيض أثناء النهار. "أنا أضاجع السُّود. إنه جيد".

أغوص في الثلاثة بحثاً عن حاوية الحليب الأبيض.

لا يوجد غيرنا أنا وبالاتوف خلال النهار، إلى جانب الإعلان عن تفضيلاته الجنسيّة ستّ مرات في اليوم، تنبعث منه رائحة مثل روث الحصان المنقوع في الوقود. بالإضافة إلى أنه يستغلُّ كلَّ فرصة ليجعلك رفيقَه في المنافسة.

"أعرض صورة سوداء... في الغرفة... تعال" يبدو الأمر وكأنك عالقٌ مع مَرٍ على متن قارب صغير في وسط المحيط الهندي. عليك أن تفكر في كل خطوة تقوم بها. أقوم بتهريب وجبات الغداء الخاصة بي بصمتٍ من المطبخ، وأذهب لأرى لينين فقط عندما أسمع الموسيقى من جهازه البومباكس. أقضي ساعات في زفزانتي محاولاً بشدّة أن أفصل كتابات الأنبياء عن الأصوات الرائعة لأفضل أغاني الهيفي ميتال

البلغارية التي تشبه بطريقةٍ ما الفِرَقَ الموسيقية المبتدئة في أركنساس أو الإكوادور.

يبدو أن موسيقيي الروك المُشْعِرِينَ في هذا العالم ينتمون إلى أُمَّةٍ واحدة، على الرغم من انتشارهم في جميع أنحاء الأرض. إنهم يهود الغد.

لكنَّ السيد القادم من البحر الأسود لن يقتنع بأ.ق.أ الخاص بي كإشارة. يقرع بابي اللعين، ردُّ فعلي الفوري هو البحث عن مسدسي. أفقده مثلما يفتقد عاملُ النظافة ممسحته.

"هل لديك كريم حفظ"⁽¹⁾ يسألني.

"أتمنى".

"ما هو؟".

"لا، أنا آسف، ليس لدي أيُّ منه".

"سأحفظ الوجه".

"أرى. أحسنت".

"أنتَ أيسلندا؟".

"آه، حسنًا... جزئيًا. أنا نصف أيسلندي".

هذا البلد يمتصُّني مثل البركان في الاتجاه المعاكس. أحضر لي الشتاء وسأستيقظ بوجه كرة الثلج وأنف مرصوف بالحصى.

"أنت لا تعمل؟".

ماذا بعد؟ سيَسأل عن جواز سفري؟ يسأل عن جود ني وجودموندور، أجب بإيجازٍ وعَيْنَيْنِ مثبتتين على قَمَّةِ جمجمته، والتي

(1) يتحدث الانجليزية بصعوبة، وهنا يقصد كريم حلاقة.

تظهر من خلال شَعْره الأسود مثل رأس طفل يندفع من مهبلٍ كثيف الشَّعر.

"جود ني والأب فريندلي" يقول بضحكة قصيرة، وكأن هذا هو الشيء الذي يسعى وراءه حقًا، ثم نعود إلى لونه المفضَّل. "أنت تضاجع السود؟".

"إيه... نعم. فعلت".

"جيد؟" يقول بابتسامة مُقرَّزة تنفجر في ضحك شرير. "جيد!" ويضحك بطول المسافة إلى زنزانته. "الأسود جيّد".

سأسأل تورنشور إذا كان علاجه يسمح بارتكاب جريمة قتل صغيرة أخيرة.

في ليلة السبت يظهر جود ني مع صندوق من الورق المقوى مليء بزجاجات فودكا كاد أن يُكتب عليه "مُهَرَّب" ويضعه على طاولة المطبخ، ليشبه إلى حدٍّ كبير مالِك أرض جنوبيًا من القرن التاسع عشر يُحسن معاملة عبيده. لكنه لا يفتحه، فقط يتنهد من خلال أنفه الكبير بأسلوب الشخص المنشغل، ثم يرحل بسُرتِه القصيرة.

أستعدُّ لليلةٍ بلا نوم، لكن لا شيء يحدث إلَّا بعد اليوم التالي. صباح الأحد، يستيقظ البولنديون مبكرًا، وينكبُّون على صندوق الفودكا مثل الجراد على قصب السكر. بحلول الظُّهر كانوا يغنون أغانيهم البولكا في المطبخ ويصيحون "توماسز".

أتظاهر أنني ميّت عندما طرَقوا الباب. ميّت كما أردتُ أن أكون.

يستغربون أن يعيش رجلٌ أيسلندي في مكان مثل هذا. لطالما كان فندق الشاقَّة مُخصَّصًا للعمال الأجانب فقط. بالنسبة لهم، لا بُدَّ وأنني ضابط من قوات الأمن الخاصة الذي يقوم طواعية بتسجيل الدخول إلى معسكر أوشفيتز. أحاول التخفيف من حِدَّة

كل هذا وأخبرهم أنني أيسلندي بنسبة 25٪، وأخترت قصّة طويلة ومُملّة عن أب من فريسنو، السيد تشاك أولافسون، الذي كان نصف أيسلندي، والتحق بالجيش، ومات في حرب صغيرة في منطقة البحر الكاريبي خلال عهد ريجان "كانت نيرانًا صديقة، قصّة حزينة"، وأم ألمانية تزوّجت لاحقًا من هذا القسّ الكرواتي وهما يعيشان الآن في فيينا.

"هل تعرفون رابيد وين؟" أسألهم بسرعة.

"نادي كرة قدم؟ صحيح؟ لعب ضمن فريق ليجيا وارساو في العام الماضي. هل هو ناديك؟".

"نعم. كنتُ في العاشرة من عمري عندما تُوفي والدي، ثم انتقلنا إلى النمسا، عِشْتُ هناك حتى اليوم".

أشرد لفترة وجيزة. لماذا اخترت فيينا؟ ذهبت هناك فقط لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. لكن حصلتُ على أ.ل.ت (أفضل لحظة تدليك) من فتاة مَجَرِيّة أخبرتني أنها كانت في العشرين من عمرها، لكنها بدّت وكأنها في الخمسين. جرّت ثدييها الكبيرين أعلى وأسفل ظهري، كان ذلك شعورًا سَماويًا لا مثيل له، كما لو كانا كرتين إلهيتين أو شيئًا من هذا القبيل.

أعود إلى صوابي وأكمل الفقرة:

"في الواقع، لم أعش في أيسلندا من قبل".

"لكنك تتحدّث الأيسلندية؟" يسأل أحد البولنديين الثلاثة. بطريقة ما يبدو جميعًا كجنود من الحرب العالمية الثانية، يمكن أن يكونوا بدلاء في فيلم حيث يجلسون في الجزء الخلفي من شاحنة عسكرية، على وشك أن يتمّ تفجيرها في المشهد التالي.

"قليلاً... أمي... لا بل جدّي كانت تتحدّث معي باللغة الأيسلندية عندما كنتُ صغيراً".

ابتعدتُ قليلاً. يختفي أحدهم لبعض الوقت ويعود برسالة باللغة الأيسلندية مليئة بأحرف مجنونة: حرف "أ" حُبلى بينما تمارس المد الحب مع حرف الـ "إ"، يطلب مني أن أترجمه له. أخذه إلى رُكني وأجري مكالمة سريعة مع هانا. يستغرق الأمر مني أمداً رغم ذلك لأقرأ لها الكلمات غير المفهومة. اتّضح أنها دعوة بسيطة لافتتاح بعض المباني التي كان الرجل يعمل بها. يقول إنه لا يمكنه الذهاب، إنه مشغول جداً بالعمل في موقع بناءٍ آخر. عُمال المتاجر هؤلاء هم آلات عمل حقيقية. لقد اعتادت أجسادهم على النوم في منتصف الليل والاستيقاظ في السادسة، لدرجة أنهم غير قادرين على النوم في صباح يوم الأحد؛ لذلك لا يمكنهم أن يسكروا ليلة السبت، ولكن عليهم أن يفعلوا ذلك في اليوم التالي. يبدؤون في الساعة صباحاً ويفرغون في الساعة 11 ليلاً.

نادي جراني

2006/06/17

لا بُدَّ وأن هذا هو التأثير الجيد لبالاتوف، ولكن بعد أسبوع في الأشغال الشاقة لا أستطيع التفكير في أي شيء آخر غير الجنس.

تزدحم ساعات قراءة كتابي المقدس بالذكريات والخيالات وأحلام اليقظة. أحيانًا يصطدمون جميعًا في هيئة واحدة، كبيرة، سينيك، حبيبتني من سبلت. حبيبتني الكبيرة في سبلت. يُطلُّ رأسها مرارًا وتكرارًا من بركة فقدان الوعي القذرة، حتى إنني أحلم بها لمدة ثلاث ليالٍ مُتتالية. إنه أمرٌ غريبٌ نوعًا ما؛ لأنها لم تخطر على ذهني حقًا منذ سنوات، على الرغم من أنني أحاول البحث عن اسمها على جوجل من حين لآخر.

كانت سينيك دائمًا مَرِحَةً ومجنونة بعض الشيء، ويتَّجه ثدياها المثلثان إلى الشرق والغرب، وشعرها القصير الأسود يتَّجه لأعلى ولأسفل.

كان لديها وحة سوداء كبيرة على خدّها الأيسر جعلتها تبدو صغيرة مثل بروك شيلدرز⁽¹⁾. كانت شفتاها ممثلتين وناعمتين، لكنّ خدّيها كانا متيبّسَيْن ومائلَيْن. بطريقةٍ ما كنتَ تريد دائماً الضغط عليهم بإصبعك. وعلى الرغم من الغمّازات، فقد أضافا إليها لمحة صبيانية نوعاً ما.

كان لديها أخت أكبر بكثير، وكانت والدتها ذات الشارب كبيرة بما يكفي لتكون جدّتها. زوج والدتها شاعرٌ شديد الإخلاص وغير معروف على الإطلاق. حفظت سينيكا كثيراً من قصائده عن ظهر قلب، وأحياناً كانت تقرأ بعضها لي. لا أعرف لماذا حقاً، لكنني دائماً أنذكر هذه الرسالة التي كتبها أحد أصدقاء زوج والدتها:

"كلّ مَنْ سافر يعرف

أنّ التفاح أحلى في شوارع وساحات المدن الأجنبية"⁽²⁾.

الآن يروق البيتان لقضيبي فقط؛ ممّا يجعله ينهض من عرينه، محاولاً الاستماع. (لدى السيد الساكن بين ساقي أدنّ شعريّة للغاية). أقضي أيامي بين فخذيهما القويّتين شبه الرّجوليين، مُتذكّرين أسلوبها الأخرق في الرقص أو أثناء ممارسة الحب في الصباح الباكر على ذلك الشاطئ في براك. المياها الراكدة الزرقاء، الحصى الأبيض الكبير، وابتسامتها الشريرة...

أنا لا أفهم ذلك حقاً. لقد اتّخذتني سينيكا رهينةً. عن طريق الجنس العزيز الجيد والمتين قبل الحرب. الجنس اليوغوسلافي الوطني. كان لسينيكا أكثر عانةٍ مُشعرة في البحر الأدرياتيكي. (لقد كنت دائماً شجيرة. بالنسبة لي، فإن فكرة فَرْجٍ أنثوي أصلع تشبه شريحة لحم

(1) Brook Shields: ممثلة أمريكية.

(2) بالكرواتية في الأصل.

بدون صلصة. كانت تعاني من ذلك، على حد قولها، لكنني جاهدت لإقناعها بأن الشعر ليس مخيفًا، وأن الشمع البرازيلي بالنسبة للجنس يشبه المطبخ الفرنسي الجديد بالنسبة للطبخ. بلا صلصة لعينة.

أستيقظ وهي فوقتي، وقبل أن أنام ليلاً أذفَس وجهي في عانتها الكثيفة، وأهمهم أغاني أرسين ديديك⁽¹⁾ القديمة. ربما أحنُّ إلى بلدي وحسب.

يبدو أن الرجل الطيب الذي يحمل اسم جود في يشعر بالإحباط، وينتهي أسبوعي من الجنس الوطني بشكلٍ مُلائمٍ عندما يُقرَّر سيد العبيد الطيب نقلَ جميع رعاياه إلى جراني، وهو نادٍ للتعرِّي مدفون في أعماق منطقة صناعية قريبة.

نسير أمام أجسام سيارات صدئة وحاوية زرقاء لا بُدَّ وأنها مليئة بالذَّبَّة المحشوة بالهيوين. في النهاية، هذه مدينة نموذجية في أفلام الجريمة. بمجرد أن اجتزنا الحارس التقليدي ذا الوزن الثقيل، ندخل عالمًا آخر. كانت نفسي الجديدة تفكّر في البقاء في المنزل، ولكن بعد أسبوع تحت مراقبة بالاتوف، رَحِبْتُ برحلة التعرِّي.

لقد بدأتُ أفكّر حقًا في أن رَجَلَ البحر الأسود قد لا يكون الحوت الذي تقطعت به السُّبُل كما يبدو عليه. على الأقل تفوح من أسلوبه في الاستجواب رائحة مكتب التحقيقات الفدرالي.

"السوداء لي، اتفقنا؟" شَدَّد على الليتوانيين بينما كُنَّا نسير على السجادة الحمراء.

أخذتُ نَفَسًا عميقًا إذ أدخل الكهف الصاخب. مرة أخرى، يصعده الشيطان إلى جبل عالٍ جدًا ويُريه أكثر النساء جاذبية في العالم

(1) Arsen Dedić. مغني كرواتي من أصول صربية، ولد عام 1938 وتوفي عام 2015

ومجدهن، ويقول له: يمكنك الحصول عليهنَّ جميعًا الليلة إذا وعدتَ
ألا تقتلهنَّ بعد الاستخدام.

هذا هو الشيطان بالنسبة لي، أو الله وفقًا للظرف الحالي. يسمح
للخاطئ الكبير أن يخطئ بطريقة صغيرة، حيث يُسمح لمدمن
المخدرات بتدخين السجائر بعد إقلاعه عن الهيروين.

على الرغم من أنه لا يزال مبكرًا جدًا (تذكّر أن البولنديين
يسهرون حتى منتصف الليل فقط)، إلا أن النادي مزدحم جدًا.
يبدو أن التصميم قد استند إلى تصوّر مُسلم يبلغ من العمر عشرين
عامًا عن الجنة، حيث الكثير من الخمر، وفتيات نصف عُراة (قد
لا يَكُنَّ جميعهن عذارى رغم ذلك)، والموسيقى الصاخبة المدوّية.
تنطلق أغنية "ثونج" من مكبّرات الصوت، وتسطع شقراء في دائرة
الضوء، تُلَمِّح العامود بأنعم أجزاء جسدها كله. جلس حولها قليل
من العمّال الأجانب، يضعون أصابعهم في أكواب البيرة نصف الفارغة
على حافة المسرح الدائري. بعيدًا، دُفِنَ بعض السُكّان المحليين ذوي
الأنوف الدقيقة والمعدة المملوءة بالبيرة في كراسي ذات مساند عميقة،
مستمتعين ومشدوهين لصحبة راقصات العامود، يبدون هادئين على
نحو مُتوتّر كعادة الرّجال حين يضطرون لإخفاء حماسهم الداخلية.
إنه نادي تَعَرُّ متواضع. يمكن أن تجد مثله في ميامي أو ميونيخ.

يقدم لنا جود في صديقّه الحميم، المالك: رَجُل ذو وجه دائري
كالقمر اسمه أغسطس، على اسم الشهر، ولكنه معروف باسم
"جوستي جرائي". في الواقع يبدو كالجَدَّة السعيدة وهو يُحرّك بطنه
الضّخمة في جميع أنحاء المكان، مع ذقنه المزدوجة الرائعة التي تهتز
من ضحكته السعيدة مثل چيلي ليمون على طبق طائر. لديه بعض
الشّعر الداكن الجميل، ولكن لا توجد علامات على أي مُو في وجنتيه
الناعمتين. أنفه يشبه حصاة صغيرة وردية.

تصلح الجَدَّة أن تكون راقصةً شرقيةً رائعة، بلا شك.

أثناء ذهابه للحصول على القائمة، يشرح رَجُلُنا النكتة حول اسمه: الترجمة الصوتية لـ "جوستي جرائي" ستكون جوستي النحيف، اندهَشْتُ حين اكتشفتُ مثل هذا النادي على هذه الأرض، وتوافقني الرأيَ بعضُ راقصاتِ العامود.

قال جود في لصديقه، بمجرد عودته بقائمة النبيذ، إنما لم نكن نعلم بوجود أماكن مثل هذه في أيسلندا.

"لكنها ليست موجودة!" ينفجر جوستي بصوتٍ عالٍ ويهزُّ مؤخرته المثيرة بضحكة سعيدة. "إنها ليست موجودة!".

توضَّح القائمة أطباقَ اللحوم فقط، عارية أو متوسَّطة العري، البلطيقية، التشيكية، أو على الطريقة الروسية. الأسعار عالية مثل راقصة العامود الصامتة في منتصف المسرح، لكن صديقنا البدين يقدم خصمًا بنسبة خمسين بالمائة لجميع رجال جود ني.

"لأنك تستحقُّها! لأنك تبني أيسلندا الجديدة!" صاح بخذَّين أحمرين وعينين لامعتين.

"ألدِيكَ سوداء" يسأل بالاتوف.

"روسية سوداء؟" يضحك جوستي، ثم يتوقَّف فجأة، ويطرق أصابعه في الهواء.

تظهر أميرة كاريبية نحيفة، فتاة من طراز اليوم الخامس ذات عينين لؤلؤيتين، من زاوية داكنة مثل لون بشرتها، ويطلب رجلُ البحر الأسود على الفور زجاجة من الشمبانيا. أوافق على احتساء بيرة كبيرة، أقف بجوار المشرب، بينما أشاهد أصدقائي يتفرَّقون في كل مكان، كلُّ منهم يُمرِّضُ وحدته الجنسية.

يصدح المكان بأغنية جديدة "الجو حار هنا"⁽¹⁾. إنها أغنية قديمة لكيلي، أو نيلي؟ أو بطن حتى! أضع لساني حيث توجد السنُّ المفقودة وأراقب الراقصة وهي تُمزق لباسها الداخلي الرفيع، ولدينا... عانةٌ من الصُّبار. لقد حوّل چيل چيليت⁽²⁾ الجنسَ إلى عملية جراحية لعبنة. أقول إنها "جمجمة" صامتة مُقارنةً بجميع مَلِكَاي المُشْعِرَات، وأتذكّر غابة مونيتا المطيرة شديدة السّواد. "عليّ أن أفكّر في طبقة الأوزون" هكذا كانت تمزج.

تظهر شببها بجانبني، وتساكني بلغة إنجليزية سيئة عمّا إذا كان بإمكانها "مشاركتي مشروبي". تطلق على نفسها اسم "أنجيل"، وهو اسم بعيد عن مظهرها العَجْرِيّ في المحيط الأطلسي.

أنجيل هي أمّ، ذات شفتين كبيرتين وبشرة داكنة وتدين كبيرين، وهي امرأة صغيرة ترتدي حذاءً بكعبٍ عالٍ. إنها نسخة مثيرة للشفقة من مونيتا، من طراز اليوم السادس، قد تحصل عليها نسختي الأبويّة من توكسيك. لكن على الأقل لا يزال رأسها مُتصلاً بجسدها. أحاول كسب الوقت بالدرشة حول أساييها الثلاثة في مدينة الجريمة، بينما أُمْتَع عينيّ بجمال من طراز اليوم الثالث من لاتقيا في الجانب الآخر من المَشْرَب، والتي تشبه جان بشكلٍ غير مريح.

قصة حياتي.

وحيث تذكّرتُ عرض جوستي السّخيّ، سألتُ أنجيل داكنة البشرة عمّا إذا كان بإمكان المرء أن يطلب تكلمة لوجباته في هذا النادي. "يُمْكِنُكَ" تقول، وتغمز لجان اللاتقية. إنها ترتدي فستاناً من الساتان الأزرق وابتسامة شهية تخفي مجموعة من دعامات الأسنان الثقيلة، وبعض الأعمال اليدوية البلطيقية الممتازة التي تحتاج خصماً أكبر،

(1) Hot in Herre : أصدرها مغني الراب الأمريكي نيلي عام 2002

(2) معجون حلاقة.

لكن لديّ بالفعل خمسون في المائة. لقد وضعت على طاولة البار بطاقتي الائتمانية التي لم أستخدمها بعد، هدية تورنشر لي (مليئة بمساهمات عمّال المتاجر الكادحين لصندوق كنيسته) وشاهدتُ النّادِلة، وهي متعريّة تقاعدت مؤخّراً مع فتحة صدر مُتغضّنة، إذ تستخلص منها ما يعادل إقامة لمدة شهرين في فندق الأشغال الشاقة، مقابل زجاجة مليئة بعشرين دقيقة من الخيال المزدوج. قد تكون هذه أغلى زجاجة في تاريخ البشرية.

أتبع الكعوب الأربعة العالية في زقاق من الستائر. لا بُدّ أن بالاتوف خلف إحداها يحاول جاهداً أن يحتفظ بكرمه الأبيض لآخر رشفة من الشمبانيا السوداء. كلّما تعمّقنا في الكهف؛ أصبح أكثر قتامة، لكن الموسيقى لا تتلاشى على الإطلاق. حان وقت بيونسيه الآن. هي وجاي زي. "عاشق بجنون"⁽¹⁾.

في نهاية الزقاق، تفتح أنجيل ستارة وتقودنا إلى المساحة الخاصة المحجوبة بستار رفيع، والمفروشة بعلبة مناديل "كلينكس" كبيرة ومقعد قابل للّبْسُط مُريح للغاية. الفتاة الشقراء، التي تُسمّي نفسها إينا، تفتح الزجاجة وتملأ كووسنا: ثلاثة كووس شامبانيا كبيرة تساوي راتب والدتي مُقابل وقوفها عشر ساعات في اليوم، ستّة أيام في الأسبوع، لمدة ثلاثة أشهر كاملة في متجر هارديرسكي في سبليت، تنسخ المفاتيح وتبحث عن تلك الخراطيش التي يصعب الحصول عليها عيار 0.765 التي تحتفظ بها في الخلف.

ربما ينبغي أن أخبرها عن هذا الشيء المولود من جديد.

أرمي بنفسي على الكرسي. تبدأ أنجيل في التّحرّك، لكن إينا تركع بجانبني وتبدأ في فرك ركبتَي اليسرى. لا بُدّ وأنه طلب من جود ني. تبدو المتعريّة ضائعة بدون عامودها، مثل رافع العامود بدون

(1) Crazy in love. غنتها المغنية الأمريكية بيونسيه عام 2003

أداته. لكن مَنْ سينتقد الرقص عندما يتعلّق الأمرُ بالتّعريّ؟ ليس أنا على الأقل، على الرغم من أن الساكن بين ساقي لا يزال غير متأثر. ترحيبه ليس حارّاً، يجب أن أقلق. لقد اشتريتُ له أغلى موعد في حياته، وأول شطيرة له منذ سنوات وأفضلها. يلجأ قلبي إلى صرّافي المتاجر الكادحين، الأعضاء المتبرعين في كنيسة تورتشور. لا يمكنني ترك مساهماتهم تذهب سُدى.

الساكن لا تقنعه حججي.

لستُ أفهم، في الماضي تمّ رفعُ علَم رجولتي بنجاح من قِبَل عددٍ لا يُحصَى من جنود الجنس، لكنه الآن يتحوّل إلى لوطيّ. لا بُدّ وأنها قراءة الكتاب المُقدّس. أستدعي فريقَي الخيالي، نخبة خلايا عقلي، ومساعدة كأس شامبانيا آخر، تمكّنتُ من تحويل الفتاتين بالكامل إلى نسخة مُقرّصة من جان ومونيتا.

أخيراً، بينما تُخرج السّمراء ثدييها التوأمين، وتخلع الشقراء فستانها، وتكشف عن جسم نحيف وشبيه بجان في ملابس داخلية لذيدة، أشعر بمقدّمات انتصاب. أقف على قدمي وأبدأ في الرقص البطيء مع سيّدتيّ حياتي. تجلب صورة القاتل المولود من جديد وهو يرقص على صوت بيونسيه الابتسامة على وجهيهما، ومهدّ جان يدها لتُعزّز القوة بالأسفل. تعمل مساعدات التنمية من لاتفيا مثل السحر، والآن تتركّز كلّ مخاوفي على تقويم الأسنان. إنه يخيفني. يمكن أن يصيبني.

سواء كان بسبب رغبتني في التّحقّق من حدّته، أو الشعور الجيد الذي تبعثه يد الفتاة، أو تشابّهما الوثيق مع ملكة الثلج الخاصة بي، أو ببساطة النبيذ الفوّار. فقد انجرفْتُ لفترةٍ وجيزة جدّاً مُحاولاً تقبيلها بشكلٍ دَمَوِيٍّ، مثل كاهنٍ لعين في بيت دعاة لعين في قرنٍ ما.

سرعان ما أبعدتُ رأسها عن شفّتي لتزيل يدها عن منفرج ساقي المثير للشفقة. إنها مثل صفعة على الوجه. من عاداتي القديمة أن

أَصِلْ تَلْقَائِيًّا إِلَى حَلِّ الْمَشْكَلَاتِ شَبَهَ التَّلْقَائِيَّةِ، لَكِنْ لَا شَيْءَ بِالطَّبْعِ، وَلَا خِيَارَ آخَرَ لَدَيَّ سِوَى الْإِبْتِعَادِ.

وإِذَا أُسْرِعَ فِي الزَّقَاقِ، وَتَنَفَّتَحَ السَّائِرُ قَلِيلًا أَثْنَاءَ مَرُورِي بِهَا، نَظَرْتُ خَلْفِي وَرَأَيْتُ رَجَالًا يَرْقُدُونَ فِي مَقَاعِدَ قَابِلَةٍ لِلْبَسْطِ، وَتَعْتَنِي بِهِمْ نِسَاءٌ نِصْفٌ عَارِيَّاتٌ. يَجْثِينَ بِجَانِبِهِمْ مِثْلَ الْأَرَامِلِ يَبْكِينَ أَزْوَاجَهُنَّ الْمُتَوَفِينَ. أَبْتَعِدُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَشْرَبِ، أُلُوحٌ لِلنَّادِلَةِ وَأَسْأَلُهَا عَمَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ الْحَصُولِ عَلَى كَيْسٍ بِقَايَا طَعَامٍ.

"مَاذَا؟"

"كَيْسَ بِقَايَا طَعَامٍ!"

اللَّعْنَةُ. أَنَا غَاضِبٌ جَدًّا.

"لِمَاذَا؟"

"لَمْ أُسْتَطِعْ إِنْهَاءَ الْوَجِبَةِ الَّتِي دَفَعْتُ ثَمَنَهَا لِلتَّو!"

"مَاذَا؟ الْوَجِبَةُ؟"

"لَقَدْ دَفَعْتُ مُقَابِلَ مَدَاعِبَتَيْنِ! أُرِيدُ مَدَاعِبَتَيْنِ فِي كَيْسٍ بِقَايَا طَعَامٍ!"

لَا بُدَّ وَأَنْ صَوْتِي غَطَّى عَلَى بِيُونَسِيهِ وَجَايَ زِي فِي مِمَارَسَتِهِمُ الصَّاخِبَةَ لِلْحُبِّ؛ لِأَنَّنِي فَجَاءَةً أَصْبَحْتُ مَرَكَزَ اهْتِمَامِ الْجَمِيعِ. حَتَّى الرَّاqَصَةُ عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ تَوَقَّفَتْ عَنِ الرَّقْصِ. ظَهَرَ جُودٌ فِي مَنْ كُرْسِيِّ قَرِيبٍ، تَلَاهُ جُوسْتِي النَّحِيفُ. وَإِذَا يَقْتَرِبُ، يُلُوحُ بِيَدِهِ كَقَائِدِ كُرَةِ قَدَمٍ يَحَاوِلُ مَنَعَ زَمِيلٍ فِي الْفَرِيقِ مِنْ تَلْقَائِي الْبَطَاقَةَ الْحُمْرَاءَ. إِنَّهُ عَلَى وَشْكَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا مَا، لَكِنِّي لَنْ أَسْمَعَهُ. سَأَرْحَلُ.

26

الجزّار

2006/06/21

طلبت من جودموندور أن يُدبّر لي وظيفة. أرجوك... الكتاب المقدّس لا بأس به، لكن لا يمكنني قضاء عشر ساعات في اليوم مُنكبّاً عليه. أنا لستُ راهبًا. بالإضافة إلى أنني مدينٌ لتورتوشور بليلة في نادي جراني.

بعد بضع مكالمات هاتفية، دَبّر لي مذيع التلفزيون وظيفةً في مطبخ سامفير، وهي خدمة تقديم الطعام المسيحية للمحتاجين، يديرها صديقه في ضاحية قريبة. يقوم الطاهي كل صباح بإعداد ثلاثمائة وجبة من ثلاثة أسماك. يجب أن أكون هناك في الساعة الواحدة لغسل الأطباق عندما يبدؤون في العودة. حتى إنني أَسَقِلُ الحافلة، وهو شيء لم أفعله منذ الطفولة. عادةً ما أكون الراكب الوحيد على

متن الحافلة الصفراء الكبيرة 24 التي تأخذني مباشرةً تقريباً من فندقنا إلى المنطقة الصناعية التي تشرف على معظم ريكيافيك.

السائق من كوسوفو، وأحياناً نمزح بأننا يجب أن نغلق الحافلة بالقنابل ونتوجّه إلى السفارة الصربية.

أكد لي الشيف: "لا يجب أن تستقل الحافلة يا تومي... قد يراك الناس".

"ماذا تقصد؟".

"الحافلة مخصصة فقط للمجانين والسيدات العجائز والناس الجدد".

"الناس الجدد؟".

"البولنديون والكلاب الصفراء... إذا كنتَ أيسلندياً، فلن تستقل الحافلة".

يسمّي الشيف نفسه أولي، وينطق شيئاً مثل "أوليه"، وهو لقب مشتق من ألفور، اسم والدي الرئيس.

إنه مدخن شره، شاحب الوجه، بوحمة كبيرة على الجانب الأيسر من ذقنه، وقرط دائري صغير في أذنه اليسرى، وعداء مذهل تجاه الأجانب، ولغته الانجليزية جيدة بشكل مذهش.

الرجل الثالث في المطبخ رجلٌ فيتنامي صغير اسمه شيان، له شاربٌ خفيف ومائة سنة صغيرة، ويذكره أوليه عشر مرات في اليوم أن اسمه يعني "كلب" بالفرنسية. ومع ذلك، فإن توكسيك الكرواتي في مأمن لأنه أيسلندي بنسبة عشرين في المائة ويحمل اسماً محلياً. أحاول ألا أبتسم وهو يصرخ في وجهي من بابه المفتوح وهو يدخن: "يا تومي! قل للكلب أن يفرغ القمامة أيضاً".

المالك صديقٌ لجودموندور واسمه سامي، رجلٌ صغير، بطنه وجهته منتفختان، ويمضغ العلكة مثل بقرة على القش، ويحتفظ بالنظارات الصغيرة على طرف أنفه وهو يرقص طوال اليوم. لديه ابتسامة من ولدوا من جديد للمرة الخامسة وليست الأخيرة على وجهه، ابتسامة تقول إن حياته بين يديّ الله، وعلى الرغم من أن العجوز قد يسقطها أحيانًا على الأرض، لكنه يستلمها دائمًا مرة أخرى.

دخل سامي وأوليه السجن معًا، كما أخبرني الطاهي في نهاية يومي الثاني. الأول لسرقه بعض اللوحات المزورة، والأخير للقتل الخطأ من الدرجة الأولى. جريمة عاطفية تم تنفيذها بسكين جزّار، حسبما يقول وهو يصبّ سلاحه نحوي، إذ يقطع اللحم البقري لإعداد "يخني" في اليوم التالي. "لقد كان يضاجع فتاتي، الوغد. كان عليّ أن أفعل ذلك، وإلا كانت ستركني على الفور".

يبدو أنهما ما زالا معًا، اسمها هاربا.

"لا شيء يضاهي حبّ امرأة ارتكبت القتل من أجلها".

يجب أن أفكر في ذلك.

كسب أوليه احترامي بعد أن أفصح لي عن سرّه. لقد قابلت أخيرًا رجلًا حقيقيًا في أرض العُرج هذه. لديّ فضول بشأن سنواته السبع في السجن. ما إذا كان قد تعرّض للاغتصاب أثناء الاستحمام. لا، كما يقول، يشبه السجن الأيسلندي حرّمًا جامعيًا أمريكيًا: ألعاب كرة قدم لا نهاية لها، وجميع المخدرات التي يمكن أن تحلم بها.

"السجن الأيسلندي يحظى بشعبية كبيرة بين الأجانب. يأتي رجال المافيا من ليتوانيا في بعض الأحيان إلى هنا لمجرّد أن يتم الإمساك بهم. بالنسبة لهم إنه مثل منتجع صحي أو شيء من هذا القبيل".

يمكنني أن أحب هذا البلد.

"ماذا عن ضحيتك؟ هل تفكر فيه عندما كنتَ محبوسًا؟"

"لا، ليس كثيرًا. لقد كانت جريمة قتلٍ سعيدة، بعدها بأيام كنتُ أسعدَ رجلٍ على قيد الحياة. أعني أنه استحقَّها تمامًا. في بعض الأحيان أتمنى لو كان على قيد الحياة حتى أتمكن من فعل ذلك مرة أخرى".
"لكن، سبع سنوات... لا بُدَّ أنها كانت مُملَّة؟"

"نعم، قليلًا. لكنني درست الطبخ واللغة الفرنسية و... علاقتي مع هاربا كانت أفضل من أي وقت مضى. أعني، لم أكن مضطرًا للاستماع إليها، أو الذهاب للتسوق معها، أو الذهاب لرؤية والدتها بعد الآن، كما تعلم، أنا فقط حصلتُ على الأشياء الجيدة. الجنس في السجن هو الأفضل يا رجل"، يقول بابتسامة باردة وهو يُلقي سيجارته في ساحة انتظار مُبلَّلة، تُطلُّ على بعض المباني الصناعية الباهتة وبقية ريكيافيك المورقة.

"أنتَ لم تطلق النار على أحدٍ قط؟" سألته.

"بمسدس؟ لا، إن قتل شخصٍ ما بمسدس يشبه ممارسة الحب مع فأر" يقول هذا وهو يمسك بسكينه اللزج. "كما تعلم، فأرة الكمبيوتر".

أعترف أنني معجب بالمحسِنين المقدَّسين، الثنائي الكوميدي المعروف باسم جود وتورتشور، لديهم بعض الأصدقاء المثيرين للاهتمام. قبل أيام أخبرني بالاتوف أن جود ني أمضى بالفعل عقوبة في السجن النرويجي بتهمة تهريب المخدرات. تمَّ القبض عليه وهو يصطاد شيئًا مريبًا قُبالة ساحل لوفوتين.

إذا رُسِم المجتمع على شكل دائرة، سنجد في قِمَّته الغالبية من أنصار الوعظ وإعادة التدوير (كل أولئك الذين لم يعبروا الشارع أبدًا

في الإشارة الحمراء، ولكنهم يبدؤون بلعق شاشة التلفزيون في كل مرة يظهر فيها توني سوبرانو اللعين).

وإلى اليمين لدينا كبار السن الذين يحبون السلاح، والذين يُفضلون ضرب زوجاتهم على النوم معهن. وعلى على اليسار سيكون لدينا الرجال المناهضون للعولمة، المجموعة البائسة التي تُعارض كل الأشياء الجيدة في هذا العالم، مثل اللحوم والإياحية والاحتباس الحراري. سأجد نفسي في الأسفل، حيث يلتقي أقصى اليمين مع اليسار العنيف، حيث يجلس الرجال والنساء المقدسات بجانب القتل ولصوص الفن.

هنا تُغلق الدائرة، في مطبخ المحتاجين، حيث أستطيع أن أرى كيف يلتقي العالمان على السن الحاد لسكين أوليه. إنها أول وظيفة "صادقة" لي منذ الفترة القصيرة التي أمضيتها كنادل في أيام بيت شون، وأرى أنها أكثر من جيدة. عدم الاضطرار للتفكير هو مصدر ارتياح مُرحَّب به؛ غسل الصواني البلاستيكية البنيّة هو شكل من أشكال التأمل. أولاً أقوم بتنظيفها من معظم الطعام (من الواضح أن المحتاج في أيسلندا ليس محتاجاً إلى هذا الحد)، ثم أشطفها بالماء قبل وضعها في غسالة الأطباق القديمة الكبيرة، والتي يسألني عنها سامي كلما مرّ علينا، كما لو كان كانت والدته العجوز "كيف حالها اليوم؟".

يقودني أوليه أحياناً "إلى المنزل"، متجاوزاً محطة الحافلات حيث ينتظر الكلب⁽¹⁾ جنباً إلى جنب مع المجانين المحليين، وحتى صديقه الشهيرة أوصلتني ذات مرة في سيارتها البولو البيضاء الصغيرة.

هاربا هي زبدة أيسلندية شقراء بالكامل مع سُمرة مُزيّفة، ووشوم قَبليّة على معصمها، وأخبرتني أن اسمها يعني "القيثارة".

(1) chien بالفرنسية، ويُقصد به الفيتنامي "شيان".

في الواقع تبدو أقرب إلى "عود" برقتها الطويلة ومؤخرتها الكبيرة. ومع ذلك فهي مثيرة نوعًا ما. قد أشرع في القتل من أجلها في اليوم العاشر أو الحادي عشر.

إنه شعور رائع أن أعود من العمل كل يوم دون قتل أي شخص. قد لا يكون نوم المستودع مثاليًا، لكن على الأقل توقفت عن إضافة جُثث جديدة إلى المخزون. عادةً ما أعود إلى الثكنات في الخامسة أو السادسة، بحوزتي بقايا طعام غداء سامفير، الذي أقوم بتسخينه في ميكروويف من عصور ما قبل التاريخ، وأتناوله في المطبخ إذا لم يكن بالاتوف موجودًا.

لا بُدَّ أن أضبط مصاريفي، بالإضافة إلى أن طعام أوليه جيّد، لكن معرفة أن الشيف قاتل مُدان، وهو رَجُلٌ يستمتع بتقطيع اللحم؛ تضيف نكهة إضافية إلى الوجبة. منذ بدأت العمل من أجل لقمة العيش، أدركت أن أيسلندا هي أغلى بلد في العالم. يكلف ملء ثلاجة واحدة بنصف كيلو من الجبن ما يصل إلى نصف كيلو من الحشيش. لا يأكل العديد من الأجانب سوى الطعام منتهي الصلاحية الذي تتركه المحلات التجارية عند أبوابها الخلفي كل ليلة، وقد أخبرتني جان عن سائح ألماني أصيب بنوبة قلبية خفيفة بعد حصوله على شيك لكوبين من الكوكيتيل في فندقٍ عصريٍّ بوسط المدينة.

أقول دائمًا إن "أفضل بلد في العالم" يجب أن يكون مثل أفضل ملهى ليلي: يجب أن يكون أغلى ملهى.

وفقًا لقواعد العلاج، لا يُسمح لي بالخروج ليلاً. لا يسمح لي تورثشور حتى بأيّ كُتُبٍ بخلاف الكتاب المقدس، ولا يُسمح لي مُطأً بالقاء نظرة على أقراص دي في دي أو تصفح الإنترنت. لذلك، بصرف النظر

عن القصائد السمراء القصيرة التي تلاها بالاتوف (أعتقد أن أوبرا⁽¹⁾ في الحمام... إنها بارعة) فالكتاب المقدس هو الترفيه الوحيد.

لم أحب القراءة أبدًا، ومع ذلك قرأتُ روايتين أو ثلاث روايات عندما جعلني ديكان أتجول في الولايات المتحدة، وأقوم بعملية في كل مدينة. لا يمكن الاكتفاء في تلك الأيام الطويلة في الفندق بعاملات الجنس الهاتفي فقط.

لذلك أمضيت لياليّ البيضاء الطويلة مع الكتاب الأسود الكبير.

بالطبع يوجد تلفزيون صغير في المطبخ، ولكن كل البرامج أيسلندية -بعض الحلوات الشقراوات كالزبدة يقرآن أخبار البلدة الصغيرة، يليها حمقى أمريكيان يأكلون الديدان الحية- بالإضافة إلى أن بالاتوف يحتكره، فبدلاً من مشاهدة التلفزيون يحرسه كما لو كان خزنة. يشتم كل عنوانٍ فرعي يظهر على الشاشة، وهو يهرش إبطيه الأشبه بمكبرات صوت تنبعث منهما رائحة. (إذا كان يعمل بالفعل مع المباحث الفيدرالية، فهذا أفضل تمويه في تاريخ المكتب. تمويه بعيد تمامًا عن تسريحات مايكل كيتون).

يجب أن ألزم نفسي حقًا بالعهد القديم اللعين. تعرّفتُ على بعض القصص الجميلة وكل شيء، ولكن معظمها مجرد حماقات مؤيدة لإسرائيل حول الخلافات القبليّة والصراعات الحدودية.

كيف هذا وذاك، كيف دفع السيد بوش هذا وذاك فلسطين أو الفلسطينيين عن أرضهم. يشبه إلى حد كبير ما لدينا في الأخبار التلفزيونية اليوم. هؤلاء الرجال ما زالوا عالقين في العهد القديم، يجب عليهم على الأقل أن يطلّعوا على الجديد.

(1) Oprah Gail Winfrey - المذيعة الأمريكية الشهيرة أوبرا وينفري.

لا بأس بيسوع، على الرغم من أنني أجد صعوبة كبيرة في مفهوم تسليمه خطاياك وتحميله مسؤوليتها، أرى أنه أمر ديني نوعًا ما. بالإضافة إلى أنه حتمًا مشغول. يشبه الأمر نقل القمامة إلى الكنيسة وتركها هناك بالقرب من المذبح. أو ربما تلك هي الفكرة وراء كل ذلك. الكنيسة كحاوية لإعادة التدوير، نوعًا ما لا يختلف الأمر عن النظام الموجود في زغرب ساموفار. هناك هذا الرجل، توميسلاف، المسمّى بـ "المُطَهِّر"⁽¹⁾ والذي يأتي كلّما احتجناه لتنظيف خطايانا.

أعتقد أنه خطأ فادح أن يُظهر الله وجهه أو يده أو أيًا كان ما رآه موسى على قِمّة الجبل. كان يكتب حينها صُكّ متاعب للمنطقة اللعينة بأكملها.

عشرة آلاف سنة من المتاعب.

إنها تُذكّرني بتلك المسرحية التي رأيتها ذات مرة في المسرح الوطني الكرواتي في سبليت.

كانت سينيكما من كبار المعجّبات بالمسرح وجعلتني أحضر شئى الأشياء المجنونة. إحدى تلك المسرحيات من بولندا، حيث كان المؤلّف جالسًا على خشبة المسرح أثناء الأداء، وكان طوال الوقت يصرخ بتعليماته للمُمثّلين. أعتقد أنها كانت المرة الأولى التي أفكر فيها في قتل شخص ما.

لا يمكنك تغيير مسرحية سخيفة بعد ارتفاع الستارة.

وينطبق هذا على الله أيضًا.

لم أعتقد أبدًا أن قراءة الكتاب المقدس قد تثير الغضب. ولكن ربما كان من المفترض أن تفعل. على الأقل عندما تفكر في تورثشور. أعتقد أن الألوهية مثل الكحول. كلّما تعمّقتُ في ذلك؛ كلّما تَسَاءَلْتُ

(1) The Cleaner: بمعنى قاتل.

أكثر عمًا إذا كانت فكرةً جيّدةً من الأساس. كلما كان بلدك أكثر تديّنًا؛ زادت احتمالية اندلاع الحرب. على الأقل لم يُظهر الله وجهه في أيسلندا. أخبرني أوليه أنه لم يخلقها من الأساس. لا عجب أنها أكثر دولة سلميّة في العالم.

"اعتقدت أنكم ولدتُم جميعًا من جديد؟" أسأله في اليوم التالي.

"حسنًا، الله صديق سامي. لقد أعانته كثيرًا. حتى إنه أخرجته بكفالة من السجن، وأقرضه بعض المال لبدء هذه الشركة وكل شيء"، كما يقول بابتسامةٍ، بينما يُخرجُ ساقَ حَمَلٍ من الثلاجة. "ولكن بالنسبة لي، لا أعرف، بعد أن قتلْتُ هذا الرجل، أصبح كل شيء بالنسبة لي مجرد... " توقّف مُوقَّتًا أثناء بحثه عن الكلمة الصحيحة، ثم هزَّ رأسه ووضع ساقه على منضدة العمل "... لحم".

"لحم؟".

"نعم. أنا أحب الحياة وكل ذلك، لكن كل ذلك مجرد لحوم بالنسبة لي".

"نعم".

"الحياة بسيطة للغاية. إمّا لحمٌ مَيِّتٌ أو لحمٌ مُتحرّكٌ".

يلتقط سكّينه، سكين مطبخه المفضّل، إنه يتحدث إليها الآن. أنا مجرد مُتفرّج، كل شيء يجري بين الرّجل والسكّين.

شيان بعيدًا عن الحوض يغسل المِقالي. ينخفض صوت أوليه، ويهتزُّ القرط الذهبي الصغير على خدّه البارد.

"عندما ذبَحْتُ هذا الرجل، كان الأمر... كان أشبه برؤية الله، أو شيء من هذا القبيل. رأيتُ... رأيتُ كيف هي الحياة، وأنها فقط...".

ينظر إلى الأعلى الآن وينظر إليّ.

"كما تعلم، لقد مارسنا الحب بينما كان لا يزال على الأرض. كان الأمر جنونيًا حقًا، لكنه كان مثل الله".
أعتقد أنني اخترت السلاح الخاطئ.

حَمَمُ الْخُبِّ

2006/06/25

أحاول أن أحافظ على حياقي البسيطة. بعد تجاؤزي الأخرق في نادي التَّعْرِي، عُدتُّ إلى المسار الصحيح. يتَّصل بي الكاهن النافذ كُلَّ يَوْمٍ ويتفقَّدني، ويعطيني المزيد من نصائح القراءة، ويدعوني إلى وجبة غداء رائعة يوم الأحد، والتي تضمُّ كل اللحوم التي يمكنك تناولها مع جودموندور وسيكريدر، إنهم جميعًا فخورون بي، ولا يمكنهم أن يرفعوا عيونهم عني، وينظرون إليَّ نظرةً مُزارعٍ إلى فحله الواعد. أنا خنزيرٌ من غينيا، لقد تحوَّل الفأر الأسود إلى الأبيض. تورتشور وأبناء هانا، فتاة صامطة وصبيّان صغيران بعيون كبيرة، ينظرون إليَّ مثل ديشيد بيكهام الكهنوتي.

أحاول أن أبتسم مثل الأبله المولود من جديد. حتى إنني خلقتُ
عن قُرْبٍ وأصبحت لي قَصَّة شَعْرٍ قصيرة قامت بها هانا. إذا كنت
أرتدي ربطة عنق وأحمل كتابًا مقدَّسًا، فلن يفتح لي أحدُ بابه.

تقول سيكريدر: "إنه لأمر رائع أن تعرف أنك تعمل وأن لديك
مكانًا خاصًا بك وكل شيء".

يجب أن أدعوها لإعطائي نصائح في الديكور.

"نعم. سيكون بخير، إنه رجلٌ طيبٌ" تقول هانا.

أرسم ابتسامة جديدة. ينظر إليها الآخرون في مفاجأة صامتة، ربما
تجاوزت حدودها. تضيف بسرعة وتلفتت إلي:

"أعني، أنت فقط لم تكن محظوظًا، لو كنتِ وُلِدْتِ هنا في أيسلندا
لَمَا رأيتِ الحرب أبدًا... أنتِ رَجُلٌ جديد الآن. نأمل فقط ألا يعثر
الأمريكان عليك".

كلهم يغمغمون موافقين على ما قيل، وأنا أوكد لهم:

"أظنُّ ذلك، مع جواز سفري الأيسلندي، سأكون بخير".

مرة أخرى جولة من الإيماءات.

"نعم، لم يمت الأب فريندلي عبثًا" أعلن تورتشور، واضعًا يده
الثقيلة على كتفي.

يصعب فهم العبارة للغاية على جودموندور. تعيَّن على صديقه أن
يشرح عبارة "عبثًا"، فظهرت العبارة الأبسط:

"نعم، لقد مات من أجل خطايا تومي!".

ها أنتِ ذا. حصل السيد المسيح على إجازة وحل مكانه السيد
فريندلي. عليك أن تحب هذا الدين وحسب. تقوم أولًا بإطلاق النار
على 125 شخصًا، وبمجرد أن يبدأ ضميرك في التدهور (عند حوالي رقم

(124) كل ما عليك فعله هو العثور على شخص مقدّس بدرجة كافية لتحمل خطاياك.

ثم تطلق النار عليه فقط، وبانج! ينطلق معهم إلى الجنة.
لن تضطرّ أبدًا إلى رؤيتها أو التفكير فيها مرّةً أخرى.

لقد اعتدّتُ ببطءٍ على اسمي الجديد. لا تزال جان تستخدم نود بالرغم من ذلك، إنها تتصل كثيرًا. وأجيب فقط على نصف مكالماتها. الزفاف أمرٌ لا مفرّ منه، على ما أعتقد، لكن في الوقت الحالي أحاول إبعادها. أنا لستُ مُستعدًا بعد، أحتاج إلى إخراج مونيتا من عقلي وجسدي، أو من ثلاثتي على الأقل (أحيانًا أرى رأسها هناك، بين رسوم الحليب الكرتونية المحلية ووحش السّلامي البولندي). لستُ متأكدًا كذلك من والديها. إن إنقاذ حياتي شيء، لكن منحي ابنتهم شيء آخر تمامًا. الأهم من ذلك كله أنني بحاجة لإنهاء هذا العلاج اللعين.

تدعو فتاة الجليد نفسها بانتظام للزيارة، لكنني أوكد لها ألا امرأة وطيئت هذا المكان على الإطلاق، وأن مشهد الجمال المحلي سيؤدّي بلا شك إلى أعمال شغب في الثكنات. سيقتحم آل ياروسلاف جميعًا غرفتي وينشغلون بجان، ويطلبوا مني حمل الكاميرا.

لكن محاولة كبح الحب تشبه محاولة كبح الحُمم البركانية.

تشغيل الحُمم. ذات يوم، عند عودتي من العمل، أجد فتاة مسلسل "داي بريك" جالسةً في المطبخ مع جَبَل المَرَح البلغاري. أتساءل عمّا يتحدثان عنه. لا بُدّ أنه يسألها ما إذا كان أيّ من عُشاقها الأربعين أسود. أنا مندهش لأنها لم تتعرّض للاغتصاب بعد. لا بُدّ وأنها شديدة البياض بالنسبة له.

"قلت لك لا يجب أن تأتي إلى هنا. أنتِ مثل حملي في عرين الأسد هنا" أهمس لها بينما نعود إلى زنزانتي. مكتبة سر من قرأ "حسنًا، لم ترغب في القدوم لرؤيتي؛ لذلك كان علي أن آتي لرؤيتك" تقول بابتسامة شديدة البرودة، لكنها تبدو جنسيّة بشكلٍ عَرَضِيٍّ، أو عَارِضَة بشكلٍ جنسيٍّ، اعتمادًا على أيّهما أفضل في اللغة الانجليزية. "هذا الرجل خطير. إنه وحيد للغاية إنه مثل الثقب الأسود، يمكنه أن يبتلعك في لحظة، عمّ تحدّثتما؟".

"لا شيء حقًا. كان يخبرني فقط عن مزرعة عائلته، أن والدته تصنع المربّبات بنفسها، وأنه اعتاد قطف الثّوت بنفسه أو أيّا كان".

إذا فهو جامعُ توتٍ أيضًا. أعظم مَويه لا يزال يتحسّن. ندخل إلى مساحتي فيختفي الكلام لمدة أربعين دقيقة. لهذا الإجراء؛ يجب أن أقوم بإخراج الفوتون من قاعدته الصخرية. نحاول أيضًا الحفاظ على أصوات أجسادنا منخفضة؛ لأن جدران غرفتي -كما ذكرنا سابقًا- لا تبلغ السقف. (تذكّرني الزنزانه أحيانًا بمرحاض كبير) لا أريد المخاطرة بأن ينتهي بي المطاف في القسم الجنسي لدماع بالاتوف، حيث يتم تخزيني بعيدًا على الرّف، مثل مُربّي في جَرّة، بجواره هو وباتي لابليل⁽¹⁾ في نهاية سيارتها الليموزين.

ثم نستلقي معًا على المرتبة السميكة، أنا وجان فتاتي الدافئة، ونشاهد أضواء النيون ونستمع إلى السيارات وهي تتحرّك في موقف السيارات بالأسفل. حان وقت الإغلاق، وقد صُرِّقت فتيات اليوم الثالث في المتجر ذي البلاط الفاخر، وجنة الأثاث الهندية في الساحة قبل انتهاء يوم العمل. ليفتَحُن أقفال السيارة برمونات سياراتهنّ

(1) Batty labelle: مغنيّة أمريكية.

الصغيرة الأشبه بالمسدسات، أو يُقلَّهن أصدقاؤهن الذين نَقَدَ صبرهم
إذ يقودون سيارات بي إم دبليو السوداء.
"كيف تقول أيسلندا باللغة الأيسلندية؟"
"إزلاند".

"رائع. تبدو مثل جزيرة الراحة."
"نعم. لقد قَهَمْتُ الأمر بشكل صحيح."
"لكن هذا لا يبدو صحيحًا. لا يبدو أنكم مرتاحون أبدًا."
"يمكنك أن تقول ذلك" تقول جانهيلدور. "نحن أناسٌ نَقَدَ صبرهم.
على سبيل المثال، لا نعرف كيف ننتظر في الطابور. نحن ننتظر دائمًا
في مُثْلث".
"لماذا؟".

"أعتقد أنه بسبب قِلَّةِ عددنا، لا نعرف كيف ننتظر لأننا لم نضطرَّ
لذلك أبدًا".
"لكنني لا أفهم لماذا أنتِ كثيرة التذمُّر؟ لم أذهب أبدًا إلى بلد أكثر
استرخاءً وهدوءًا".

"هذا أيضًا لأننا قليلون جدًا. يحاول الجميع التصرُّف كما لو كانوا
ثلاثة أشخاص مختلفين. نحن نبذل قصارى جهدنا لتبدو ريكيافيك
مثل نيويورك".

"حسنًا... عليكم أن تبذلوا جهدًا أكبر بعد ذلك".
"أنا أبذل قصارى جهدي. في الصباح أنا نادِلةٌ، وفي فترة ما بعد
الظهر أكون في المكتب، وفي المساء أدرس التدليك".
"أنتِ؟ تدليك؟".

"نعم، لقد بدأتُ للتو الأسبوع الماضي".

أنا على وشك أن أقترح. نتحدث عن التدليك لفترة، وشرحت لي الفرق بين التقنيات السويدية وتقنيات شياتسو، فشرحتُ لها الفرق بين التدليك العادي والتدليك الكامل للجسم. ثم سكتنا قليلاً قبل أن أقول:

"نعم، لا أعتقد أنني أودُّ أن أصبح قاتلاً مُعترِفاً في أيسلندا".

"لِمَ لا؟".

"لأنكم قليلون جداً. لا أعتقد أنني سأقوى على إطلاق النار".

إنها تضحك ضحكها المفعم بتبغ الهاسكي، وتتطوّر إلى سلسلة من السعال الصغير الذي يتوق إلى سيجارة.

"ولكن لماذا أنتم قليلون جداً؟ أعني أَلَمْ تخوضوا أيّ حروب من قبل؟".

"لا، لكن البعض يقول إن الطقس هو حربنا. يمكن للجليد أن يكون مميتاً مثل النار".

إن صِغَر حجم الأمة الأيسلندية يُفسِّره الماضي، كما تقول، وقد ملأت غرفتي بدخان الانفجارات البركانية والأوبئة والشتاء البارد المتجمّد لدرجةٍ يمكنها أن تمحي الأرض من شعبها.

لم يبدأ (الإيزلنديون) حقاً في الازدهار حتى حصلوا على الكهرباء والتدفئة المركزية. زاد عددهم في الخمسين عاماً الماضية بمقدار 150.000. يقارب هذا عدد الذين قُتلوا في حربنا. كان بإمكاننا حلّ المشكلة بإرسالهم جميعاً إلى أيسلندا، أرض يمكن أن تسع بسهولة عشرة أو عشرين مليون نسمة. لكن ما كان سيُسمح لهم جميعاً بدخول البلاد أبداً بحسب جانهيلدور.

ينحني القاتل أمام زملائه الرجال الذين يُفضّلون رؤية الناس يموتون عن السماح لهم بالتخييم في مروجهم.

تحدّث عن الحرب وتواصل جان تدخينَ سيجارتها، ثم تسألني عن أخي داريو.

"كم كان عمره عندما توفّي؟".

"كان أكبرَ مني بثلاث سنوات. ثلاثة وعشرين".

"رائع. ما الذي كان يعجبه؟ هل كان مثلك؟".

"لا. لقد كان بطلًا، الابن المفضّل. لقد كان أكثرَ لياقةً، وكأنه إله يوناني، وكان يمارس الرياضة و... كان في المنتخب الوطني في القفز بالزانة".

"ما هذا؟".

"إنها قفزٌ على عصا. هل تعرفين سيرجي بوبكا؟".

"لا".

"لا؟ أعظم رياضي في كل العصور. الرجل الأوكراني. فاز بالميدالية الذهبية في سيول. تدرّب داريو معه لفترة، كان بطله الكبير، وهو أمرٌ غريب نوعًا ما. في نفس الليلة التي قُتِلَ فيها داريو سجّل بوبكا رقمًا قياسيًا عالميًا. حطّم الرقم القياسي العالمي الثاني عشر أو شيء من هذا القبيل، ستّة أو ثمانية أمتار في إحدى المدن الروسية. كان الأمر كما لو أن روح أخي ساعدته، ورفعته بضع بوصات أخرى. قفز الروح".

اللعة. أشعر بعاطفة زائدة تجاه هذه الفتاة الجلدية.

"رائع... هذا مُذهِل. هل ذهب أخوك إلى دورة الألعاب الأولمبية؟".

"لا. لكنه كان سيذهب إلى أتلانتا في ستة وتسعين، إذا...".

أفتح عيني قدر استطاعتي، وأثبتهما حتى يَجِفَّا على أملٍ ألا تلاحظ. لا. إنها فقط تُراقِبُ الدُّخان يتصاعد من فمها الخارق.
"رائع. إذاً كان بمثابة نجم؟".

"حسنًا، ربما لا. القفز بالزانة ليس بهذه الأهمية في كرواتيا. كان مثل شهابٍ أو شيء من هذا القبيل".

أبدو دائمًا كسيدة عجوز عرجاء عندما أتحدّث عن أخي الميت؛ لذلك أنا لا أتحدّث أبدًا.

"إذن لا بُدَّ أنه كان من الصعب عليك...".

"في الواقع، كان الأمر غريبًا نوعًا ما. موت أخي حَدَّرَ حقيقةً أنني قَتَلْتُ والدي، والدنا".

"لماذا؟ كيف؟".

"يبدو الأمر كما لو أنك أشعلت النار في منزلك عن طريق الخطأ؛ فهذا يهدِّئ بعض الشيء، أو يجعل الأمر أقلَّ سوءًا، أن ترى منزل جارك يحترق أيضًا".

"لكن أخاك أهم بالنسبة لك من منزل جارك القبيح؟".

"بالطبع بكل تأكيد. أو بوسعكِ أن تقولي إن ما حدث مع أبي منعني من الضربة التي كان من الممكن أن تتسبَّب بها وفاة أخي. لا يمكنك الحصول على اثنين من أ.ل.ع في حياتك".

"أ.ل.ع؟".

"أسوأ لحظة على الإطلاق".

"آها. إذا لم يكن مقتل حبيبتيَّ وحادث الطريق الخاص بك مُروِّعًا؟".

"لا، لكن حين رفضتني لأنكِ ظننتِ أنني كاهن... كان ذلك فظيعةً جدًا".

تبتسم قبل أن تقول:

"ولكن بعد ذلك اكتشفتُ أنَّكَ قاتِلٌ مُتَسَلِّسٌ ووَقَّعتُ في حُبِّكَ".

تضحك. أحفظ بكلمة "حب" بين أذني، وأدع عقلي يداعبها مثل
جرو حديث الولادة.
أقول "أنتِ مريضة".

"نعم. الحب مَرَضٌ" تقول بينما تطفئ سيجارتها في نصف زجاجة
جاتوريد الفارغة على الأرض بجانب الأريكة وتمسك بوجهي. أبتسم
ابتسامتي المكسورة، تضع سبابتها على فمي وتستبدل السنَّ المفقودة
بطرفه. العين بالعين والإصبع بالسِّن. تُبقي إصبعها هناك لفترة
وتبتسم، قبل أن تُزيلها لتُقَبِّلَنِي.

قَبَّلَتَنِي كفتاةٍ جزيرةٍ وجَدَت حُطام سفينةٍ بِشَعًا على الشاطئ.
إنه مُصابٌ بكدمات ومضروب، ووجهه مثل سمك السلمون الأحمر
من حروق الشمس المالحَة، وصلب مثل قطعة ضخمة من اللحم،
وبالكاد يستطيع تحريك لسانه. لكنها تساعده.

يصيح لينون⁽¹⁾ في أذنيَّ جان بصوت عالٍ إذ يغني أغنية قديمة
للبيتلز. تلك الأغنية عن مُسدَّس دافن².

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) John Lennon مغني إنجليزي شهير.

(2) يقصد أغنية Happiness is a warm gun

28

سَرِيرٌ من الورد سَرِيرٌ من الطَّحَالِبِ

2006/08/5 - 2006/06/25

وفقًا للتقليد المحلي، يستمرُّ الصيف الأيسلندي ستَّة أسابيع فقط. من نهاية الأسبوع الأخيرة في يونيو حتى الأول في أغسطس. يُقال أيضًا إنَّ هذا هو الوقت الذي يستغرقه الوقوع في الحب. المشكلة الوحيدة هي أنه خلال هذه الفترة أضاء البلد الجليدي مثل حديقة ماديون سكوير في مباراة نيكس، طوال أيام الأسبوع، لا ظلال ولا زوايا مُظلمة. يستحيل إخفاء أي شيء مثل سيارة أو قُبلة.

فضَّلنا ألا تأتي جان إلى الفندق مرة أخرى. لم نشأ إقحام والديها في الأمر حتى نُحدِّد موعدًا. عُمال المتاجر ليسوا هم المشكلة، لكن قد يكون بالاتوف كذلك، وبالتأكيد جود ني. لكن فتاتي العبقريَّة تجد طريقة. علمت أن إحدى صديقاتها تعمل بالفعل في ماهابهاراتا،

متجر الأثاث الهندي أمام ساحة انتظار السيارات. كلُّ ما عليّ فعله هو أن أتسلَّل في منتصف الليل وأتجوَّل في منطقتنا المهجورة، وألقي التحية على فريق طيور النورس المسؤولة عن الحفاظ على نظافتها، قبل أن ينتهي بي المطاف عند الباب الخلفي للمتجر الهندي، حيث تنتظرني جان في سيارتها الفايا الحمراء الصغيرة، وقد أنهت لتوها دروس التدليك أو ليلة في نادي مُعجبي تارانتينو. لديها المفتاح وكذلك رمز الأمان الذي تكتبه في الشيء الموجود على الحائط بجوار المدخل. نشقُّ طريقنا عبر المكتب ونخرج إلى المتجر. عُرضت في الخلف ثلاثة أسِرّة ذات حجم كبير، كلها مصنوعة في الهند بواسطة نجار يبلغ من العمر اثني عشر عامًا. لقد جربناها جميعًا، لكن الفراش الموجود خلف فاصل غرفة كاما سوترا⁽¹⁾ هو الأكثر أمانًا. لا يمكن رؤيته من النافذة المشرقة بشدّة بسبب الإضاءة القادمة من الخارج. في النهاية تمكَّنّا من العثور على زاوية شبه مظلمة في الأرض المشرقة الساطعة. وإذ يَصِرُ العمل اليدوي الهندوسي، يمكنني تكريم ذكرى حُبِّي الضائع. لقد تحمَّل الفراش كُلَّ الجمباز المذهل الذي قمنا به. هؤلاء الأطفال الهنود يُتقنون حرفتهم حقًا.

لا بُدَّ أن تعتبر ليالينا في ماهابهاراتا واحدة من أفضل منتجات العولمة. يحتفل الكرواتي بصيفه الهندي في أيسلندا مع الشمبانيا الفرنسية والسوشي الياباني وموسيقى تايلاندية بأسطة للعضلات. (أحضرت جان كل هذا، وجلّبت الموسيقى من فصلها). الواقى الذكري من مانشستر بانجلترا، والسجائر من ريتشموند بقرينيا، مسقط رأس أبينا فريندلي. لا، إنها لا تُدخَّن داخل المحل، وعلينا أن نحرص على عدم ترك أيِّ بُقْع أو حمّالات الصدر.

(1) Kamasutra: تعني في اللغة السنسكريتية 'أصول الحب' وهو نص هندوسي قديم عن الجنس والحب.

شيئاً فشيئاً تمكّنت جان من نقل بقية أغراض مونيتا (بما في ذلك الرأس) من عقلي وإعادة ترتيبها بنفسها.

ساجيد ومصباح هندية. وشيئاً فشيئاً يتحوّل صيف الجنس إلى صيف آخر. تضيف السرية بُعداً أعمق للأمر، وأنا أحاول كلّ ما بوسعي لأذيب جيديس، بينما تُحوّل ألاعيبها الجسدية، التي تعلّمتها حديثاً، دمي بسهولة إلى حُمَمٍ بركانية. يمكن أن أموت سعيداً وأُدفن في التربة الأيسلندية مع علامة مُميّزة: تومي أولافس، منظّف صحنون (1971- 2007).

في نهاية كل جلسة، ترشّ جان السرير بنكهة هندية ما عثرت عليها في المكتب. بحلول نهاية الشهر، تنبعث منه رائحة أفضل بيت دُعارة صغير في بومباي.

تقول: "لا بأس حقاً... لا أحد يشتري أسيرة خلال الصيف".
"لماذا؟"

"إنهم مشغولون جداً باستخدام القديمة".

من الواضح أن الأيسلنديين هم شعب مختلف خلال الموسم المشرق. يتوقّفون عن فعل الأشياء التي اعتادوا القيام بها في فصل الشتاء، مثل مشاهدة التلفزيون وارتداء الملابس والاستحمام. حتى وقت قريب تمّ إغلاق التلفزيون في يوليو. الصيف قصير جداً لدرجة أن الناس بحاجة حقاً إلى التركيز عليه. إذا وصلت درجة الحرارة إلى خمس عشرة درجة مئوية (يحدث ثلاث مرّات في السنة)، تُغلق جميع المتاجر والبنوك بعد دقيقتين؛ حتى يتمكّن الموظفون من الخروج والاستمتاع بموجة الحرّ.

تشرح جان أن هذا يُسمّى "عطلة الشمس". عليك أن تشفق على هؤلاء الناس. تلك الأسابيع السّنة لا تُعتبر صيفاً في أي مكان آخر. "أرض

الدَّرجات العشر" ليست مَزجةً، متوسط درجة الحرارة في يوليو هو بالضبط ذلك. الصيف الأيسلندي يشبه الثلّاجة التي تتركها مفتوحة لمدة ستة أسابيع، النور مُضاء وكل الجليد يذوب بعيدًا، لكن لا يمكن أبدًا أن يصبح دافئًا حقًا؛ ففي النهاية هي مُجرّد ثلّاجة.

ولكن في إحدى ليالي السبت في أوائل أغسطس، اختفت كلّ الأسرة من المتجر. هاتّقت جان صديقتها، فأوضحت أنهم يستعدّون للخريف، خطُّ إنتاج الكارما اللذيذة من المصنع الابتدائي في بومباي، لا بُدّ أن يصل في أيّ يوم الآن. نخرق قواعد تورتشور، وتأخذني في جولة خارج المدينة.

إنها ليلة جميلة، تشارك غروب الشمس الذهبي عبر الخليج سُحْبٌ مُذهلة في الغرب، وقد ذهبت كلّ الرياح في الخارج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. نتّجه شرقًا فأشعر وكأني خارج من السجن. أخيرًا رأيتُ شيئًا آخر غير بالاتوف وخطّ الحافلات 24 وأوليه المُخبر والأثاث الهندي. يأخذنا الطريق عبر المنزل السابق لكاتب ميّتٍ شهير. يبدو أن هذا هو المنزل الوحيد في أيسلندا الذي يحتوي على حوض سباحة. تشرح جان أن ذلك كان جزءًا من جائزة نوبل التي حصل عليها، على الرغم من أنه كان عليه توفير المياه بنفسه. إنه مُتخفّ الآن، يمكنك أن ترى الماء الذي سبّح فيه، على أمل أن يراقب فيه عبقريته، على ما أعتقد.

إنها تأخذني إلى أشهر مكان في الأرض، وادي ثينج، موقع أول برلمان في الهواء الطلق في العالم. في الواقع، لا أعتقد أنه هناك أي مكان يشبهه.

لكن في منتصف الطريق، أدركنا أن سيارتنا التشيكية ينقصها الوقود؛ فقرّرنا بدلًا من ذلك التوقّف والذهاب في نزهة صغيرة إلى حديقة القمر. جلسنا هناك على سريرٍ من الطحالب الرمادية الضلّبة.

لسوء الحظ، لا توجد أشجارٌ ولا فواصل الغُرف الهندية لإيواء لعبة الحبِّ الساخنة بعيدًا عن حركة المرور الصغيرة المتواصلة. بالإضافة إلى أن درجة الحرارة مناسبة أكثر لمباراة هوكي جليد. نكتفي بقُبلة ورشفة من بيرة كالدي، مستمتعين بسيارتنا الحمراء الصغيرة المتوقفة على جانب الطريق، محاطة بجبل أزرق غامق تحت سحابة وردية وحيدة. وفوقها السماء بيضاء تقريبًا. نوعٌ من الطيور ذو منقار طويل يمشي ويحلّق ثم يمشي من حولنا، على مسافةٍ يعتبرها آمنةً (على الأقل من منظور جان)، بينما يصرخ بصوتٍ عالٍ. يبدو أننا في فناء منزله الخلفي.

تصبح المحادثة جادةً بعض الشيء، كما ينبغي حسبما أعتقد، عندما تنتهي أغلب المُضاجعة.

"إذن، هل تعتقد أنه يمكنك العيش في أيسلندا؟" سألتني.

"حسنًا، أعتقد أنني مُضطرٌّ إلى ذلك".

صمت يتخلله صراخ الطير.

"إذن، هذا هو السبب الوحيد؟".

"لا. لست أدري".

تنظر إليّ. تشبه عيناها من أثر شراب جاتوريد الينابيع الساخنة ذات اللون الأزرق والأخضر في الحقل الصخري الذي يحيط بنا، تمامًا كالذي رأيته في صور المجلة على متن الطائرة وأنا في طريقي إلى هنا. ما زالت تنظر إليّ. هل تريد حقًا أن تُضيّع حياتها على نفايات توكسيك؟

"هل ترغبين أن أفعل هذا؟" أخيرًا أكمل.

"لا أعرف، أنا فقط أسألك".

تُخرج سيجارة لكنها تسقط من يديها المُرْتَعِشَتَيْن. تلتقطها وتضعها بين شفَتَيْهَا المُوَحَّرَةِ، وتُشعلها.

"أعني، أعتقد أنه عليّ ذلك. في الوقت الحاضر" أقول.
"في الوقت الحاضر؟".

تخرج كلماتها مع الكثير من الدخان. في الواقع، الرائحة لطيفة نوعًا ما، هنا في الهواء البارد الهَشَّ.
"نعم، أعني...".
"هل أحببْتَهَا؟".

"أيسلندا؟ بالطبع. أقصد كيف لا يعجب المرء بها؟" أسأل بالتلميح المناسب لأي قصّة حُبٍّ قمرية.
"لكنك لا تريد أن تعيش هنا؟".
"تعين للأبد؟".

أومأت برأسها. تظهر شَقَّتِي في شارع ووتر وسيرنج في ومضة، وشاشتي المُسَطَّحة مليئة بمباريات نادي هاجدوك، ومطعم الشواء في الشارع، ومُسَدَّس هيكلكر وكوخ الأسود الجميل الذي أحتفظ به تحت البلاط في زاوية حمّامي. أعصر يدي اليمنى باليد اليسرى بينما أغمغم:

"لا أعرف، لم أفكر في ذلك حقًا".

وقَفْتُ على قدميها، تاركَةً نصف زجاجة بيرة فارغة ملقاة في الطُّحْلَب، لتتجه نحو السيارة.
"إيه!" أقول.

أَمَسَكْتُ بِهَا إِذْ تَسَلَّقَ جَانِبَ الطَّرِيقِ وَفِي يَدَيَّ زُجَاجَتِي بِيْرَة. يستخدم الطائر جناحيه ليهرع نحو بِرْكَة صَغِيرَة على الجانب الآخر من الطريق. يبدو أنه استأجر المنطقة للعينَة بِأَكْمَلِهَا.

"جان... ماذا جرى؟".

كانت عيناها مَبْلُتَتَيْنِ عندما استدارت، إِذْ نَقَفَ على جانب الطريق بجانب السيارة.

"ألم تفكر في ذلك؟" تسأل.

"لا، أعني عليك التفكير في وضعي. أنا أعيش كل يوم على حِدَة".

"ماذا عن حالي؟" تقول بشيءٍ من الحدة، ثم تسحب نَفْسًا سريعًا من سيجارتها التي احترق نصفها بشفاه مرتجفة.

ليس لديّ ما أقوله. لم أكن أعرف أن هذه الفتاة يمكن أن تبكي. عاد الطائر يصرخ فينا، في وجهي.

"أنا آسف... جانهيلدر... جان".

"برأيك، كيف ترى ما يجري بيننا؟".

"أنتِ وأنا؟ لقد كان الصيف الأكثر سخونة في حياتي".

ترتجف كتفائي من البرد.

"حقًا؟".

"نعم. أفضل صيف مَرَرْتُ به...".

"ما الأمر إذن؟ أما زِلْتِ غيرَ مُتأكّدة؟".

"أعني، جان... أنتِ فتاة لطيفة، وأنا...".

"أنتِ رَجُلٌ رائع".

"أنتَ رَجُلٌ رائع لعين. والآن أنت تخبرني أن...".

تعجز عن إنهاء الجملة، فقط سيجارتها هي ما انتهت، وقد رمتها بعيداً قبل أن تمشي نحو مقعد السائق في السيارة.

"إذن هل تريد...؟" أحاول أن أقول.

"نعم!" تصرخ وتفتح السيارة وتدخل وتغلق الباب.

لقد تُركتُ واقفاً وحدي بين السيارة وأيسلندا، مُمسِكاً بزجاجتي بيرة نصف فارغتين. يبدو أنها جادة بشأننا،

هل أنا كذلك؟

تقترب سيارة جيب حديثة الطراز من الشرق. تبطئ أثناء مرورها، أواجه اثنين من الطليان في الخمسينيات من العمر. يبدو أن كعاشيق بشعرين رماديّين، وشمرة شديدة، يرتديان سترتين وأقبتين زرقاوين، داكنتين فوق قميصي بولو أصفرين. الوغدان السعيدان حتى الموت، إنهما يتسلمان بشدة، لدرجة أنك تضطر إلى الشك في أن أول برلمان في الهواء الطلق لا بُدّ وأنه يستضيف مهرجاناً للجنس الجماعي لكبار السن في نهاية هذا الأسبوع. تلف المرأة الجالسة في مقعد الراكب ذراعها حول شريكها الذي يشبه -بعد تفكير في الأمر- قاتلاً مُحترفاً مُتقاعدًا.

29

معارف من كاوناس

2006/08/6

نعود في صمتٍ. حتى الراديو هادئ. نظرت من النافذة وأنا أفكر في حقيبتَي نيويورك اللتين كانتا تدوران الآن في دائرة الأمتعة في زغرب لمدة ثمانين يومًا على التوالي.

انتهى غروب الشمس في منتصف الليل تقريبًا، لكن ظلت بعض السُحُب تتوهج باللون الأحمر في الأفق، وتحوم مثل قطيع من المناطيد فوق النهر الجليدي الذي يعبر شبه جزيرة تُسمَّى "عُشُر الثلوج المتساقطة" أو شيء كهذا. تنبسط أمامنا مدينة ريكيافيك مثل سيدة يائسة تتوسل إليَّ أن أحبَّها. تُذكِّرك نوعًا ما بلوس أنجلوس في الليل: منبسطة وواسعة ومليئة بالأضواء. برج الكنيسة، التي تحمل اسمًا شديد الصعوبة، على التلُّ في وسط المدينة هو الشيء الوحيد

الذي يرتفع فوق الأفق، وهو قضيبٌ اصطناعي مُظْلِمٌ في وجه السَّمَاءِ الوردية.

اقتَحَمَت جان الحَيِّ الذي أسكن فيه والذي تملأه متاجر أثاث ومُخَيَّمات لاجئين، وأوقَفَت السيارة عند حارة مرورية فارغة بالقرب من زنزانتي. أقول لها إنني سأَتَصِلُ بها. تجيب بإخفاء شفيتها داخل فمها. فتبدو أشبه بوالدتها.

إنها حوالي الثالثة صباحًا عندما أسجِّل وصولي إلى الفندق.

ينام عُمَّال المتاجر بسرعة، كأحذيتهم ذات المقَدَّمة الفولاذية المتسَخَّة في الجزء العلوي من الدَّرَج. سَمِعْتُ في نهاية الرَّدْهة دَوِيَّ التليفزيون الخافت. بالاتوف في المطبخ يجلس على الطاولة، مرتديًا سرواله الداخلي الضخم وقميصه الداخلي الأبيض، بالإضافة إلى زوج من الجوارب السوداء. إنه مُشْعَرٌ مثل الغوريلا.

من الصعب حتى أن تُمَيِّز النقطة التي تنتهي فيها جواربه ويبدأ شَعْرُ الساق. سيحتاج إلى حمولة شاحنة "كريم التوفير" لحلاقة الجسم بالكامل. على الشاشة مُمَثَّلٌ غُيٌّ يتظاهر بأنه مُسلِّحٌ، يحمل سلاحه مثل أحد الهواة، ويشبه إلى حَدِّ كبير البابا إذ يحمل مكبَسًا.

"اللعنة... ليلة بيضاء. أريد الأسود"، يتمتم الصَّوت بين كتفين مُشْعِرَتَيْن.

للمرة الأولى منذ لقائه أكاد لا أكرهه. أشرب بيرة من الثلجة وأنضمُّ إليه على طاولة المطبخ. أحتاج صديقًا.

"ماذا عن الفتيات الأيسلنديات؟ ألا تحبُّهن؟" سأله.

"لا توجد فتاة أيسلندية في نادي جراني".

لدى الصديق الجديد حدود.

نشاهد التلفاز لبعض الوقت، واحد من أفلام "قف مكانك!"
أعتقد أن كل فيلم تَمَّ إنتاجه على هذا الكوكب لديه شخصٌ مثلي
كشخصية رئيسية، أو أن الشخصية الرئيسية تقضي الفيلم اللعين
بأكمله في ملاحقة رَجُلٍ مثلي، وتنتج دائماً قبل ارتفاعِ تَر النهاية
كالأرواح من قبر الرَجُل الشرير.

القاتل عضو المافيا هو أحد أشهر أبطال عصرنا. إذن لماذا لا
أستطيع أن أعيش مثل الممثل الذي يلعب دوري، في قصر بهوليوود
مع حوض سباحة حائز على جائزة نوبل تحاوطه أشجار نخيل؟
وحفنة من الخَدم يتجادلون باللغة الإسبانية في المطبخ، ومجموعة من
المشهورات الصَّغيرات بأثداء كبيرة الحجم يتأوَّهن خارج بابٍ منزلي،
مُتعطَّشاتٍ لممارسة الجنس". اللعنة، يجب أن أحصل على كل ذلك
بدلاً من التباطؤ هنا في القطب الشمالي في أي مكان آخر، مُنظَّف
صحونٍ وُلِدَ من جديد باسم قبيح وحببية جامحة، يحتسي البيرة
البولندية المسروقة ويناقش الفلسفة مع حفيد كينج كونج.

"ما رأيك في أفلام المافيا التي كتبها بعض الجُبناء الذين ينتشون
على لاتيه الصويا؟ أطفال الحَرَم الجامعي الذين لم يسبق لهم خَلْقُ
لحاهم ولم يَرَوْا سلاحًا في حياتهم؟".

"ما هو؟".

"عذراً".

نعود إلى الفيلم ويقوم بالاتوف بجولة من السُّباب البلغاري.
الجزء الخاص بنا من العالم هو الموطن الحقيقي لِلغة النَّابية.
تُحطَّم كرواتيا الرقم القياسي العالمي في الشتائم. أنا على وشك أن
أرُدَّ عليه فقط بـ "يبدو أنك قد ضاَجَعْتَ قَنَفَداً لَتَوُك!" أو: "لقد
ضاَجَعْتَ جُثَّةً وَالِدَتِكَ المتعقِّنة في الحفرة حيث اعتاد أن يكون فيها
ثديها الأيسر!".

ثم قال الوجد فجأة: "فتاتك جيّدة".

"فتاتي؟".

"أراك أنتَ وفتاة في المتجر" يقول بأقذر ابتسامةٍ وإبهامٍ مُشعرٍ
للغاية "جيد".

"تقصد...".

"أراك تُمارِس الجنس في المتجر. هي ابنة القسّ صحيح؟".

ها أنتَ ذا. لقد كان يتجسّس عليّ إذن؛ فهو يعمل لصالح مكتب
العَجَزة اللعين.

"فلماذا لا تتصل بهم؟ لماذا لا تعتقلني بعد ذلك؟".

"ما هو؟".

لا. بعد استجوابٍ سريع، يجب أن أستنتج أنه ليس عميلًا سرّيًا،
إنه حقًا غبيٌّ للغاية. ولكن في النهاية ماذا يفعل هنا؟ لماذا بحقّ
الجحيم يقيم في هذا البلد الرهيب من الليالي المشمسة واللغات
الأجنبية طالما يكرهها على هذا النحو؟

"أعمل في بناء المساكن... أنا لا أجر. أنتظر المال".

بالطبع من الممكن أن يكون هذا الرجل عبقرّيًا يتصرّف بغباء،
وأنه بالفعل مُتخفّف. ولكن حينها سيكون التّخفّي سميكًا لدرجة أنه
لن يتمكن أبدًا من الحصول على أيّ معلومات.

في اليوم التالي، استيقظنا من صلاة الأحد البولندية المعتادة. بعض
نبيذ المذبح وخطبة عن العبوديّة الحديثة في المجتمع الغربي. لكن
سرعان ما طغت الضّجّة التي اندلعت في المعسكر الليتواني على
المشاجرة الدّسيمة. يستمرّ الجدل الضخم حتى نهاية الطابق لمدة
ساعة كاملة، حتى اندفع أحدهم للخارج، وأغلق الأبواب خلفه.

يتمتع جميع الليتوانيين على نحوٍ ما بنفس المظهر: شعر داكن مستوٍ، ووجه شاحب مليء بالوحامات.

خارج زنزانتني، أخبرني بالاتوف أن لدينا رجلًا ميتًا في طابقنا. توفي الرجل الصغير الذي انضم إلى مجتمعنا الصغير الأسبوع الماضي. بعد أن طار إلى هنا مع كيلوجرام من الكوكايين في معدته، أصيب بالإمساك. يقول بلاك بيرد إنه أمضى خمسة أيام مستلقيًا في الزنزانة أسفل الردهة.

لم يستطع التَّغَوُّط، حتى حين اعتمدت حياته على ذلك.
"رأيتُه. كان البطن كالبالون".

عرض بالاتوف مساعدته، كما يقول، لكنهم لم يقبلوها. لسببٍ ما، يبدو وكأنه يفكر بشدّة في نفسه كلُّما تعلّق الأمر بالأعمال الداخلية لجسم الإنسان.

سمع البولنديون الأخبار المُحزّنة بطريقة ما، وخرجوا وهم يطهرون من المطبخ مثل الغربان في حالة سُكر. يريدون استدعاء سيدهم الحبيب جود في في الحال. حتى إن البعض يريد ذوي القُبَعَات البيضاء⁽¹⁾. لكنّ الليتوانيين لا يريدون أيًا منهما. إنه مشهد مُضحك للغاية في الواقع، مباراة صراخ بالانجليزية بين بولندا وليتوانيا.
"لا تتصل بالشرطة!"

"لا! اتصل من فضلك!" ينتهي الجدل بسرعة عندما يُخرج أحد الليتوانيين مُسدّسًا. إنه موديل ألماني صغير، يشبه الموديل الذي تستخدمه شرطة هانوفر. بدا البولنديون مذهولين، ثم أغلقوا أفواههم

(1) الشرطة الأيسلندية.

على الفور وعادوا إلى زجاجات واييورا⁽¹⁾. يلعب بالأتوف دَوَر الرَّجُل العجوز الحكيم، ويطلب من المُسَلِّح أن يُرُدَّها.

تُشعِرني رؤية المسدس بالدفء من الداخل. إنها تشبه رؤية صديق قديم. أظُلُّ واقفًا لبعض الوقت، وأنا أشعر بتعبٍ من أثر دُوارِ السَّلاح، أشاهده يسير في القاعة، قبل أن أعود إلى زنانتني.

إنه يومٌ أحد طويل. استلقيت على سريرِي، وكان الكتاب المقدَّس مفتوحًا على "تربية لعازر"، بينما يعزف قلبي المقطوعة الموسيقية من فيلم توابلايت زون⁽²⁾.

أحاول الاتصال بجان ثلاث مرَّات. لكنها لا تجيب.

يمكنني محاولة التَّسلُّل من الثكنات والزحف مرة أخرى إلى قبو تورتشور في الطابق السفلي، ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن أظُلُّ هادئًا. ربما يجب أن أخشى زملائي الليتوانيين أكثر من من ذوي القُبُعات البيضاء.

بحثت عن معطف تومي وجواز سفره الأيسلندي، ووضعتَه في جيب سروالي تحشُبًا.

أسمع كل نصف ساعة أصدقاء الرجل الميت يندفعون صعودًا وهبوطًا في الرَّدْهة، صعودًا ونزولًا على الدَّرَج، يتحدثون بصوتٍ عالٍ على الهاتف بلُغَتِهِم الأكثر غرابة من اللغة الأيسلندية. في الواقع، لم أكن أعرف أن هواتف نوکیا تُدعَم اللغة الليتوانية. ذهبْتُ إلى الحَمَّام ورأيت أحد الشاحبين يختفي داخل غرفة الرَّجُل المَيِّت.

(1) wyborowa: نوع من الفودكا البولندية.

(2) The Twilight Zone: مسلسل رُعب تلفزيوني أمريكي أنتجه وقَّمه رود سيرليج من عام 1959 إلى عام 1964.

في المطبخ، انتهى حفل الفودكا بمباراة في الدوري الأيسلندي الممتاز. قد تظن من مسافة أن فريقهم من النساء. كرة القدم الأيسلندية قريبة جداً من كرة القدم العادية، باستثناء أن جميع اللاعبين يتناولون المهدئات الثقيلة. في اللحظة التي يركضون فيها في ملعب لكرة القدم، تتباطأ حركة أولئك الأيسلنديين الذين يتقدمون بسرعة إلى الأمام. سيستغرق الأمر كيلوجرامات من الكوكايين لإصلاح هذه الألعاب.

عندما تنتهي المباراة بتعادل لا شيء، سنكون جميعاً جاهزين لتناول البيتزا. يُطلب من تومي أن يتباهى بأيسلنديته عن طريق طلب خمسة أنواع من الفلفل وستة لترات من الكولا. تمكنت من قول (يوم سعيد) قبل مغادرة المطبخ، وأتولى الباقي بلغة إنجليزية خفيفة في القاعة بالأسفل. بعد أربعين دقيقة وصل فتى التوصيل. تبين أنه صربي كرواتي ويقوم بجولة "مساء الخير" للبولنديين الضاحكين.

ثم، لبرهة وجه عينه الصربية نحوي وابتسم ابتسامة غريبة، كما لو أنه اكتشف الشعار الوطني موشوماً على روجي.

تجمعنا حفلة البيتزا معاً، وربما تكون هذه أفضل ساعة في حياتي العتيقة. حتى بالاتوف بيتسم ويتباهى بأسنانه الصفراء. ولكن في منتصف وجبتنا السعيدة، يأتي أحد ذوي البشرة الفاتحة طالباً التحدث مع البلغاري. نشاهده بصمت وهو مسح فمه بظهر يده المشعرة، وينهض ويتبع الليتوانيين في الممر. بعد بضع دقائق عاد إلى المطبخ ورفع يده كجرّاح روتيني يتحدث إلى ممرضاته:

"سكين".

(1) بالكرواثية في الأصل.

أَقْرَضْتُهُ سِكِّينِي، وسرعان ما تَمَّ استبدال رائحة البيتزا بأكثر الروائح نقاءً للأمعاء ضربت أنفي على الإطلاق. وهذا قادم من رجل اضطرَّ ذات مرة إلى فتح قبر جماعي عمره ثلاثة أسابيع في يوغوسلافيا لأن جافور فَقَدَ نظارته وأمرني أن أَجِدَ له نظارة جديدة.

يبدو الأمر جنونياً، لكنَّ البلغاري المُحِبُّ للسُّود يخبرنا أن لديه "شهادة سماء"⁽¹⁾ في الطب من إحدى جامعات صوفيا. أعتقد أن شهادة سماء في الطَّبِّ تسمح لك بإجراء الجراحة على الموتى فقط. نشاهده يسير في القاعة، وبيده سِكِّينٌ، ورجلاه تشبهان قوسين، يبدو وكأنه قَاتِلٌ أكثر من طبيب، لكن من الواضح أنه يعرف مِهْنَتَهُ. يجري تشريح الجُثَّةِ بمهارة كبيرة: نجحت عملية تعدين الذهب. يتوقَّف الأخوان عن الجِدَادِ على صديقهما في اللحظة التي يُسَلِّمهما فيها الدكتور بالاتوف الواقى الذكري اللُّزج المليء بالذهب الأبيض. حصَّته مائة جرام، ولأنه ليس من مُحَبِّي المُخدَّر الأبيض، فإنه يعرض على الفور أن يبيعني البعض، لكن عليَّ أن أرفض.

أعتقد أن هذا كله جزء من علاجي. لا يزال تورتشور يختبرني، وإلَّا كان وَضَعَنِي في قبو والدته المليء بالهواتف المحمولة وساعات الوقواق بدلاً من هذه المساحة العلوية المليئة برحلات التَّعَرِّي والمخدَّرات.

بعد العشاء يعود البولنديُّون للشرب. بمجرد أن يبدأ مفعول القودكا، يبدؤون في غناء الأغاني الجنائزية البطيئة من جبال كارباتي أو أي شيء آخر. أحبس أنفاسي وأشقُّ طريقي إلى الزاوية الليتوانية لاسترداد سِكِّين الجيش السويسري.

الرائحة قوية لكنني مَمَكَّنْتُ من طرق باب الرُّجُل الميت. فُتِح بسرعة ولكن بالكاد. الفجوة واسعة بما يكفي لكلمة "سكين" فقط. ومع ذلك، استطعتُ أن أرى أن الغرفة مليئة ببعض الأدوات المثيرة

(1) B-gree: من Black Degree.

أثناء انتظار أداقي. لكن ثمة خطر، يخرج اثنان من الليتوانيين من الزنزانة ليؤكدوا لي أن نُسخة كاوناك من منظمة ما ستقتلني إذا أُخبرت أي شخص في أي وقت عن الفوضى الدموية.

أعدّ الوَحَمات في وجوههم (مثل العواصم على خريطة أوروبا) بينما أمتنع عن السؤال عن قاتلهم، وكم قتل، وكيف سيقتلني، والتفاصيل المهمة.

في منتصف الليل كانت الرائحة ما زالت تملأ الأرض مثل ضباب لا يُرى.

سَمِعْتُ زفيراً ثقیلاً في الرّدهة، مصحوباً بصوت حقيبة ثقيلة تُجرّ عبر أرضية رملية وتصطدم بالدّرج. نظرت من النافذة العملاقة لأرى زملائي من البلطيق يضعونها في مؤخّرة شاحنة بيضاء متهالكة ويقودون السيارة بعيداً.

هذا هي إشارتي.

أنتظر بصبرٍ حتى يدخل طبيب المنزل إلى الحُمام ويأوي جميع السبعة عشر إلى أسرّتهم. يدقّ قلبي كموسيقى التّكنو، أغوص في الرّدهة مصحوباً بأطول جذع من حوامل سريري. أضعه رأساً على عقب بجانب باب القتل، وأخطو فوقه لأتسلّق الجدار. يتمّ الأمر بسلاسة، على الرغم من تعرّئي بلافتة كرة سلة ذات ألوان زاهية في الطريق.

الحُجرة مليئة بالأكياس البلاستيكية وصناديق الكرتون الملبئة بالتفّاح. تمّ تخزين خمس شاشات مُسطّحة لم تُستخدَم بعيداً في الزاوية. أبحث في جميع الأماكن الصحيحة، وبحثت داخل كيس بلاستيكي أصفر من متجر المواد الغذائية بونس، وجدتُ مسدّساً صغيراً للجيش الألماني من طراز والتر بي 99، مُشابه للمسدّس الذي رأيته في وقتٍ سابقٍ اليوم. حسناً، أخيراً أشعر وكأنني رجُل حُرّ.

أحمل مُسدَّسًا في يدي. أنا توكسيك مرَّةً أخرى بحق اللعنة، حتى إن
المسدَّسَ مَحْشُوءًا، الخزينة بها اثنتا عشرة رصاصة.

أنا جاهزٌ لحصد لِقَبَّيْنِ من سُداسيِّ عضلات البطن.

لا بُدَّ وأنني مُبْتَهَجٌ بنفسِي للغاية، لدرجة أنني لم ألحظ حتى
وجود سيارة شرطة في ساحة انتظار السيارات. القُبُعات البيضاء
موجودة بالفعل داخل المبنى. يمكنني سماعهم ينزلون من الرَّدهة
في طريقهم إليَّ.

30

شماویش

2006/08/08 - 2006/08/07

أنا الرَّجُلُ القُطُّ. أجلس فوق الجدار بين زنزانة الرجل المييت والزنزانة التالية، متمسِّكًا بالسقف العلوي السميكة الذي يلمس مؤخرة رأسي. أستطيع أن أرى الطابق كله بعين الذبابة، حوالي ست حِجرات على هذا الجانب وست على الجانب الآخر، وبينهما ممرٌ ضيق، والمطبخ في النهاية البعيدة.

أستطيع سَماع الضُّبَّاط يتحدَّثون في الممر. إنهم يتحدَّثون باللغة الأيسلندية فيما بينهم وباللغة الانجليزية إلى أحد البولنديين، الذي يبدو في حالة سُكْر وكأنه استيقظ للتَّو.

"هل أنت بولندي؟".

"لا، أيها الشرطي!".

هناك حجرتان بين الجدار الذي أقعد فوقه وبين مساحتي. أقرب واحدة فارغة، وأتساءل عن الأخرى.

ينتقل قلبي من موسيقى تراش ميتال إلى موسيقى سبيد ميتال عندما أسمع رجال الشرطة يحاولون فتح باب أقرب حجرة. لكن بعد اهتزاز المقبض للحظة، سمعتُ الرجل البولندي يغمغم لا، لا، وسرعان ما أصبحوا على باب الرجل الميت. أمل فقط أن يظلّ منشاري هادئًا. أنتظر حتى يبدؤوا في الطّرق بصوتٍ عالٍ على الباب ويحاولون فتحه بعتلة. ثم أنزلق برفق على الحائط، بأسلوب الرجل القِطّ، وعلى حافة النافذة في الحجرة المجاورة لتلك التي سرقها للتوّ. سيارة الشرطة البيضاء بالخارج فارغة، لا يمكن رؤية قُبعة شرطي، على الرغم من أن الليل لا يزال ساطعًا بدرجة كافية للقراءة. يواصل رجال الشرطة أعمالهم في النجاة وتسلُّق الجدار المجاور، وألقي نظرة خاطفة على الحجرة الواقعة خلفه. إنه ملك أحد البولنديين، وربما يكون هو الواشي؛ لأن السريّر فارغٌ والباب مفتوح.

أخفض صوت الموسيقى في قلبي قبل أن أنزلق من الحائط إلى حافة النافذة ثم أتحرك عبرها بلا صوت. وعيني على الباب المفتوح. لا أحد يراني، وبعدها أنا في غرفتي. تُفسح موسيقى سبيد ميتال المجال لقصيدة غنائية، تكاد تجعلني أغني "بذراعين مفتوحين"⁽¹⁾. أغنيتي المفضلة لفرقة كريد.

أمضيت الخمس عشرة دقيقة التالية أفكر أين أخفي المسدس، المسدس! لكنني لم أكن قد حسمتُ أمري بعد عندما طرّق ذوو القُبعات البيضاء بابي. يقف اثنان منهم في الرّدهة، كرتا ثلج مستديرتان بأنفٍ من الحصى في الزي الرسمي. فجأة أصبحتُ مُقتنِعًا بأنهما نفس الرجلين اللّذين أجريا مُحادثَةً صغيرة مع تاديوس، الرسام البولندي في

(1) With Arms Wide Open إحدى أغاني فرقة كريد الأمريكية.

تلك الليلة المشؤومة. يقف بعض التاديوشيين⁽¹⁾ المنهكين من الشوكا خلف الشُرطِيَّين، ويشرح أحدهما لهما أنني مواطنٌ محليٌّ.
"هل أنت أيسلندي؟" تسألني الشرطة باللغة الأيسلندية.
"شماويش" أجبت بإيماءات كثيرة وابتسامة.

تعني هذه "بعض الشيء" وهي كلمة سحرية علّمتني إيّاها جان هذا الصيف، وقد تبَيَّن أنها مُنْقِذٌ حقيقيٌّ هنا. ثم أَحْضَرْتُ جواز سفري ذا اللون الأزرق الجبلي، وعزف قلبي على نغمة "ن" من نسخة النشيد الوطني الأيسلندي بينما يتفحصون الصنعة التي لا تشوبها شائبة.

قرؤوا اسمي بصوت عالٍ، وتفحصوا وجهي السّلافي بنظرة صارمة.
"توماس ليفور أأفسون؟" يقولون.

"نومي سابقًا⁽²⁾!" أُرِدُّ بابتسامة غبية وأوجّه أمرًا ليدي اليمنى بالبقاء بحق الجحيم في جيبي الأيمن.
"أين تعمل؟" يسألونني بلغتهم الباردة.

أنتقل إلى اللغة الانجليزية (مُوضِّحًا أن والدي كان نصف أمريكي وكل هذا الخراء)، وأخبرهم عن سامفير، فتضيء وجوههم على الفور.
"هل تعرف سامي؟".

يعمل اسمُ السامريِّ الصالح مثل مُجَقِّفِ الشَّعر في الوضع الفاتر، فتحدث لفترة من الوقت عن الرجل الصغير الذي يرتدي نظارات راقصة. يعرفه الشُّرطِيَّان من العمل. أگّدا لي أنه أحد أكثر الرجال

(1) إشارة إلى تاديوش كوسيوسكو القائد العسكري للاتفاضة الشعبية في بولندا عام 1794.

(2) باللاتفية

مُتَعَةً للاعتقال. ثم عادا لجديّتهما مرّةً أخرى وسألاني عمّا إذا كانت لديّ أيّ اتصالاتٍ مع رجال كاوناَس. أقول لهم لا.
"هل لاحظتَ شيئًا واسعًا في المنزل اليوم أو الليلة؟".
"تقصد مريبًا؟".

لديّ اليَدُ العليا الآن. يمكنني الاسترخاء.
يقولون "نعم".

بدون تفكير أو رمش، قرّرتُ أن أتحدّى بروح رياضية، وأنسى كل شيء عن التهديدات الليتوانية. لا بُدَّ وأنه تأثير المسدّس، أو امتنانٌ متأخّر تجاه القُبُعات البيضاء لمنحي أفضل صيفٍ في حياتي.
"نعم. رأيَتهم يأخذون جُثّة القَتيل إلى الخارج، منذ حوالي عشرين دقيقة فقط. رأيَتهم من نافذتي" قلتُ لهم، ودَعَوْتُهُم إلى حجرتي. "كان بحوزتهم حقيبة كبيرة، بدّت ثقيلة جدًّا، وضعوها في مؤخّرة شاحنة بيضاء وانطلقوا بعيدًا".
"هل رأيَته رقمه؟".

"رقم اللوحة؟ نعم. لقد كانت سيارة عالية سبعة- أربعة- واحد".
أنا لا أمزح. أتذكّر رقم الترخيص اللعين. نظر الضابطان إليّ كما لو أنهما يريدان دعوتي إلى البحر الكاريبي في رحلة بحرية في الدرجة الأولى، الصيف القادم، فقط نحن الثلاثة. ثم يعودان إلى رُشدِهما.
"وأين كانت السيارة؟".

"فقط.. هنا بالأسفل، خارج المدخل".

نقف بجوار النافذة، ويميل أحدهم بجواري لإلقاء نظرة أفضل في الخارج. أثناء القيام بذلك، قام عن طريق الخطأ بلمس الشيء

الصغير السميكة في جيبى بفخذه الأيسر. يلتفت الشرطي نحوى تلقائياً ويقول بأسلوب مهذب:

"أفساكى".

هذه أيسلندية تعنى: "آسف، لم أقصد أن ألمس مُسدَّسَكَ".

فى اليوم التالى، عندما عدتُ إلى المنزل من العمل، رأيت ثلاث سيارات دفع رباعى بيضاء تابعة للشرطة تقف خارج فندقنا الحبيب. بعض شرائط الشرطة الصفراء تهتزُّ فى نسيم الصيف المتجمد، وقُبَّعة بيضاء تحرس المدخل. ما زلتُ أسير بجوار المبنى لكن على مسافة، وأقوم مرةً أخرى بدور المشاء الوحيد على الأرصفة الفارغة فى أيسلندا.

بعد ساعة قَرَعْتُ جرس جانهيلدور. تفتح الباب وسرعان ما نصل إلى مطبخها غير المرتب، نتبادل القُبَل مثل عاشِقَيْنِ بائِسَيْنِ. أنسى نفسى تمامًا وأعانقها بشدة: إنها تشعر بالشىء السميكة فى سروالى.

"ما هذا؟".

"حديد ألمانى".

روك الثلج

2006/08/09 - 2006/08/08

تورتشور يتحدث، تومو يمشي.

أعادني الرجل العظيم إلى فندق الأشغال الشاقّة لالتقاط أغراضه بينما يتحدث مع الشرطة، مستخدمًا قدراته في الإقناع وشهرته التلفزيونية التي لا تُقَدَّر بثمن لشرح حالتي. تومي أولافس هو ربيبه، رجلٌ حسّاس حقيقي أراد فقط التَّعرُّف على بلده الأصلي ولا يمكنه تحمُّل العيش مع مجرمين فُساة ومتهورين. أودُّ أن أقول وداعًا لأصدقائي البولنديين، ولدهشتي أميل إلى خدّ بالاتوف في عناق سريع، ما المنفى إلا بحرٌ مُشعِر.

قضيت الليلة في غرفة العهد القديم في منزل تورتشور وهانا. في اليوم التالي أجريتُ حديثًا حاسمًا في العمل مع أوليه، وفي المساء

استقبلني مع تورتشور على عتبة بابه في الطابق الثالث من مبنى خرساني قديم بالقرب من منزل جان.

إن هاربا في نوبة ليليّة من حمّام الشمس الخاص بها، وأنا وأوليه مُثّل مشهدًا مكتوبًا صغيرًا لحبيبتنا تورتشور: التظاهر بأنني أستاذٌ في منزله. من الواضح أن رَجُل الكتاب المقدّس يعرف الجزار من خلال سامي، يتحدثون عن إغفال دور العنف في تعليم الإنجيل، بينما أفحص مجموعة أوليه الرائعة من سكاكين المطبخ التي علّقها فوق موقد الغاز الفخم الخاص به. على الرغم من إدراك ماضي الطَّبّاخ العنيف، إلا أن تورتشور يوليه كلّ الثقة كما لك العقار الذي استأجره. قال في السيارة وهو يضحك بشدّة: "طالما أنك تدفع الإيجار، فلن يقتلك".

بعد بضع دقائق من مغادرة الواعظ في سيارته الجيب المقدّسة، وصلت إلى منزل جان، وسألته أين أضع أشيائي. بدّت متوتّرة، وهي تأخذ السيّجارة إلى غرفة نومها (شيء لا تفعله عادة) وتشير إلى رفّين فارغين في خزانة ملابسها الكبيرة بإصبع مهتَز.

"هل هناك خطبٌ ما؟" أسأل.

"لا. لماذا؟".

"ربما نعتقد أننا لسنا مُستعدّين لبدء العيش معًا؟".

"لا لا. إنه فقط...".

"اعتقدتُ أنّك أردتِ هذا. هل يتعلّق الأمر بتراستر؟".

تنهيدة ثقيلة ثم: "نعم".

"هل تخشين أن يخبر والدك عنّا؟".

"لا، ليس الأمر كذلك، لا أمانع".

الأمر ليس كذلك، هناك شيء آخر. لكنها لن تقول ما هو.

أعرض النوم في الطابق العلوي في العليّة، لكنها تقول لا، وسرعان ما نكون في فراشها، ونحاول إبهاج أنفسنا ببعض الجنس غير المبهج. بعد ذلك، تلتقط هاتفها وتُجري حديثًا طويلًا وصعبًا مع شقيقها الذي لا يبدو أنه مُعجَّب بفكرة العيش مع قاتِلٍ محترف.

قبل منتصف الليل بقليل، بدا شاحبًا وكئيبيًا، حتى إنه لم يُقل "مرحبًا". ينزوي في غرفته الصغيرة عند المدخل، ويُسْغَل روك أيسلنديًا بصوت عالٍ حتى الساعة الثانية صباحًا. تُصاب جانهيلدور بالقلق وتُدخّن علبةً كاملة قبل تنظيف أسنانها بالفرشاة لمدة عشرين دقيقة.

نرقد في سريرها الرخامي، محبوبسين في حِضْنٍ صامت، مثل عُشّاق قدامى في مُتَحَف. هذا ليس وضعي المُفضَّل حقًا، أن نستلقي معًا هكذا، لكنني أوقف تفضيلائي الخاصة للمناسبة الخاصة: ليلتي الأولى التي أعيش فيها مع شخصٍ مارسْتُ معه الجنس، بالإضافة إلى أننا لم نَحْظَ بأيّ نَومٍ على أي حال بسبب موسيقى الروك الأيسلندية التي تتسرّب عبر الحائط. أفترقد بالاتوق بالفعل. ثلاثون دقيقة أخرى من التعذيب الموسيقيّ وسيصبح مُلَحَّنًا كلاسيكيًا مشهورًا. أعاد الرجل المسكين لعب نفس الأغنية لمدة نصف ساعة. يصرخ المُعْنَى كما لو كان عالقًا في قاع وادٍ جليديّ بفخذ مكسورة.

"ماذا يعني؟".

أجابت بصوت ضعيفٍ: "سودوما".

"ماذا يعني ذلك؟".

"فقط... أنت تعرف... سدوم...".

"مثل سدوم وعمورة؟".

"نعم، أظنّ".

قراءة الكتاب المقدس تؤتي ثمارها، ونجل الكاهن عبر الحائط يعرف كيف ينقل رسالته. تتشبَّث بي جانهيلدور مثل فأرٍ يحتضر. أخيرًا استنفذ تراستر غيرته على أخته، ونام كلا السدوميين.

لحسن الحظ، يقضي طائر الكركي وقتًا أقل في المنزل الآن مما كان يفعل في أيام الربيع، حين كان طائرًا هاربًا جديدًا وكان كل شيء أكثر إثارة. أنا أتأقلم ببطءٍ مع الأيسلندية كل يوم. أقضي أوقات الصباح على الإنترنت، وأبحث في "جوجل" دون جدوى عن أسماء مختلفة إلى جانب "مكتب التحقيقات الفيدرالية" و"ديفيد فريندلي" و"المافيا الليتوانية". أو أكتب رسائل بريد إلكترونية إلى الأشخاص الذين قد يعرفون أين يمكن العثور على سينيكا العريضة الغالية، أو أكتب رسائل إلى والدي، والتي تأخذها صديقة لجانهيلدور إلى لندن وترسلها عبر مكتب بريد مَلِكِي.

حُتِنِي الظهيرة على الوقوف في الساحة الرئيسية مرة أخرى، في انتظار الحافلة رقم 6 جنبًا إلى جنب مع المجانين المحليين. ينتهي شهر أغسطس بتوقيتٍ تقليديٍّ مناسبٍ لغروب الشمس، فأرحب بالظلام. يتلاشى علاج تورتشور في شكل بضع مكالمات تَفْقُدِيَّة من المُعْلَم، بالإضافة إلى زيارات منتظمة للجماهير المجنونة في كنيسته التي تفوح منها رائحة العَرَق. في زيارتي الأولى، رحَّب بي بشجاعة وقدم تومي إلى جمهوره اليائس الكادح على أنني "أيسلندي صالح وصديق عزيز! رجلٌ قضى معظم حياته في فندق الجحيم، ولكنه الآن خرج واستأجر غرفة في الجنة، بارك الله روحه! هللوا!".

كان المحفل على قدم وساق، (في الواقع نادرًا ما يجلسون)، حيث ترفع السيدات المشعرات أيديهن في الهواء، مُكْرِّرين هللوا وراء تورتشور. إنه مثل هارلم بدون رقص. أجدي أعانق رجلًا نحيفًا مُعاقًا

وخده شديد البرودة. قال بصوت ضعيف: "أهلاً بك!"^(١). ثم عاد الواعظ إلى اللغة الأيسلندية، ولدهشتي فهمتُ معظمها.

"يجب أن تعرف أعداءك! يجب أن تعلم أن الخطيئة هي ألدُّ أعدائك! ويجب ألا تدعو الخطيئة إلى منزلك أبداً! لا تدعو الخطيئة أبداً لتناول العشاء! لا يجب عليك حتى أن تشتري قهوةً لخطاياك!" يصرخ جهير رجولي، يبدو وكأنه ملاك الجحيم أكثر من كونه لسان الله.

"لأن الخطيئة ستطلب الكريمة في قهوتها. وستطلب السكر. وستطلب الخطيئة ويسكي في القهوة؛ لذلك ستفاجأ بأن الخطيئة تشرب القهوة الأيرلندية! وسرعان ما ستشرب معها. ستشرب مع الخطيئة، وتغني مع الخطيئة، وترقص مع الخطيئة، على جميع أغانيها المفضلة! لذلك اسمحوا لي أن أخبركم مرة أخرى: لا تشتري أبداً للخطيئة فنجان قهوة! مَجِدُوا الله! هَلُّوبَا!"

أسمع نفسي أردد الكلمة الأخيرة، جنباً إلى جنب مع الحشد، بينما أشعر بهيكل مسدّمي القديم الجديد بتعلّ قدمي اليمنى. القطعة الصغيرة تناسب مقاس حذائي البالغ 46. اشتريت لنفسي زوجاً من الأحذية الرياضية، من طراز النعل الأكثر سُمكاً في المتجر، وأجريتُ عمليّة جراحية صغيرة على الجانب الأيمن، حيث أزلت ما يكفي من الطبقات الموجودة في نعلها لتتناسب المسدس تماماً؛ لذلك أنا الآن "أسير في طريق الرب" كما يقول جودموندور، ومُسَدّسٌ في حذائي. إنه أمرٌ غير مريح للغاية، لكنني سأكون مستعدّاً في الوقت المناسب.

لا أعتقد أن باب الجنة مُزوّد بجهاز كشف عن المعادن على أي حال. لا تعرف جان الدافئة عن زميلها البارد. هذه ليست مشكلتها. لدينا ما يكفي بالفعل، لا تسيئوا فهمي.

(1) بالأيسلندية في الأصل.

جانهيلدور شيء عظيم، المشكلة الحقيقية هي أنا. لم أشارك شقّة مع أي شخص منذ نيكو العزيز منذ أيام هانوفر. منحني العيش معه درجة البكالوريوس في التّسامح، لكن تدخين جانهيلدور اللا مُتناهي، وعاداتها في إلقاء الحينز والسُّترات والسراويل الداخلية والزجاجات الفارغة ومَنافض السجائر وصناديق البييتزا حول المنزل تثير أعصابي. في النهاية قد أكون معتلاً اجتماعياً، لكنني أحبُّ ترتيب مساحتي.

"أنا فقط لا أفهم كيف يمكنك أن تكوني ابنة والدَيْك. أعني، منزلهم مَثَل البيت الأبيض بينما منزلك هو البيت القذر".

"حسنًا، دعنا نحصل على بعض المساعدة المنزلية".

"تحدّثنا بالفعل عن ذلك. لا يمكننا تَعْمَلُه".

"لسنا مُضطَرِّين لذلك. اقتل الأولى فور انتهائها من التنظيف لأول مرة. ثم نقوم بتوظيف واحدة أخرى وتقتلها أيضًا. أعني، أنت محترف لعين، أليس كذلك؟".

هكذا تنتهي كل نقاشاتنا. وظيفتي السابقة حاضرةً على الدوام، كأنها حبيبةٌ سابقة معتوهة. عندما تقتل أكثر من مائة شخص لا يَحِقُّ لك أن تشكو من أرضيّة قذرة أو غرفة غير مُرتّبة. هكذا الحال، حتى كادت أن تتحوّل إلى فنانة. في كل مرة تعجز عن الإفلات من موقفٍ ما تنفجر قائلة: "ربما اعتدّت التعامل أكثر مع الموتى أليس كذلك؟" أو "لا يمكنك تَعْمَل الأشخاص الذين يقومون بأشياء مُمِلّة مثل التَّنْفُس والتَّحدُّث، أليس كذلك؟" أو ببساطة "لماذا لا تقتلني وحسب؟".

بخلاف هذا فالأمور على ما يرام.

نذهب إلى وظائفنا ثم غمضي معًا لتناول العشاء قبل أن أسحبها معي لمشاهدة أحدث أفلام الرجل العنكبوت، أو أتركها تسحبني إلى

إحدى الحفلات الموسيقية التي لا تُعدُّ ولا تُحصى في هذه المدينة الصغيرة. لا بُدَّ وأنتي مُعجَبٌ بها بشدَّة لأنني لا أمانع الوقوف لمدة ساعتين كاملتين، وأومئ برأسي إلى فِرَقٍ مُستقلَّة لا قيمة لها مثل إيربلاجس⁽¹⁾ وسليبينج بيلز⁽²⁾، بينما تعزف كريد داخل رأسي على وهج غزو كنين المُدمَّر.

الأمر الوحيد المثير للحزن الحقيقي هو تراستر، الذي لا يبدو أنه يبحث حتى عن مكانٍ للعيش فيه. يمكن لوجوده الصامت أن يكسر بسهولة علامتك التجارية الجديدة إلى أجزاء ويسمح للشخص القديم بالتألق.

في أول أسبوعين لم يستخدم أكثر من كلمتين لعينتين. "مرحبًا ووداعًا" عندما أعطيته عشاءه اللعين، حساء الجولياش الرهيب الذي حملته على ساقي لمدة عشرين دقيقة في حافلة مليئة بضحايا المطر والاعتصاب، لم يقل حتى كلمة "شُكرًا"⁽³⁾ واحدة. لحسن الحظ أنه في العمل معظم الوقت. مؤخرًا عمل واحد من عُمال المتاجر مع تراستر في موقع بناء، ويبدو أن الطائر الصامت نجمٌ في العالم الخرساني.

"إنه عبقرى مع الرافعة. يمكنه من مائة متر أن يلتقط نقودًا صغيرة في أعنى ربح".

حسنًا، هنيئًا له. إذا كان بإمكانه فقط استخدام الرافعة لالتقاط الفتيات...

تمكّنت من إبقاء شياطيني عند الباب، لكنها في الليل تأتي زاحفةً عبر الرياح إلى غرفة نومنا من النافذة التي تُفضّل جانهيلدور أن تتركها مفتوحة.

(1) Ear plugs: بمعنى سدادات أذن.

(2) Sleeping pills: بمعنى حبوب منومة.

(3) بالأيسلندية في الأصل.

بمجرد أن أنام، تتوافد الذَّبَابَات الصربية بإطارات مصنوعة من رؤوس تصرخ- رؤوس قرويين كُروَات ونساء وأطفال ملطَّخة بالدماء والوحل. قوات شيتنيك تخرق دفاعات نَومِي، وتُسرع عبر الحقول المظلمة في روعي مثل وحيد القرن المنهَك. تليها كتيبة من سِتَّة وستين رَجُل أعمالٍ أمريكي، مُسلَّحين بالهواتف المحمولة وحقائب اليد، والذين يُشجَّعون عَدَدُ مُمَائِل من الأرامِل، يصرخن بطول الطريق من الغابات الزرقاء العميقة في نيو جيرسي إلى الأسطح الحارَّة أمام حقول مانيتوبا⁽¹⁾، وكلها مدعومة بمباركة كاهنٍ أصلع بلكنة جنوبية يرتدي زيَّ الكاراتيه الأبيض، حزام أسود بلغاري عليه علامة: يا عاهرة!

يهاجموننا من جميع الجهات. لقد أحاطوا بنا: أنا وأبي وداريو.

نضغط أصابعنا على المسدَّسات الرشاشة، ونحوِّل حصننا الصغير إلى رَشَّاش ماء من الرصاص، لكن دون جدوى. نحن مُرهَقون.

يمكننا أن نسمع الصرخات الرهيبة لنسائنا وأطفالنا من مسافة قريبة للغاية، وهم يتدحرجون مع دَعَس الذَّبَابَات التي تقترب بسرعة، وعلى أصوات المدافع شديدة الصَّخَب.

شعرتُ فجأة أن والدي مصاب. لقد أصيب في كتفه اليمنى. نظرت ورائي وشاهدته يستدير بِبطءٍ نحوي. لكن لا يمكنني فعل أي شيء حيال ذلك؛ لأنني يجب أن أواجه العدو، ولا بُدَّ لي من مواصلة إطلاق النار. لكن بعد ثانية شعرت بيديه على رقبتَي وحول رقبتَي. لقد أمسك رقبتَي بأصابعه العشر القويَّة. أشعر أنه على وشك خنقي عندما أستيظظ وأرى وجه تراستر الأحمر في ضوء الصباح الأزرق الذي يملأ غرفة النوم.

(1) Manitoba: مقاطعة في كندا.

يحاول تراستر أن يخنقني، اللعين! أمسكتُ بذراعيه وحاولت دفعه بعيداً، لكنه قَوِيٌّ ومُضْلَعٌ مثل الثَّور.

تستيقظ جانهيلدور وتصيح باسمه. يُضعِفُه هذا بما يكفي حتى أتمكّن من تخفيف قبضته على رقبتني: سرعان ما نتعارك على الأرض بجانب السرير، ونخلق زوبعة من المجلات والأقراط والواقيات الذكرية ومصباح إضاءة، لكنها لا تدوم طويلاً. الجندي الكرواتي وقاتل مانهاتن المحترف، المعدوم بكلمة الله، يهزم ابن الواعظ بسهولة.

فقط لاكتشف أنه ليس ابنَ الواعظ. تراستر ليس شقيق جانهيلدور، إنه، أو بالأحرى كان صديقها. هذا اكتشافٌ بالنسبة لي.

لثلاثة أشهر كاملة كان لديّ انطباعٌ بأنه شقيقها، وأنه ابن جودموندور وسيكريدر. وفي الواقع، أخبروني بذلك بدايةً، عندما كنت لا أزال أمثل دور فريندلي، وكان كل شيء مُعَقِّداً على نحوٍ غير مُعَقَّد. قالوا لي إنه ابنهما، لكن لهجتُهما جعلت "صهره" تبدو لي كـ "ابنٍ عشيقٍ" بدا الأمر غريباً بالنسبة لي في ذلك الوقت؛ إذ يتفاخرون بحياة ابنهم العاطفية، لكنني الآن أفهمها.

والآن أستطيع أن أرى أن فتاة الجليد خدعته معي، في العلنية، كنتُ مُحطَّمٌ حُبُّهم. بعد فترة وجيزة، لا بُدَّ أنهما انفصلا، لكن الوغد المسكين لم يترك بيتها، ولا حتى بعد انتقاله للعيش! لا بُدَّ وأن الذكر الأيسلندي واحدٌ من أكثر الحيوانات التي لا تشتكي على هذا الكوكب. لكن بالطبع كان دَمُه يغلي تحت غطاء الصمت، كان يجب أن ينفجر آجِلاً أم عاجِلاً.

وبالطبع كان عليه أن يُغادر آجِلاً أم عاجِلاً.

ها هو يفعل ذلك الآن.

التعافي من السموم

2006/09/10

"كيف لا تعرف أنه حبيبي؟ أعني، كُنَّا نعيش معًا، ننام في نفس السرير"

نحن في طريقنا إلى سايلنس جروف، يجب تسوية أمر صهره. يجب أن أواجه مُنْقِذِي روحي وأخبرهما أنه بالإضافة إلى كل شيء آخر، سأخذ ابنتهما أيضًا.

لكن لا أعتقد أن والدها سيُمانع. نحن "نعيش الأيام الأخيرة" على أي حال.

تتولى القيادة كالعادة. لدى تومي جواز سفر ولكن ليس لديه رخصة قيادة. مررنا بمطار وسط المدينة المحلي. يدقُّ المطر فوق حاجب الريح، ويبتُّ الراديو أغنية شاكير. "هيس دونت لاي".

رأيتها أنا ومونيتا ذات مرة تدخل مطعمًا فاخرًا في مسرح رو، في واحد من مواعيد العشاء العديدة قبل فترة المداعبة. راقبَ كلانا مؤخرتها الكولومبية العظيمة، وبمجرد أن توارت عن الأنظار، أعلنت مونيتا أنها كبيرة جدًا. لم أكن أرغب في إخبار حلوتي أنها تبدو صغيرة جدًا مقارنة بمؤخرتها الأشبه بمعبد الأزتك؛ لذلك سرعان ما أضفت للمحادثة الكنز اللاتيني الثالث: أكبر ممتلكات جي لو⁽²⁾، وخلصتُ إلى أن أمريكا الجنوبية لطالما كانت كبيرةً من الخلف بكل معنى الكلمة. أضحكها هذا حتى وصلت إلى فراشي.

أحتاج إلى كل قوتي العقلية لإخراج المؤخرات الثلاثة العظيمة عن ذهني، وتأكيد حقيقة أنني أجلس بجوار صديقتي الشقراء الجديدة في سيارة في أيسلندا.

"آسف، ماذا قلت؟".

"كيف يمكن أن تعتقد أننا كنا أخًا وأختًا؟".

"لم أكن أعتقد أنه كان أخاك. اعتقدتُ أنه كان كلبك".

تقود السيارة لفترة. إنه يوم الأحد في ريكيافيك الممطرة. الجميع ينتقلون في سياراتهم، يلوحون لبعضهم البعض باستخدام مساحات الزجاج الأمامي. مررنا باللؤلؤة، المطعم الموجود على السطح. إنها قُبَّة من الزجاج والفولاذ مبنية فوق بعض خزانات المياه البركانية. كنتُ سأصطحبها إلى هناك يومًا ما لو كانت وظيفتي مُربحة.

تقول: "لقد كنا معًا لفترة طويلة جدًا".

"منذ متى؟".

(1) Aztec إحدى حضارات الشعوب الأصلية في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية.

(2) جيفر لوبير مغنية أمريكية ترجع أصولها إلى بويرتو ريكو في أمريكا الوسطى.

"منذ المدرسة الثانوية، ولكن مع بعض الانقطاعات الطويلة".

جيد جدًا في الواقع، بالنظر لنومها مع أربعة فرق كرة قدم (لا يشمل حُرَّاس المرمى).

"حسنًا، ومتى انفصلتما؟".

"ماذا تقصد؟".

"متى أخبرتَه عنَّا؟".

"فقط... كما تعلم عندما، بدأنا بجديَّة".

"ومتى كان ذلك؟".

"عندما انتقلتُ للعيش، على سبيل المثال".

تبدو غاضبة، وأنا غاضب بشدَّة.

"عندما انتقلتُ؟ قلتُ له حينها فقط؟!".

"نعم، في ذلك الوقت".

"إذن... لمدة شهر كان... كل ليالينا في محل الأثاث... كان يعتقد أنكما ما زلتما معًا؟!".

"حسنًا، أعتقد أنه شك".

"إذن أنتِ كذبتِ عليه وكذبتِ عليَّ؟".

"أنا لم أكذب عليك. أنتِ لم تسأل قطُّ".

"لم أسأل قطُّ؟ يعني كيف يمكنني؟ اعتقدتُ أننا معًا! لم أكن أعرف أن لديكِ حبيبًا!".

"ولم أكن أعرف أن لديكِ حبيبة!".

"لكنها ماتت!".

"لم تكن كذلك في المرة الأولى...".

"لا... أنا أعلم. لم يكن ذلك جيدًا؛ لهذا غادرتُ".

"هراء! غادرتُ لأنك اكتشفت أنها ماتت وكنتُ مصدومًا".

"هل يمكنك إيقاف السيارة؟".

"ماذا؟".

"أريد أن أخرج... انتهى الأمر".

"انتهى؟ لماذا؟".

"يجب أن أكون قادرًا على الوثوق بك تمامًا".

"ولكن يمكنك الوثوق بي".

"لا. لقد كذبت عليّ".

"أنا لم أكذب! أنت لم تسأل أبدًا!".

"أنت كذبت عليه وستكذبن عليّ. لن أستطيع الوثوق بك أبدًا".

"يا إلهي تود. لماذا لا تطلق النار عليّ فقط وبعد ذلك سيكون لديك ثقة!".

صمت.

إنها تزيد سرعتها، وأنا أضغط على المسدس داخل حذائي. كلانا يتطلع إلى الأمام. يمكن رؤية مؤخرة سيارة نيسان باثفايندر البيضاء مضاءة باللون الأحمر إذ تسير أمامنا عبر المطر والضباب. تعمل المساحات على الزجاج الأمامي، من جانبي إلى جانبيها، ومن جانبيها إلى جانبي.

"أنا حُبلى".

من الواضح أنها هي مَنْ تتحدّث، ولا يسعني إلا أن أردّد بعدها،
كما فعل أول شخص معتوه في البشرية عندما اكتشف أن زوجته
حامل.

"حامل؟".

"نعم".

"رائع. متى اكتشفتِ؟".

"هذا الصباح".

"و...؟".

"و؟".

"هل هو ابني؟".

"نعم بالطبع هو ابنك! ماذا تحسبني؟! إنه ابنك بحق اللعنة! أنا
أحمل طفلك اللعين!".

بدأت في البكاء، دموع في الخارج ودموع في الداخل، وظروف
القيادة الصعبة. توقّفت عند محطة الوقود التالية. أحاول أن أخبرها
كم أنا آسف. كم هو رائع أنها تُنجب طفلي. طفلي! يجب أن يكون
هذا أفضل خبر سمعته منذ هَزَمَ سوكر⁽¹⁾ الألمان في فرنسا عام 98.
أقدم لها ذراعي، وهي تفتح حزام الأمان قبل أن تسقط في حضني.
تبكي لبعض الوقت، أعتقد أن نصف ذلك بسبب حملها. أخبرتني
مونيتا ذات مرة أن النساء الحوامل يبكين كثيرًا، يتعلّق الأمر بترأّكم
الماء في الرّجَم وإضافته إلى إمدادات المياه؛ ممّا يتسبّب في حدوث
فيضان في بعض الأحيان.

(1) davor suker: لاعب كرة قدم كرواتي.

أحدّق خارج الزجاج الأمامي. تضمّ محطة الوقود الجديدة أيضًا مطعمًا للوجبات السريعة. أشاهد أبا شابًا يمر تحت علامة كنتاكي الحمراء الزاهية ممسكًا بيد ابنه الصغير. تبكي لفترة أطول قليلًا فيبتل مُنْفَرَج ساقِي. إنه هطول الأمطار إذ يعود إلى المصدر، إنها دورة الحياة.

دَفَعَت نوبات انفعالاتنا العاطفية البخارَ على النوافذ، فحوّلت السيارة إلى ما يشبه الشرنقة. ثم أخيرًا رَفَعَت وجهها الذي أغرقته الدموع. أكرّر أسفي.

"أنا آسف، لم أقصد أن أضايقك. أنا سعيد جدًا بذلك".

"هل أنت كذلك؟".

"نعم، بالطبع، بكل تأكيد. أنا مبتهج".

"لذا هل تعتقد أنه يمكنك أن... تثق بي؟".

"هل يمكنك الوثوق بي؟".

أشعر بالمسدس في قدمي.

"نعم".

"لكنك تعرفين مَنْ أنا جانهيلدور، أنتِ تعرفين ما فعلته. أنا لا أفهم كيف يمكنك الوثوق بي؟ كيف يمكنك تكوين أسرة مع شخص مثلي؟".

"أنا أحبُّكَ" ز

"وأنا... وأيضًا أنا".

قد لا يكون الأمر صحيحًا نحويًا، لكن المعنى يصل إليها وتبادل القبل. لقد قطعْتُ شوطًا طويلًا، لقد قطعْتُ كلَّ الطريق من إخراج مسدّس من شرج رجل في غرفة فندق بالطابق الخامس والأربعين

في وسط مانهاتن، إلى احتضان فتاة شقراء كالزُبدة في سكودا حمراء كالصليب الأحمر، في محطة وقود حقيرة في إحدى ضواحي أيسلندا، وأقول لها إنني أحبها، وأنا لا أكذب، على ما أعتقد.

شعور حسن لعين.

ولكي تستقيم الأمور على الإطلاق؛ قرّر الراديو أن هذه هي اللحظة المثالية لأغنية "توكسيك" لبريتني سبيرز. مذهل حقًا. بالعودة إلى مدينة نيويورك، اعتادت أن تكون "أغيتي" بالطبع. كان الفتيان يضايقونني بها. في الواقع أحببتها نوعًا ما، حتى انتهى بي الأمر بشراء القرص المضغوط اللعين، واعتدت تشغيله بصوت عالٍ في طريقي إلى مهمّة القتل. كانت تُشعّرني بالقوة، وتجعلني في مزاج جيّد لقتل جيّد. سماعها الآن يكشف للذات القديمة أن الجديدة قد ابتلعتها، الأولى صغيرة مثل رصاصة، والأخيرة كبيرة مثل الحب.

لقد تطهّرت من السموم.

لم تلاحظ جانهيلا دور الأغنية، وبعد لحظة طويلة من السعادة الشديدة، واصلنا السير. يأخذنا الطريق السريع المكوّن من مسارين عبر نفق، أسفل منحدر وأعلى آخر، ثم تحت جسر علوي. تسير سيارات الدفع الرباعي الفاخرة أمامنا؛ ممّا يثير "غبارًا" مصنوعًا من الماء. تنعطف إلى جاروبير، المدينة الخاملة التي يعيش فيها والداها. ثم قالت فجأة: "إذن، هل تريد أن تعيش في أيسلندا؟".

"نعم. ولكن فقط ما دُمّت حيّة، بمجرد أن تموت، سأرحل".

"لذا من المحتمل أن تقتلني؟".

"ليس إذا تزوّجتي".

"هل هذا طلب زواج؟".

"لا، إنه تهديد".

نظرت إليّ بابتسامة يمكنني أن أقتل من أجلها. عفوًا لا. بابتسامة يمكن أن أعرض نفسي للقتل من أجلها.

نحن اثنان سعيدان من الهامستر، ونتوقع الثالث بينما نتوقف أمام منزل والديها. ألقيتُ عليها نظرة سريعة وجادة لأسأل: "هل يجب أن نخبرهما أيضًا عن الطفل؟".

عاد وجهها إلى طبيعته تقريبًا، رغم أن عينيها ما زالتا حمراوين قليلاً.

"لا ليس الآن. لست متأكدة ما إذا كنت أريد الاحتفاظ به".

"ماذا؟ جانهيلدور؟ لا!".

نظرت إليّ لبعض الوقت ثم ابتسمت ابتسامةً بشفتيها الرطبتين.

"استرخ. لقد كان مجرد اختبار".

زَمَنُ الاجْتِهَادَاتِ الْعِلَاجِيَّةِ الْقَضَائِيَّةِ

2007/05/12

إنه مايو 2007. لقد مرَّ عامٌ منذ وصولي العابر إلى أيسلندا. منذ تقاعُدي المبكَّر من صناعة القتل. دخل إلى روحي شتاءٌ مليء بالأيام المظلمة والليالي الثلجية. والآن أصبحت مُشْرِقةً مرَّةً أخرى. الربيع هنا باردٌ كما كان دائماً، مع ضوءٍ لا نهاية له، ومسابقة الأغنية الأوروبية، العريضة السنوية للنساء الرائعات والرجال المثليين. إنها الليلة.

نذهب إلى والدَيَّ جانهيلاور من أجل تجمُّع عائليٍّ⁽¹⁾ تقليدي. الطفل الكرواتي الكبير بداخلها قد يحين موعده في أي لحظة الآن، وهي تبدو مثل الأفعى التي أَكَلَتْ كُرَّةَ السَّلَّة. تقول جان إنني أربُت على بطنها كما لو كنتُ أنتظر مليون دولار وليس طفلاً. ترخَّب بنا

(1) Fjölskylduboð. بالأيسلندية في الأصل.

سيكريدر، وتُقبَّل ابنتها وصهرها على الخد، وهذا الأخير لأول مرة في الواقع، لقد استغرق الأمر موسم كامل من الظلام لتقبل حقيقة أن ابنتها ستنجب مُجرِمَ عصابات مُستقبليًا.

أخبرتني عَشِيَّة عيد الميلاد، عندما تَصَادَف أن كُنَّا وحدنا في مطبخها: "أريدك أن تعرف أنك إذا خذلتنا، فساذهب إلى الهاتف وأتصل بالسفارة الأمريكية على الفور".

بعد أن تدرَّبْتُ جيّدًا على العادات الأيسلندية، خلعتُ حذائي الرياضي ووضعتُه في زاوية. يُسمح لجانهيلدور بالّا تخلع حذاءها شبه العالي. (وفقًا لقواعد المنزل الأيسلندية، يُسمح لك بالدخول بحذاءك إذا كانت تكلفته أكثر من مائتي دولار) تمشي في غرفة المعيشة وتخرج إلى الشرفة لتُقبَّل والدها.

جودموندور بالخارج يعبث بشوَاية الغاز، فخر كلِّ منزل أيسلندي؛ مخلوق أسود بأربع أرجل وتُدي أصفر لامع يتحمَّل الشتاء الطويل في صمت. يتسكَّع في الحدائق الجليدية مثل حيوان ثديي في القطب الشمالي. تمَّ تصميمه في الأصل لحفلات الشواء في تكساس، وقد رأيتُ أفرادًا من بلاد الراحة⁽¹⁾ يزيلون الثلوج عن ظَهْره قبل إشعال اللهب. في بعض الأحيان، تعود شريحة اللحم المطهوَّة جيّدًا نصف مُجمّدة بسبب العاصفة الثلجية.. هؤلاء الناس سادة حقيقيون في خداع الذات.

بعد قليلٍ وصل آري شقيق جانهيلدور. لقد عاد إلى المنزل لبضعة أسابيع بعد دراسته لشيء له علاقة بالكمبيوتر في بوسطن. رجُلٌ أشقر بوجنتين حمراوين ونظارات. يبدو وكأنه نسخة مُحدّثة من والده. نلتقي للمرة الأولى.

(1) Easelanders: حُرِّفَها الكاتب من Icelanders.

"مرحبًا، أنا توماس".

"أهلاً".

"ندعوه تومي!" يصيح جودموندور بسعادةٍ من الشرفة، وهو يرتدي قُفَّاز الشتاء ويمسك الكمّاشة. أطلق عليه أحيانًا اسم جوندي. أتحدّث مع آري عن فندق ويستن كويلي بالاس في بوسطن حيث حضر مؤخرًا حفلة عيد الميلاد الثلاثين لأحد أصدقائه (وقد نفّذت العملية رقم 30 قبل بضعة سنوات). ثم شاهدتُ جانهيلدور وهي تفتح الباب الأمامي لأوليه وهاربا اللذين يُحييانها بابتسامة وزجاجة وباقة زهور. إنهما يشبهان إلى حدٍّ ما زوجين مُختلطي الأعراق: فتاة العود مدبوعة إلى أقصى الحدود، لكن رَجُل اللحم أبيض كقُبْعة الطباخ.

بعد فترة وجيزة، وصل تورتشور وهانا مع أطفالهما الصامتين.

كالعادة، مصافحته قادمة مباشرة من الكتاب المقدس، وأنفاسها الطبيعية غير مُلوّثة بالفلورايد أو غسول الفم. يجلبون لحمهم، ربما من الحَمَل الذي ذبحه تورتشور بنفسه في مرآبه. أحضره إلى جودموندور، ودردش الرُّجلان لبعض الوقت بالقرب من شواية الدخان وكانهما زعماء قبائل.

"كيف تسير الأمور بشأن الخطاب؟" تسأل هانا.

"الأمور على ما يرام".

إنها تشير إلى خطاب فريندلي.

"أمرٌ جيّد أن أسمع ذلك. وهل سترسله؟".

"لا أعرف، قد أفعل".

نأكل مُبَكَّرًا حيث يبدأ البَتُّ المباشر الساعة السابعة في هذا الجزء من العالم. يرتدي جودموندور ربطة عنق وردية ويرفعها على كتفه بينما يأتي باللحم الدافئ من الشرفة الأرضية الباردة. يسألني آري عن العمل. يبدو أنهم لم يبلغوه بماضيّ الدموي. أخبره عن وظائفني، بصيغة الجمع؛ لأنني الآن أؤيد التقليد الوطني المتمثل في وجود وظيفتين. في الصباح أعمل في الكافيتريا بالمكتبة الوطنية، وأعمل أربع مرات في الأسبوع في كنيسة تورتشور. وهذا يشمل مسح أرضيات من عَرَق الوحي الإلهي، وأحيانًا مواسة المرأة الوحيدة التي تبقى لتحدّث عن خيانتها. وبينهما أنهي دروسي في اللغة الأيسلندية وأعمل على رسالتي.

يتضمّن هذا الشيء الأخير البحث الذي أقوم به عادةً في المكتبة على الكمبيوتر المحمول القديم لابنة هانا، وهو عبارة عن قطعة حَجَرٍ من القرن العشرين مليئة بالجيل، ولكنها خالية من أي كماليات العصر الأخير. ومن وقتٍ لآخر، أتلقّى أيضًا دروسًا في الكاراتيه من تورتشور في غرفة المرتبة.

أوليه وهاربا خجولان بعض الشيء في وجود كل هؤلاء المشاهير.

يركّز أوليه على الأكل، بينما يرقص قرطه الصغير في فُكّه مثل نظارات سامي وهو يمضغ الحَمَل السماويّ بلا هوادة، لكن هاربا بالكاد تلمس نصيبها. ينظر تورتشور إلى زجاجة حمراء كما لو كانت مليئةً بدم الشيطان. عرض أوليه أن يسكب لي البعض لكنني أرفض بصمت. تأتي لحظة وجيزة من الإثارة عندما تطلب مني جانهيلدور تمرير الصلصة وتناديني بـ "تود" إذ تعضُّ شَفَتَهَا، لكن "أوليه" و "هاربا" يشعران بضغيطٍ شديدٍ فلم يلاحظا ذلك، في حين تحدّث آري مع هانا.

يتحوّل الحديث إلى الحرب في العراق ومشاركة أيسلندا فيه. بطريقةٍ ما، تمكّنت الدولة التي لا جيش لها من الخروج بجُنديٍّ واحد، ثم أرسلته إلى بغداد للمساعدة في هذه الفوضى الكبيرة. ولكن الآن تجري عملية إعادته إلى المنزل. لقد تطلّب الأمر كتيبةً كاملة من الأمريكيين لحماية الوغد البائس.

"لم يرغبوا في المخاطرة بالقضاء على الجيش الأيسلندي بأكمله"، كما يقول آري بلهجة أمريكية، ثم يضحك ضحكةً بلهاء بعينها لم أسمعها منذ سنوات، لكنني أتذكرها من كافتيريا الجامعة في هانوفر. درس شقيق نيكو علومَ الكمبيوتر، وكان أصدقاؤه يضحكون بهذه الطريقة طوال الوقت. الأولاد الأذكيا يضحكون على غباء الآخرين... و"الآخرون" هم جميع الأشخاص في العالم باستثناء أولئك الذين يدرسون علوم الكمبيوتر في جامعة هانوفر.

يضحك أوليه معه، لكن تورتشور ينظر إليهما من تحت حواجب ثقيلة، كما لو كان يفكر في تسليح كل المصلّين وإرسالهم إلى العراق ليُعلّم هؤلاء المسلمين كيف يختنون قلوبهم. لكن بدلاً من ذلك التفّت إليّ -ابن مواليد طفرة الكتاب المقدّس- وقال إن هذه ستكون المرة الأولى على الإطلاق التي يشاهد فيها مسابقة الأغنية الأوروبية. يقول إنه يفعل ذلك من أجلي.

"وأنت تنظر إلى رجلٍ أخبر شعبه ذات مرة أن تكريس وقتك لمهرجان الحمقى هذا كان شكلاً من أشكال عبادة الشيطان. ها ها. كانت تلك هي السنة التي أرسلنا فيها لوطيّا يرتدي زي لوسيفر¹ نفسه. لا، إنه لا شيء سوى الغرور وانزعاج الروح. لكنني سأعصّ لساني هذا المساء.. ها ها."

(1) Lucifer اسم الشيطان في المسيحية قبل خروجه من نعيم الرب.

سيكون عرضًا متوحشًا. منذ فوز الوحوش من فنلندا العام الماضي، تقام مسابقة هذا العام في هلسنكي.

يبدأ البثُّ بهم وهم يعزفون الأغنية الفائزة "روك هَلُّويا". مشاهدة رَدِّ فعل تورتشور أمر مُعذِّب حقًا. ومع ذلك، أظن أنه معجب قليلًا بعازفي الروك الدينيين. إن أسلوبه الكرازي متأثّرٌ بأسلوب الهيثي ميتال بدرجة كبيرة.

دور أيسلندا هو رقم خمسة في القائمة. عازف روك أصهب متأثّر بالبرد ويرتدي الجِلْد يصيح بـ "عيد الحب المفقود". جانهيلدور تحبه، وأنا كذلك. أشاهدها تجلس بجانب شقيقها على الأريكة، وهي تمُدُّ ساقها البيضاء الطويلتين على الأرض، من تحت الفستان القصير الأسود المشدود على بطنها. حبيتي المُشرقة. احمرَّت الشفاه والفخذان بِسُمكِ بوصة واحدة عن العام الماضي. أصبحت مُؤخَّرتها لاتينية تقريبًا الآن، وقد ارتفع ثديها إلى مستوى مناسب. بشكل عام، تبدو أكثر جاذبية، بصرف النظر عن بطن كرة السلة الصلبة من أثر تراكم المياه، لكنني لم أدفعها للبكاء على الإطلاق في الشتاء الماضي.

ثم ألقى نظرة فاحصة أخرى على تورتشور. رئيسي الجديد، ديكان الأيسلندي. إذا كانت لديه نقطة ضعف تجاه وحوش تمجيد الله فيمكننا القول إنه عاد إلى شخصيته المُحبَّة للهارد روك الآن. تنعكس ألسنة اللهب المتلألئة "الغرور وانزعاج الروح" في نظارته، بينما يُعَبِّر عن ازدرائه بشفتيه، وهو يتحرّك في لحيته مثل دودتين على العشب. إن مشاهدته إذ يتابع مسابقة الأغنية هذه مُسَلِّية أكثر من مشاهدة العرض نفسه. يُدْغِرني بديكان وهو يشاهد دينامو زغرب يخسر أمام هايدوك⁽¹⁾.

(1) نادي كرة قدم كرواتي.

قَرَّرَت كروايتا هذا العام استخدام جهاز ضبط الوقت مثل
أيسلندا. إنه دادو توييتش يلعب وحده مع بعض الأطفال الذين لم
أرهم من قبل. دادو هو ملك موسيقى الروك الكرواتية، لقد كتب
الموسيقى التصويرية لشبابي كله. حتى إنه كان حاضراً في الليلة التي
فَقَدْتُ فيها عُذْرِيَّتِي.

الآن يغني: "أؤمن بالحب"⁽¹⁾ بصوته الخشن العميق، ولا يزال
شعره طويلاً ويرتدي حذاء رُعاة البقر.

الأغنية جيدة في الواقع، لكن تورتشور يقول إن الفتاة التي تُغني
معه غير متناغمة. بَرِّئَكَ يا رجل!

قبل أن تنتهي الأغنية، يرنُّ جرس الباب، فيذهب إليه جودموندور،
ثم يعود قائلاً إنه لي. ألقى نظرة سريعة على والدته طفلي وأتجه
نحو الباب. إن الباب موارَب، فيندفع في وجهي بردُ الربيع الأيسلندي
المذهل مثل نوع من الغاز عديم الرائحة الذي يجعلك ترتجف حتى
العظم. لكن لا يمكنني رؤية أي شخص هناك.

أخطو على العتبة الذهبية الشهيرة وأبحث عنها. أمسك شخص ما
بذراعي ويمكنني أن أشعر بفوهة المسدس إذ تخترق جانبي الأيسر.
ربما تمَّ غسل عقلي في نهر الأردن، لكن جهازِي العصبي لا يزال جندياً.
أشعر بالمسدس عندما يكون هناك.

إنه نيكو.

من بين جميع الرجال في العالم، إنه نيكو اللعين.

يَخْفُق قلبي على الفور قبل أن تهبط الإبرة على أغنية بريتنبي
"توكسيك". في لحظة واحدة، تغطي حياتي القديمة على الجديدة.

(1) بالكرواتية في الأصل.

يقول باللغة الكرواتية بابتسامة معتادة: "تسعدني رؤيتك"، ويطلب مني الانضمام إليه في جولة، مشيراً إلى سيارة أودي سوداء تقف في الشارع. "أعتقد أننا يجب أن نتحدث".

من الجيد أن أسمع لسانَ وطني مرةً أخرى.

أقول له إنني بحاجة للحصول على حذائي. من الواضح أنه لم يكن مستعداً لهذه المعلومة المباغتة، وشاهدني أعود داخل المنزل.

الحذاء خلف الباب. ربما ينبغي أن أدعو أوليه للقفز إلى المطبخ للحصول على سكين حاد، أو أطلب من تورتشور أن يخرج لسانه الناري. لكنني أكتفي بالانحناء فوق حذائي الرياضي ذي النعل السميك، وشعرتُ بنظرة نيكو الحادة تطعن ظهري، بينما أستمع إلى الأوتار الأخيرة لصدى أغنية دادو من أحشاء المنزل متبوعاً بالتصفيق المجنون من الجمهور. أرتدي حذائي، وحين مَدَدْتُ يدي لأمسك بسترتي الجلدية السوداء هزَّ نيكو رأسه رفضاً.

أقول "لكن الجو باردٌ بحقٍ اللعنة".

"لن يطول الأمر".

تصرخ جانهيلدور بشيء من غرفة المعيشة فأتردد للحظة، وأنا أنظر في عيني صديقي القديم، قبل أن أغلق الباب خلفي، وبمجرد أن نكون بالخارج يفتشني بسرعة، ويبحث عن بندقية آلية في إبطي، في جيوبي، بين فخذي. أرتدي سترته سوداء رفيعة فوق قميص أبيض وسروال جينز رائع ساعدتني جان في اختياره. عندما دخلتُ السيارة، ظننتُ أنني لاحظت بعض الحركة في نافذة غرفة المعيشة الخاصة بنسبائي. كما لو أن أحدهم قد رآنا. لا داعي للقلق حقاً. سيحضر الرجال المقدسون فريقهم الخاص من ملائكة التدخّل السريع لإنقاذي.

إدًا... مُنِعتُ للسنة الثانية على التوالي من مشاهدة مسابقة يورو فيجنز بالكامل. كنت أتطلع حقًا إلى فقرة الدخول الصربي. ترددت شائعة أنهم سيُدخلون قِزَمَةً مِثْلِيَّةً، تبدو مثل ابنة ميلوسيفيتش¹ غير الشرعية، تصلي من أجل الحب، أو السلام، أو قطعة من أرضنا، أو أي شيء آخر.

لم يتغيّر نيكو كثيرًا، تحوّلت لحيته الصغيرة إلى اللون الرمادي قليلًا، وظهرت على جلده علاماتُ البرد. لكن الأنف الطويل ومُقلّ العيون السوداء القاسية موجودة- نظرته تلك التي تقول بوضوح "لا تعبث معي بحق اللعنة!". يُلقي بنفسه على المقعد بجانبني، وينطلق السائق.

تفوح من السيارة رائحة الجلد والرفاهية. يبدو أن عمرها حوالي ساعتين. أتعرف على السائق، إنه مُموّل نيويورك، رادوفان العزيز الحبيب. حلق رأسه تمامًا، حتى إنه يرتدي نفس النظارات الشمسية اللعينة التي ارتداها في آخر يوم لي في أمريكا.

إدًا حان وقت لَمّ الشمل، تكرار اللقاء⁽²⁾. يجب أن نتّجه إلى مطعم فاخر حيث ينتظر دون ديكان في نهاية الطاولة، محاطًا بشبهات جان، ويمتصّ سيجار هافانا الدّسم الذي كان يحاول إشعاله على مدار الثلاثين عامًا الماضية.

نيكو يراقبني، ويحتفظ بمسدّسه أ.ق.أ بالرغم من أنه ظلّ يُصوّبه ناحيتي. إنه من طراز نسر الصحراء، وهو شبه آليّ شديد السّواد صُنِع في إسرائيل. أذكر عندما حصل عليه لأول مرة، احمرّ تشوّقًا مثل صبي، لقد صمّم أن يحصل على واحد بعد أن شاهد أول أجزاء فيلم ماتركس.

(1) سلوبودان ميلوسيفيتش: رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية من 1997 حتى 2000

(2) بالكرواتيّة في الأصل.

كعادة نيكو. تشبه عيونه السوداء فتحة البرميل. ثلاثة ثقوب سوداء تحدّق في وجهي. "لا تعبث معي بحق الجحيم!" هذا ما شعر به ضحاياه عندما واجهوا المسدّس المَحشوّ والإصبع التي تنوي قتلاً. إلّا أن الله في صَفِّي. في كل مكانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ والصَّالِحِينَ⁽¹⁾.

يبدو أن رادوفان أمضى أسبوعاً في ريكيافيك. إنه يقود سيارته مثل محليّ بالفعل، بثقة وسرعة كبيرتين. الشوارع مهجورة. الجميع يشاهد السُّحَاقِيَّاتِ الصَّرْبِيَّاتِ.

"إذن انتظرتَ اللحظة المناسبة؟" أسأل.

يقول نيكو: "كُنَّا ننتظر هذه اللحظة".

أقول: "أنا أيضاً. لقد استغرق الأمر وقتاً أطول ممّا كنتُ أعتقد".

"ربما اعتقدتَ أنك هربتَ منّا... يا توماج ليفور؟".

عليّ الاعتراف بأنّي مُعْجَبٌ ببحثه.

"مَنْ هو رَجُلُكَ؟ تراستر؟".

"تراستر؟ مَنْ هو ذاك؟".

"لا تهتمّ. ماذا يحدث في نيويورك؟".

"لقد أفسدتَ الأمر يا توكسيك".

يقود رادوفان في الطريق الخالي. يبدو أنه مُتَّجِهٌ إلى المطار، إنهم يعيدونني، السؤال الوحيد هو ما إذا كنتُ سأسافر في رحلة عمل أم مشحوناً.

"ماذا حدث؟" أسأل.

(1) (أمثال 15: 3)

لا إجابة، فأحاول مرة أخرى:

"كيف أخطأت؟ لقد اتبعت الأوامر، فعلتُ فقط ما طلب مني
ديكان أن أفعله".

"لقد أخفقت يا سام. مات إيثو، ومات زوران، ومات برانكو
براون، وكذلك برانكو كارلوفاتش".
"وديكان؟".

"الزعيم بخير".

يتسم رادوفان من مقعد السائق ويتحدث في مرآة الرؤية الخلفية:

"أخبرني ديكان أن أقبلك. عندما تموت! ها ها".

"اخرس وقذا!" يصرخ نيكو.

إذا سيكون السَّفر شَحْنًا. بدأت الدقائق الخمس عشرة الأخيرة في
التكتكة. يتحوّل القلب من موسيقى البوب لبريتني إلى فوجا جنائزية.
تأخذنا سيارة أودي السوداء عبر مصنع الألمنيوم الممتد في ضواحي
المدينة، وينبعث من الراديو الناعم لويس أرمسترونج، ينفخ في بوقه
"من الخد للخد"⁽¹⁾ ويخبرنا أنه في الجنّة.

"مَن قتلهم؟ الفيدراليون؟" أسأل، وأضع قدمي اليسرى خلف
اليمينى.

أن أكون قادرًا على التحدّث بلُغتي مرة أخرى، بهذا القُرب من
النهاية، يُشبه عَرَضَ سيجارة أخيرة على مُدخّن شَرِهٍ أُلْقِعَ عن التدخين
قبل الحَدَث الكبير. تخرج الكلمات الكروايتية من فمي مثل حلقات
الدخان النّهمة.

في الواقع، رؤية وجه نيكو مرة أخرى، تثير رغبتى في التدخين.

(1) Cheek to cheek. أغنية جاز أمريكية شهيرة.

"أنت قتلتهم يا توكسيك".

قتلتهم. لا بُدَّ وأن عملية مكبِّ النفايات قد تسبَّبت في سلسلة من الاجتهادات العلاجية القضائية. لكنَّ الفيدراليين لا يقتلون الناس، على الأقل ليس قبل أن يسمعوا قصة حياتهم عبر الملابس الداخلية المتسخة الموضوعة فوق رؤوسهم، بتشجيع من كلب بوليسي مجنون ينبح على أعضائهم التناسلية العارية. أنا لا أفهم، كنت مُجرَّد قاتِلٍ مُحترَف، لم أرغب في إيذاء أحد. والآن أنا مَنْ يَلْقَى اللوم؟ أُرَكِّز على أشياء أبسط. يجب أن أواصل الحديث.

"هل قتلْتَ مونيتا؟" سألتُ صديقي القديم وشريكي السابق في السَّكن، بينما أَدفع طرف حذائي الأيسر بحذرٍ مقابل كعب يميني. "مونيتا؟" يُكرِّر نيكو بابتسامةٍ وهبَةٍ قصيرة في الأنف. يقول رادوفان: "كان جسدها رائعًا، لكنَّ الرأس قبيح".

يضحك نيكو، يضحك نيكو وهذه هي اللحظة المناسبة. أَدفع الجزء السُّفلي من كعبي الأيمن بإصبع قدمي الأيسر بقوة، حتى ينفصل النُّعل عن الكعب: تمكَّنت من "فتح" الحذاء من الخلف، فأرفع قدمي وأهزُّها قليلًا، يتدحرج المسدس الصغير برفق من الجزء الخلفي من حذائي، إنه على الأرض الآن. أضغط عليه بقدمي اليسرى، لقد فعلت ذلك مئات المرات، تدرَّبْتُ بقوةٍ طوال فصل الشتاء. لا يلاحظ نيكو أيَّ شيء ويواصل الضحك.

يُرَدِّد رغيف اللحم "رأس قبيح" ثم ينعطف إلى الطريق الرئيسي ويتَّجه إلى طريق ترابي نحو الجبال. لقد اختفت الانجرافات الثلجية تقريبًا، وتحولَّت الطحالب على الحُصَم إلى اللون الأخضر، وصار العَدَم من حولنا مُطلقًا.

لا أشجار ولا طيور ولا شيء. فقط بعض الصخور القذرة ورذاذ الطحالب هنا وهناك. هذه المناظر الطبيعية القمرية بعيدة جدًا عن المنحدرات البيضاء، وهي مُزينة بأشجار السرو وأشجار الزيتون، التي أعرفها من التلال المحيطة بسبليت. لقد بدأت أقدر الفراغ الجليدي البارد الآن، لكن علي أن أعترف أنني ما زلت أفتقد نبع البحر الأدرياتيكي. وفجأة بدأت أدقّ النشيد الوطني لكرواتيا جميلتنا⁽¹⁾.

"دراڤا، ساڤا، استمّر في التدقّق

يا دانوب، أنت تعرف وجهتك".

نيكو يحفر في أذنيه، لكنه لا يستطيع مجازاة الأغنية ولا الكلمات. أهمهم بصوت أعلى قليلًا، وعيني دافئة. في كل مرة تسمع فيها هذه الأغنية، يظهر حوالي عشرين ألفًا من الكروات أمام عينيك، جميعهم يرتدون القميص الوطني باللونين الأحمر والأبيض، وهم يصرخون في المدرجات ويصرخون قبل مباراتنا الأخيرة في فرنسا 98.

"أخبر البحر وأخبر الرمال أن الكرواتي يحبّ وطنه".

"اسكُت!" يصرخ نيكو. "اخرس بحق اللعنة!"

أقول: "حسنًا... هل يمكنك تدخين سيجارة قبل أن تقتلني؟".

"هل عدت للتدخين" يسأل نيكو.

"لا تقل، لن يقتلني".

ينظر إليّ وكأنه يريد إطلاق النار عليّ على الفور. ربما كان سيفعل ذلك، إذا كان عمر السيارة الـأودي أكبر من ساعتين.

(1) بالكرواتية في الأصل.

34

بوك⁽¹⁾

2007/12/05

يوقف رادوفان السيارة في موقفٍ جانبيٍّ وعِـرٍ بجوار الطريق حيث يسود الأرض الصُّمْتُ المطبق. أحاول الحفاظ على هدوئي عندما يخرج نيكو من السيارة ويترك الباب مفتوحًا. يقوم ببعض حركات الرقص الحديثة السريعة، ويُظهر مُسدَّسه الرائع للبيئة المحيطة.

نعم يا رجل، من الأفضل أن تنتبه إلى تلك القُبُعات البيضاء. أنحني للأمام بشكل عفوي، وأتمكّن من التقاط المسدس الصغير من الأرض دون أن يلاحظ السائق. أنتوي التخلُّص منه على الفور، لكن عندما صرخ نيكو لي بأن أخرج بحق الجحيم من السيارة، أتردّد بشدة، أضع المسدس في جيبي بحذر وأخرج من السيارة وقلبي يعزف جميع أنواع الموسيقى مثل راديو متعثر.

(1) Bok: تحية كروائية تعني إلى اللقاء أو أهلاً.

ليلة الربيع الساطعة شديدة البرودة. يأمرني نيكو أن أمشي أمامه، بعيداً عن الطريق، ثم يصيح في رادوفان، إذ لا يزال داخل السيارة. أشقُ طريقي عبر سطح الحُمَم الجامدة غير المستوية. توجد بُقَعٌ من الطحالب الخضراء الفاتحة والرمادية هنا وهناك، وعلينا أن نتخطى بعض الفتحات المستطيلة والضيقة في أرضية الحمم، والتي تبدو مثل مُنَمَّمات جراند كانيون⁽¹⁾، يمكنك أن تُسمّيها شقوق.

أحاول جاهداً أن أمشي بشكل طبيعي بينما أبذل قصارى جهدي لإخفاء النعل الفضفاض لحذائي الأيمن. سَمِعْتُ رادوفان يخرج من السيارة، يغلق بابها ويملاً أذني بالصَّوت، آخر باب في حياتي... يمكنني أيضاً أن ألتفت الآن، وألتقط المسدس وأقضي عليهما في لمح البصر.

لا لن يفلح الأمر. نيكو سريع بما فيه الكفاية.

أخيراً أخبرني أن أتوقّف. فَهِمْتُ، لقد قاما باستذكار دروسهما جيّداً.

نتوقّف عند حافة شقٍّ من الحُمَم البركانية كبير بما يكفي ليكون نعشي. ستبتلعني أيسلندا مثل سائحٍ قليلٍ الحظّ.

أستدير لمواجهة صديقيّ وجَلَّاذِيّ. كُلُّنا نرتعد من البرد، لا بُدَّ وأن درجة الحرارة حوالي درجتين مئويتين. لا يمكن سماع سيارة أو طائر أو طائرة، الهواء ساكن تماماً، الصمت مُطلَق. أفكر في جانهيلدور. إنها حتماً في السيارة الآن، تجول بلا هدف، يائسة. أو ربما لا يزالون في المنزل، مُحْتَجزين كرهائن على الأريكة مع دخول الفريق الأوكراني للمُسابقة، معتقدين أنني لا بُدَّ أنني خرجتُ مع صديق قديم من مدرسة العصابات.

(1) Grand canyon: الأخدود العظيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

يأمر نيكو رادوفان بإعطائي سيجارة. في الواقع كِدْتُ أنسى الأمر. الأبله يُخرج العلبة ويرمي لي واحدة. إنها "بال مال". لا يوجد حدٌ على الإطلاق لَغَرابة هذا الرجل. على الرغم من أنه يبدو مثل الهيكل الأبيض في بذلة، فنَّانته المفضلة هي سيلين ديون. قال لي ذات مرة إنه شاهد تيتانيك ثلاثين مرَّة. أطلب قَدَّاحة، فيفتش الأصلع جيوبه دون جدوى.

يوصل نيكو تصويب نسر الصحراء إليّ. أبقى عينيَّ على فؤهته بينما يستخدم يده الحرة ليلتقط قَدَّاحةً من بنطاله، يلقيها في وجهي، أظهار بإمساكها، لكنني أتركها لتُفَلِّت من يدي وتهبط على أرضية الحُمم البركانية. أستاذن قبل الركوع للحصول عليها، إنها من زغرب ساموفار. أتردّد للحظة قبل التقاط القداحة، وأنظر لنيكو نظرة خاطفة، إنه متوتّر كالنسر المُقَيَّد.

"لا تعبث معي بحق اللعنة!" من الواضح أنه لا يستطيع الانتظار ليَقصف وجهي برصاصة طويلة من مُسدَّسه الأسود الكبير. ومع ذلك، فقد وعدني بأن يسمح لي بالتدخين للمرة الأخيرة، من أجل الأيام الخوالي.

قد تكون هذه لحظتي، أقول لنفسي وأنا أمسك بالقَدَّاحة. لكن لا... أتردّد مرَّةً أخرى. أنهض دون أن أفعل أي شيء، وأشعل السيجارة التي تهتزُّ في فمي مثل ذراع ناقل الشُّرعات في الجرار. قلبي يُكرِّر نفس النبض مرارًا وتكرارًا، مع صوت قُرص مضغوط عالٍ على وضع الخدش.

أزلت السيجارة من شفتي وتأمَّلتها، تلك الـ 3.5 بوصة من الورق والتبغ، أنا أبعدُ 3.5 بوصة عن قبري. لديّ 3.5 بوصة لأتصرَّف فيهم. الآن 3.41 على وجه الدقَّة.

بدأت بالتدخين في الحرب. في تلك الأيام المجنونة، كل سيجارة تضع شفتيك عليها تُمثِّل سبع دقائق من وقف إطلاق النار، لمحة من الجَنَّة في وسط الجحيم. بعد الحرب أصبح الأمر عكس ذلك: كل سيجارة تجلب سبع دقائق من إطلاق النار والقصف؛ لذلك استقلتُ. تلك الصورة هنا يمكنها فقط أن تعيد ذكرياتي المتناثرة: أمي تشم في المطبخ، محطة القطارات المركزية اللعينة في هانوفر، رَجُل وينيبيج ومحفظته الدامية، ابتسامة جانهيلدور ذات لون الشَّفاه الأحمر. أُدخِّن ببطءٍ قدرَ الإمكان.

"لكن لماذا تقتلني؟ ما الغرض؟".

"اخرس".

"لقد استقلتُ. لم أعد أسافر بعد الآن. أنا فقط...".

"اخرس عليك اللعنة!".

"آسف. اسمح لي فقط أن أنهي هذا وبعد ذلك يمكنكما...".

نتحدَّث باللغة الكرواتية كسالف الأيام. عليك أن تتخيَّل ترجمات بيضاء ناصعة تومض عبر صدورنا المظلمة.

أسحب نَفْسًا مرَّةً أخرى، وأراقب الجبال الزرقاء المنخفضة أمامي.

لا بُدَّ أنهم شاهدوا شيئًا كهذا من قبل. حيث السماء فارغة، لا سحب ولا طائرات. في مكانٍ ما خلفي، تنبسط ريكيافيك على مسافة بعيدة، المدينة الرابعة في حياتي، وفي البحر لا بُدَّ وأن غروب شمس الربيع المشرق قد بدأ بقوة.

وادمًا أَيْتَهَا الدنيا⁽¹⁾. أزفر وأنظر إلى كعب المسدس. لم يتبقَّ سوى نَفْسٍ واحد في السيجارة، بَقِيَّ على حياتي أقلُّ من بوصة واحدة.

(1) مالكرواتية في الأصل.

اضطرب صديقاى الزائران. أرفع السيجارة الصغيرة إلى شفتي وأسحبُ نَفْسًا.

ها نحن.

أنحني إلى الأمام، مُتظاهراً بإطفاء السيجارة في الطُحلب المتجمّد بيدي اليسرى، بينما أمدُّ يدي اليمنى في جيبي. يصرخ نيكو على الفور ويتقدّم للأمام، مُصوّباً مسدسه إلى الأسفل باتجاه رأسي. سريعاً مثل الثعلب الهائج، أنبطح إلى يميني، وأتدحرج على الأرض البركانية الصلبة، وأطلق النار.

ترتد الرصاصة في حلقات من الحُمَم البركانية في أذاننا. وقبل أن يدرك أنني أحمل مُسدَّساً، دَقَنْتُ رصاصةً في أعلى ذراعه اليمنى، فصرخ صراخاً مكتوماً. همّ رادوفان على الفور بالبحث عن سلاحه، لكنه تلقى رصاصةً في معصمه الأيمن. يصرخ بصوتٍ عالٍ، بينما أمسك نيكو مُسدَّسه بذراعه المصابة بيده اليسرى، أنهض على قدمي، وأصوّب المسدس نحوهما وأصيح:

"ألقِ السلاح! ألقِ المسدس اللعين!"

ينظر نيكو إليّ بعينين مرتبكتين. "ما هذا بحق اللعنة!" لديه السلاح الآن في يده اليسرى.

"قُلْتُ ألقِه!"

يسيل الدم من ذراعيهما المصابتين. لا يزال رادوفان يرتدي نظّارته الشمسية، ويبدو مثيراً للسخرية، مثل رجل عصابات مُصطَنعٍ في فيلم روسي من الدرجة الثانية.

"ألقِ المسدس اللعين!"

لسبب غامض، أستخدم هنا الكلمة الإنجليزية "مُسَدَّس" ⁽¹⁾ بدلاً من الكرواتية (pistol). يجعلني هذا أفكر في جانهيلدور.

بصرف التفكير انتباهي فيشم نيكو ضِعفي بخبرته. رفع المسدس ضدي بسرعة. نضرب في وقتٍ واحد، مثل توائم روح كما كُنَّا دائماً. تسقط رصاصتي في ذراعه اليسرى التي تحمل مُسَدَّسًا. صراخه أعلى الآن، أحاول ابتلاع صرختي. ينطلق خطُّ من الدفء الغريب أعلى فخذي في اتجاه فخذي اليسرى. ثم يتحوَّل الدفء إلى نار. يبدو الأمر كما لو كانت مباراة تشتعل، أوَّلًا الضربة ثم الحريق.

إنها رصاصة نموذجية من يد يسرى. كان يستهدف قلبي لكنه حصل على المثانة. بينما أَصَبْتُ أنا الهدف. إنه بارعٌ مثل أعزل، وكذلك رادوفان بعد رصاصة أخرى من بي بي 9. وفجأة أجدني أصوَّب إلى السلاح فقط. لقد أطلقت أربع رصاصات ولكن لم يَمُتْ أحدٌ حتى الآن.

يتلوَّى وجهًا صديقيَّ أُلْمًا، كما حتمًا يتعذَّب وجهي أيضًا. أيديهم مُعلَّقة بجانبهم بلا حياة، خنازير مذبوحة حديثًا، والدم ينزف من حوافرهم. أوجُه مُسَدَّسي الصغير نحو رأسيهما الآن، وبعد المزيد من الصراخ، أسقط نيكو مسدَّس نسر الصحراء الكبير. أطلب منه أن يعطيه ركلةً ثم أنحني بسرعة لاستلامه، وأثبتت قامتي مرَّةً أخرى بصعوبة بالغة. أبعاد الألم في فخذي غير مسبوقه.

خراء مُقدَّس.

وضعتُ مُسَدَّس نيكو في جيبي.

طلبتُ من رادوفان أن يقترب ويفتح سُتْرَتَه لي، لكنه بالطبع لا يستطيع بسبب يديه. اقتربتُ منه بحذر، وعينااي تميلان بينه وبين

(1) Gun. في إشارة إلى جانهيلدور.

نيكو كل ثانيتين، أفتح سُترته السوداء ماركة أرمان في يدي اليسرى، سلاحه في الجيب الداخلي، مسدس فضي من طراز سميث أند ويسون. لكن عندما أمسك به، يحاول العملاق الغبي دفعي بعيداً بمرفقه. ينتهز نيكو الفرصة ليهاجمني، برأسه أولاً، مثل كبش مجنون بلا قرون. تخلصتُ منه بضربة "مرفق" بسيطة، وهو أمر أتقنته في تدريب تورتشور هذا الشتاء. مع سقوط نيكو، لا يخطر رادوفان بأيّ حيلٍ أخرى، وسرعان ما أغتئم مسدسين في جيبي والثالث في يدي. أخرج مفتاح السيارة من جيب رادوفان ثم أنتظر بصمتٍ نيكو ليعود إلى رشده. أمرت كليهما بالزحف إلى الوادي الصغير. يستغرق هذا بعض الوقت. لا يزال رادوفان يرتدي النظارات الشمسية، ويبدو أكثر سخافةً، إذ يمضي إلى موتٍ كوميديٍّ. أطلب منهما الاستلقاء والانبطاح أرضاً، وأعزّ شفتيّ من الألم. شيء ما يتسرّب من فخذي اليسرى، أشعر وكأنني أتبول عبر خصيتي.

هذا هو زمن الحرب من جديد. الصياح في وجوه الناس باللغة الكرواتية، ومسدس في يدي ونزيف في ساقي. تشغل بنية السائق الضخمة معظم المساحة الموجودة في نعش الحُمم البركانية. ويبدو نيكو بجانبه وكأنه زوجة عذراء نحيفة على وشك أن تُدفن مع زوجها، وعيناها تصرخان: "أرجوك، ضاعني بدلاً من ذلك!".

"انبطح أرضاً بحق اللعنة!" أصرخ، وأبدو متوترًا قليلاً.

أخفض مسدسي. أمامي اثنان من الحمقى، مستقيمان يصرخان طلباً للرصاص. لا يوجد شيء آخر للقيام به. سيتعين على قَاتِلِي مونيكا قضاء نحبّيهما على تلك الجزيرة المتجمّدة اللعينة. كنتُ على وشك سحب الزناد حين هبّ نسيمٌ مفاجئ في ليلة الربيع التي لا تزال قائمة. أنظر حولي بسرعة ولكنني لا أرى شيئاً. لا شيء يأتي لا شيء

يذهب، هناك فقط هذا النسيم المفاجئ، يهبُ عبر حقل الحمم القمرية، ويفتح باب القمر الصالح⁽¹⁾...

آمين.

ألقي نظرةً فاحصةً طويلةً على رفيقي السابقين، إذ استلقياً مُنبطحين على وجهيهما داخل الصُّدع، مثل اثنين من السادة يرتديان ملابس لا تلائم المقبرة الجماعية. ثم أومأت برأسي عدَّة مرَّاتٍ قبل أن أقول لهما وداعًا بكلمة كروائية قصيرة:

"بوك".

استدرتُ بعيدًا وبدأتُ أعرج نحو السيارة. فغذي يبكي وقلبي يهتزُّ، ولكن روعي تقول هَلُّوبا.

(1) - good moon door : حالة إلى اسم والد زوجته جودموندور.

الدُّخُولُ الصُّرْبِي

2007/05/12

تدفعك قيادة سيارة الأودي للاعتقاد بأنك يجب أن تكون سعيدًا. يُكافئُكَ النجاح بمقاعد جلدية ولوحة قيادة طائرة. لحسن الحظ أن غيارها آلي؛ لأنني لا أشعر بساقي اليسرى، وكذلك النصف السفلي من جذعي. سروالي غارق في الدَّم أو البول أو أي سائل داخلي آخر على وشك ملء حذائي الأبيض. أتساءل ما إذا كانت الرصاصة لا تزال بداخلي في مكان ما. أشعر وكأنها تستريح في قاع مثائني، تعمل كقابس في حوض الاستحمام.

عندما مشيتُ حوالي ستين قدمًا مؤلمًا بعيدًا عن الأحمقين، استندرتُ ونظرت في عينيهما. كانا ينظران من قبرهما البركاني بعيون مذهولة، يشبهان إلى حدٍّ كبير خروقيْن عالقيْن في حفرة. لماذا لم تقتلنا؟ حتى إنني شعرتُ بخيبة أمل في عيونهم. أُولَيْتُهُم ظهري وواصلتُ مسيرتي

نحو السيارة. رَمَيْتُ مسدسيهما في صندوق السيارة، ووضعت مسدسي في جيبي، وَتَمَكَّنْتُ من وضع ألمي في مقعد السائق.

أعود من نفس الطريق الذي أتينا منه. أَسْتَطِيعُ أن أرى بالفعل مصنع الألمنيوم أسفل الساحل. تمر أمامه بعض السيارات على طريق ريكيافيك- كيفلافيك السريع، لا بُدَّ وأن مسابقة الأغاني قد انتهت.

كانت سينيكا صرِيَّةً، صرِيَّةً جميلة للغاية، وهي حقيقةً أخفيها عن والدي. اسمها الحقيقي دراجانا، المكافئ الصربي لسيكريدرا؛ لذلك استقررنا على سينيكا، الذي يشير إلى خلفيَّةٍ بوسنيَّةٍ، بل ومسلمة. تَوَاعَدْنَا لأكثر من عام، ولكن بعد ذلك اندلعت الحرب واضطرتَّ إلى الابتعاد مع عائلتها.

بعد غزو كنين كُنَّا مُشْطُ المنطقة المحيطة بها، وقد أُمِرْتُ بالبحث في بعض الشبَّات ذات المظهر الألماني.

كان سقف إحداها مُدْمَرًا ونوافذها مُحطَّمة وجدرانها محترقة. منزلًا ضخمًا من ثلاثة طوابق. أخذت بندقيتي وانتقلت من غرفة إلى أخرى. كلها كانت فارغة، لكن عندما نزلت إلى الطابق السفلي، سمعتُ بعض الضوضاء. هرعْتُ إلى غرفة جانبية، وصَحْتُ في الجندي الصربي المختبئ تحت سريرٍ قديم قبيح. بعد أن قُمْتُ بإطلاق بعض الرصاص في جميع أنحاء الغرفة، خرج زاحفًا. إلَّا أنه كان هي... كانت سينيكا. دراجانا اقزاموفيتش. كانت لا تزال جميلة جدًا. وأكثر من ذلك أنها ترتدي هذا الزِيَّ الفظيع. تَمَّ قَصُّ شَعْرِها لدرجةٍ أقصر؛ ممَّا جعلها تبدو أكثر صبيانيَّة. لكنَّ الشَّامة كانت هناك، وتلك الشفتان المغربيتان، والعينان اللتان تنضحان شِعْرًا... أَرَدْتُ أن أمسك خَدَّها الصُّلب بإصبعي.

كان كلانا مَذْهُولًا، ثم لاحظْتُ ندبةً قبيحةً على رقبتها.

"سييكا؟"

"تومو؟".

سرعان ما كُتِّبَ تبادل القَبَل، جنديان في زِيّ العدو. ولكن بعد ذلك توقَّفت فجأة عن التقبيل وتراجعت إذ تحمل مُسدَّسًا في يدها، زاستافا صربي الصُّنع، تُصَوِّبه إِلَيَّ بنظراتٍ جادَّة. أَلَمْ تَتَّقِ بي؟ لقد حاولتُ أن أحافظ على هدوئي بينما يتدلَّى على ظهري رَشَّاشٌ إليه كيه 47 المربوط حول كتفي.

"هل تريدان إطلاق النار عليّ؟" سألتها بهدوء شديد.

"لطالما أردتُ ذلك".

"لماذا؟".

"لأنَّكَ مثل هذا الأحمق".

"أحببتُكَ".

"كاذب".

"لا. فعلتُ حقًّا".

قالت بشفتين مرتجفتين: "اشتقتُ إِلَيْكَ".

"اشتقتُ إِلَيْكَ أَيْضًا".

"لم تكتب لي مرَّةً أخرى".

"كتبْتُ، أَلَمْ تحصلِ عليه؟ لقد كَتَبْتُ لك إلى بلجراد، على عنوان عَمَّتِكَ".

"كاذب".

قلتُ بابتسامة: "سينيكما ما زلتِ مجنونةً. أتذكَّر.. دائمًا كيف كُنْتَ تُردِّدين أنَّكِ تريدان قتلي".

"نعم. والآن أستطيع".

شعرتُ فجأةً وكأننا عدنا معًا، نتجادل في قبو زوج والدتها غير المرتب في قلب سبليت، ومن دون تفكيرٍ مَدَّت يدها ولمست مسدسها بإصبعي السبابة. أضع إصبعي داخل الفوهة بقدر ما تمكن أن تصل، وأخبرها بصوتٍ أكثر استرخاءً أن التقييل أفضل من القتل.

ظَلَلْتُ ألعب بمسدسها، وأرسم العلامة الدولية لـ "مارس الحب وليس الحرب" (أدخلتُ إصبعي وأخرجتها من الماسورة عدَّة مرَّات) حتى أنجَبَتْ شفتاها الرطبتان الابتسامة التي افتقدتها منذ خمس سنوات. سنوات طوال.

وسرعان ما كُنَّا نتبادل القُبلات مرة أخرى، أنا وفتاتي المجنونة، أنا وفتاتي الصربية.

بعد فترة وجيزة كُنَّا على الفراش، تشقُّ أيدينا المتعطشة طريقها عبر السنوات الخمس الضائعة والسزي الثقيل. انفجرت القنابل في الخارج، واهتزَّ المنزل كله مثل الجِرَّافَة وكان هناك صوت رُجَّاجٍ يتحطَّم، فأضاف كل هذا الوقود إلى نارنا وحسب، لا شيء يجعل الحُبَّ أكثر إثارة من الحرب. كُنَّا نلهث، ووضعت أصابعي على ثديي جيشها الصُّلْبَيْنِ عندما ظهر اثنان من زملائي الجنود فجأةً داخل الغرفة وهم يضحكان ويهتفان لي. كان لهذا تأثير مُعَاكِس.

لاحظا ودفعاني جانبًا، ووضعا أيديهما القَدِرَة على فم سينكا.

كان عليَّ أن أشاهدهم. حاولتُ أن أغمض عيني، لكن الأمر كان أسوأ. كان عليَّ أن أشاهدهما بحق اللعنة. لم أكن أريدهما أن يقتلها؛ لذا كان عليَّ أن أنتظر حتى ينتهيا.

يمكن أن يكون لديك اثنان من أ.ل.ع⁽¹⁾.

(1) اختصار لـ أبشع لحظة على الإطلاق.

حاولتُ الاتصال بها طيلة سنوات. في كل شهر من شهور عملي في نيويورك، بحثتُ عن اسمها على جوجل، وكتبْتُ لعائلتها وأصدقائها دون توفيق. كتبْتُ لي إحدى صديقاتها في سبليت من إيطاليا تخبرني أنها حصلت على بطاقة بريدية من سينيكافيل قبل بضع سنوات، من بلجراد. بخلاف ذلك، لا شيء. لا يبدو أن حتى ملفات المقابر الوطنية الكبيرة لدينا تحتوي على اسمها.

فقط زوج أمها، دُفن في نوفا ساد في 2002. ربما كانت تعيش خارج نطاق الإنترنت، في قرية جبلية أو في بعض الأراضي البعيدة. لم أكتب اسمها لأكثر من ثلاثة أشهر حتى صادفتُها في الشتاء الماضي. في ريكيافيك.

من بين جميع الأماكن في العالم، صادفتُها في كرنجلان مول خارج مكتبة بينين، بجوار متجر الهدايا التذكارية الغربية. كان ذلك قبل عيد الميلاد مباشرة. كان المكان يعجُّ بالناس الذين يعانون من الإجهاد المفرط، واصطدمننا ببعضنا البعض. كانت هي دون شك. كنت أتعرف على تلك الوحمة في أي مقبرة جماعية. استغرقتُ بضع ثوانٍ للتعرف علي. اندفع الناس أمامنا بينما نقف هناك مُجمَّدين، ننظر إلى بعضنا البعض دون أن نقول الكثير.

ذهبتُ إلى المركز التجاري بحثًا عن هدية عيد الميلاد من أجل جانهيلدور، فوجدتُ سينيكافيل. كانت تخفي ندبة كبيرة بغطاء، وخدائها ما زال جافًا، وشفتاها ناعمتان ومثيرتان، لكن جمالها تلاشى. لقد أصبحت سميكة أيضًا. أستطيع أن أقول إنها اعتقدت نفس الشيء عني. جلسنا لاحتساء القهوة، وأضافت بعض الدُموع إلى اللاتيه.

قلتُ بلغتنا الحبيبة: "كان يجب أن تقتليني في ذلك القبو".

"لا، فحينها كان سيقتلني أصدقائك".

"لقد كادوا يقتلونني لأنني أطلقت سراحك".

"أعتقد أننا حصلنا جميعًا على نصيب من الموت في تلك الحرب، كما اعتادت ماما أن تقول. الحرب تقتل الجميع، بمن فيهم مَنْ نجا".

كان الاثنان في أيسلندا منذ أكثر من ثلاث سنوات، جاء إلى هنا بعد عَقْد من العيش في أماكن عديدة، بما في ذلك مُخَيِّم اللاجئين التابع للصليب الأحمر لأكثر من عام، حيث توفي زوج أم سينكا، الشاعر. لَقِيت شقيقتها حتفها في الحرب مع عائلتها. أخيرًا قَرَرُوا الانضمام إلى مجموعة من ثلاثين صربيًا وبدء حياة جديدة في بلد جديد.

في بداية عام 2003، استقرَّت المجموعة في قرية صغيرة في غرب أيسلندا. هناك بَقِيتَ الأم وابنتها لمدة عامين، في شَقَّة جديدة تمامًا قَرَسَهَا لَهم السُّكَّان المحليُّون.

"الناس هناك طيِّبون حقًا. لكن الأمر كان أشبه بالعيش في خزانة، مع وجود جبالٍ زرقاء شديدة الانحدار حولنا. خلال فصل الشتاء، لا ترى الشمس لمدة ثلاثة أشهر تقريبًا". بقيت والدتها في المنزل وهي تحدِّق من النافذة في المحيط. "يمكنك أن ترى كل الطريق إلى جرينلاند" بينما كانت سينكا تعمل في مصنع الأسماك. "أكثر وظيفة مُمِلَّة في حياتي"، ولكن عندما احتاجت الأم إلى مزيد من التمرُّض، انتقلوا إلى المدينة في الجنوب. في البداية عملت كأمينة صندوق في أحد متاجر بونس، لكنها حَقَّقَت حلم حياتها مؤخرًا عندما حصلت على وظيفة "عاملة" في مسرح المدينة.

كيف كان كُلُّ شيء مُرْعَبًا؟ من بين جميع مدن العالم، انتهى بنا المطاف في هذه المدينة.

قالت سينكا الآن إن المرأة العجوز تمكَّنت منها الشيوخوخة. "إنها لا تتحدَّث عن أي شيء آخر غير جرينلاند. يجب أن تذهب إلى جرينلاند"

وَجَدَتْ والدتها أفضل طريقة للتعامل مع خسائرها من خلال مرض الزهايمر، ووجدت أنا وسينكا طريقة مختلفة.

إنها تنتظر قدوم طفلي.

أعرف. لم أخرج في مدرسة تورثشور بتخصيص في القداسة.

أشقُ طريقتي إلى جاروبير. يبدو أن الأودي السوداء تجد طريقها من تلقاء نفسها. وسرعان ما وقفت خارج منزل أصهاري الأيسلنديين. أدت الرصاصة لانتفاخ مئنتي حتى صارت في حجم بيضة نسر الصحراء. يستغرق الأمر حوالي أربع دقائق للخروج من السيارة. لماذا أتيت إلى هنا على أي حال؟ كان يجب أن أذهب مباشرة إلى المشرحة. بهذه الطريقة كنت سأوفر الكثير من وقت الناس ومالهم، أردت فقط إعطاء رقم سينكا لجانهيلدور حتى يتمكنوا من تدبير اللقاء بين أطفالنا.

يزداد ألم الفخذ مع كل خطوة، بينما أشقُ طريقتي إلى الباب الأمامي، تاركًا ورائي أثرًا من الدماء. أفتح الباب بصوت أجراس الكنيسة الصامتة، وأخطو فوق العتبة الذهبية. يستقبلني صوت الموسيقى وبعض المزامير وأشياء قادمة من غرفة المعيشة. عندما أدخل (بحذائي) أستطيع أن أرى أنهم جميعًا لا يزالون هناك، مجتمعين حول التلفزيون الصاخب: جودموندور وسيكريدر وتورثشور وهانا وآري وجانهيلدور وأوليه وهاربا، يبدو أنهم فوجئوا برؤيتي، وهم يحدقون فيّ بعيون كبيرة وأنوف صغيرة وأفواه مفتوحة. ثماني كرات ثلجية تواجه رجلًا يحترق.

"لم..." تمكنت من النطق بها قبل أن أنهار على الأرض: "لم أقتلهم".

يندفعون لإنقاذي، وينقر حلق أوليه الذهبي الصغير فوقني مثل هالة ألييت علي من على ارتفاع ألف قدم. امتقع وجه تورثشور،

فتحوّلت نظارته إلى نصف قمر. يحوم فوقى وجه جانهيلدور المشرق مثل شمس كبيرة فوق أرض مضطربة. تقول شيئًا، لكنى لا أستطيع سماعه. وبعد ذلك تظهر المزيد من الوجوه. هانا، هاربا، سيكريدر... وكلهم يقولون شيئًا ما، لكن لا يمكننى سَماعُه لأن الغرفة مليئة بالموسيقى.

لا أتعرف على الأغنية، لكن يمكننى أن ألتقط بعض الكلمات: "لكنى لا أستطيع"⁽¹⁾...

"ما هي الأغنية؟" تمكّنتُ من الهمس.

"إنها الأغنية الفائزة، من صربيا. صربيا هي مَن فازت" تقول جانهيلدور.

"أوه؟ فازوا؟ أحسنوا" أقول.

ثم لستُ متأكّدًا ممّا حدث بعد ذلك.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) مذكراتية في الأصل.

نبذة عن الكتاب

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت هي رواية هيلجاسون الوحيدة المكتوبة باللغة الإنجليزية. نُشرت ترجمة المؤلف الخاصة في أيسلندا في عام 2008 وأصبحت من أكثر الكتب مبيعًا في ألمانيا في عام 2010.

في هذه الرواية نلقي نظرة على العالم من عدسة قاتل كرواتي محترف وساخِر، أنهى عملية قتلٍ خرقاءٍ في نيويورك، ثم ضلَّ طريقه إلى أيسلندا بعد أن قتل كاهنًا في المطار واستولى على هويّته. وفي البلاد الباردة رغم سطوع الشمس المتواصل فيها ليل نهار، ينكشف للقاتل أن الكاهن هو في الحقيقة مَنْ قضى عليه، فإمّا أن يتخلّى توكسيك عن زُعاfe القاتل، أو يفعل ذلك كمحترف.

نبذة عن الكاتب

(1959-...)

بدأ هالجرير هيلجاسون حياته الفنية كرسّام، حيث عرض أعماله في صالات العرض في نيويورك وباريس. ظهر لأول مرة كروائي في عام 1990. ونال اهتمامًا دوليًا عن روايته الثالثة "ريكيافيك 101"، والتي وصفها الناقد تيم ساندلين: "تخيّل لو كان هنري ميلر قد كتب "مدار السرطان" تحت تأثير الكراك كوكاين بدلاً من النبيذ". تمّ تحويله لاحقًا إلى فيلم من بطولة فيكتوريا أبريل.

في عام 2001 حصل هيلجاسون على جائزة أيسلندا الأدبية كأفضل مؤلّف في أيسلندا. وتمّ ترشيحه مرتين لجائزة المجلس الاسكندنافي الأدبية: الأولى لـ "ريكيافيك 101" في عام 1999، ثم "أرض العاصفة" في عام 2007 والتي أنتجت فيلمًا في أوائل عام 2011.

وُلد هالجرير في ريكيافيك عام 1959، وهو أب لثلاثة أطفال، ويقضي وقته بين ريكيافيك وجزيرة هريسبي.

نبذة عن المترجم

كريم كيلاني، كاتب وصحفي ومترجم مصري، يعمل بالمجال الصحفي والأدبي منذ عام 2009. قام بترجمة عدة روايات، منها: "على السبيل" لچاك كيرواك، و"مدينة الرب" لباولو لينس، و"أخت فرويد" لجوسيه سميلفسكي. كما صدّرت له رواية "الهروب من الطريق الدائري" عن دار "المحرسة"، وكتب لعددٍ من الصحف والمواقع والإذاعات العربية.

telegram @soramnqraa

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

لكن... هل يصبح القاتل كاهناً حقاً؟

... "لقد كان لديّ الوقت للإلقاء نظرة خاطفة
على كل ثقب فتحتّه في حياة الناس. في
عقلي تتبعت كل رصاصاتي في حناجر الناس،
في رؤوس الناس وفي المستقيم. وأشعر
بالأسف، فقد أطلقتها جميعاً في الاتجاه
المعاكس؛ ممّا جعلها تعود إلى مصدرها،
لتفتح مائة ثقب في رأسي، فيتحول إلى دُش
تنساب منه كل ذنوبي المميّنة".

إنها كوميديا سوداء حول قاتل مافيا كرواتي
هبط عن طريق الخطأ في أيسلندا، المجتمع
الأكثر سلاميّة ولسويّة في العالم، متنكراً في
زيّ قسّ ومذيع إنجيليّ أمريكي.



مؤرخة
المخروسة
الكتاب في الثقافة العربية والعالمية